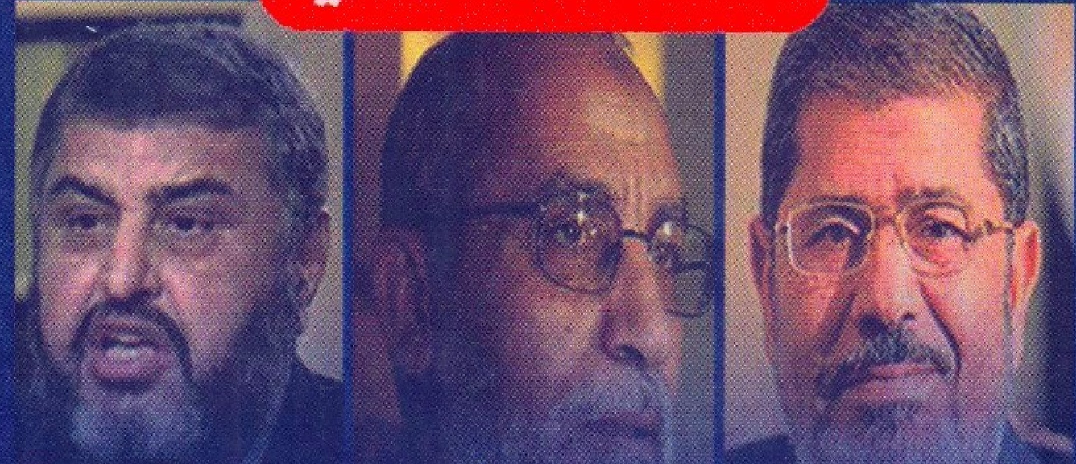




المؤامرة على ثورة مصر

الملفات السرية للإخوان



الوجه الحقيقي
لعملاء المخابرات البريطانية والأمريكية

المصرية
للنشر والتوزيع

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

البرديسي ، احمد

المؤامرة على ثورة مصر : الملفات السرية للاخوان : الوجه الحقيقي لعملاء المخابرات الامريكية والبريطانية / احمد البرديسي

القاهرة : المصرية للنشر والتوزيع ٢٠١٣م

٣٨٤ ص ، ١٥ X ٢١سم

١. الاخوان المسلمون

أ. العنوان

٢٠١٣/٢١٣٧٢ ٢١٧.٦



٢٩ ش عبد الخالق ثروت – مكتبة كوميت
٠١٢٢٩٦١٩٥٩٩ - ٢٣٩٣٨٤٦١
Info@elmasriabook.com

الإهداء

إلى ذكرى أمي وأبي..

وعمي فاروق البرديسي..

أستاذي الأول

اعتراف وعرفان

لـــم يكن هذا الكتاب ممكنا.. لولا جهـــود أصدقاء ورجال اقتربوا مني واقتربوا من قلبي.. حين قدموا لي يد المساعدة والمعاونة في كل لحظة.. لا يمكن أن أنسى فضل الزميل الصديق جمال عبد الرحيم.. رئيس تحرير الجمهورية.. الذي له الفضل في عودتي لتقديم عروض الكتب الأجنبية الحديثـــة بالجمهورية.. بعد طول انقطـــاع. كما أدين بالفضل أيضاً إلى الزملاء بالجمهورية ومنهم الصديق العزيز السيد البابلي.

ولن أنســـى فضل أســـاتذتي الأوائل في الصحافة.. الأستاذ محسن محمد الذي قدم الرعاية لجيل كامل من شباب الصحفيين بالجمهورية.. كما أدين بالفضل الكبير جداً للأستاذ والمفكر الصحفي الكبير محفوظ الأنصاري.. الذي اقترب منا دائماً بآفاقه الواســـعة في دنيا السياســـة والفكر.. وحتى الأدب والفن.. كما أنه يتميز بشخصيته الجذابة.. التي تجعل الجميع يلتفون حوله.. في ألفة ومحبة ومودة. كما أدين بالفضل لأساتذة تعلمت منهم وعنهم عن قرب وتفاعل مباشر مثل السيدة العزيزة جـــداً أميمة أبو النصر.. والأســـتاذ محمد أبو الحديد والأســـتاذ ناجي قمحة.. ورفاق كثيرون تعلمت منهم وعلى أيديهم الكثير جداً من قواعد وأصول مهنة الصحافة.

وبالطبع لا يمكن لأي إنسان أن يقف وحده في الحياة بدون دعم أسري واسع.. من أشقاء.. وزوجة وأولاد.

لكن أدين بفضل خاص ومباشر للزميل والصديق العزيز مصطفى القاضي الصحفي بالجمهورية.. الذي قدمني للصديق الناشز المحترم محمود رمضان هاشم صاحب المصرية للنشر والتوزيع.

وهذا الكتاب في الواقع يروي قصة مصر .. والمؤامرات التي تعرضت لها منذ ثورة يوليو ١٩٥٢.. وحتى اليوم.. إنه يروي قصة الذين تآمروا على قيادة مصر الوطنية.. وباعترافات أمريكية وبريطانية موثقة من الملفات السرية للمخابرات الأمريكية والبريطانية.

كما يحكي الكتاب قصة الشراكة المصرية . الأمريكية في عصر مبارك.. والتي انتهت بالرفض والثورة من ٢٥ يناير ٢٠١١ وحتى ٣٠ يونيو ٢٠١٣.. بالإضافة للقصة الطويلة لارتباط الإخوان المسلمين بأجهزة المخابرات العالمية.. في الحقيقة إن هذا الكتاب يكشف الوجه الحقيقي لعملاء المخابرات العالمية بين قيادات جماعة الإخوان وخلاياهم السرية.

ويبقى السؤال.. كيف يمكن لمصر أن تخرج من نفق المؤامرات إلى الآفاق الواسعة للتقدم والتنمية الوطنية في القرن الجديد؟!

سؤال كبير.. سوف تجيب عليه الأيام والسنوات القادمة.

مقدمة

الموقع الجغرافي لمصر.. له ثمن!

هناك حقيقة قديمة.. ثابتة لا تتغير في هذا العالم.. كما يقول هنري كيسنجر.. وهي أن الجغرافيا.. أو الموقع الجغرافي هو الذي يقرر مصير الدول والشعوب.. ولذلك قالوا إن الجغرافيا تصنع التاريخ.. أي أن الموقع الجغرافي لأية دولة او شعب.. هو الذي يقرر مصير الدولة والشعب.. ويصنع تاريخ الدولة والشعب.

وهذه هي الحقيقة التي تغيب عنا أحيانا في زحام الأحداث الكبرى والتقلبات الصاخبة التي نعيش فيها في زمن الثورات. ومن قديم الزمن قال هيرودوت إن مصر هبة النيل.. مع أن النيل لا يشكل كل ما لدى مصر من مزايا وخصائص في موقعها الجغرافي الفريد في خريطة العالم.

فقد اخترقت مياه النيل صحراء مصر منذ فجر الوجود فوق سطح الأرض.. لكن النيل كان مصدر الخير والأساس الذي قامت عليه حضارة مصر القديمة.. لكن موقع مصر الجغرافي في أقصى شمال شرق أفريقيا على البحرين الأحمر والمتوسط.. هو الذي صنع عبقرية المكان.. التي أتاحت لشعب مصر أن يكشف عن عبقرية مواهبه الحضارية منذ فجر التاريخ.

ربمـــا كانت الجغرافيا هي الواقع الـــذي لا يتغير.. كما يقول خبراء السياسة والاستراتيجية في العالم.. لكن واقع مصر التاريخي كان دائماً عرضـــة لموجات التغيير المتعاقبة.. والتي لم تنقطع أبداً منذ اكتشـــف الفراعنة حروب الأبجدية.. وســـجلوا تاريخهـــم وأمجادهم على جدران المعابد العتيقة في منف وطيبة وأبو سمبل.

ولذل قال خبير الاســـتراتيجية الأمريكي روبـــرت دي كابلان.. إن المصريـــين ينفردون بين ســـائر الأمم والدول والشـــعوب بأنهم الابناء الطبيعيون جداً للموقـــع الجغرافي الخطير الذي انفردت به مصر فوق خريطة العالم!!

ولذلـــك قالـــوا.. إن الجغرافيا هـــي التي صنعت مصـــر.. الدولة والشـــعب.. والجغرافيا.. هي التي قـــررت دائماً مصير مصر.. الدولة والشعب.. ولذلك تؤكد القراءة العصرية لخريطة مصر.. أنه لا يوجد ما يوحد المصريين دولة وشـــعب.. سوى الموقع الجغرافي.. لأن الجغرافيا هي التي صنعت مصر.. وهي التي وحدت المصريين منذ فجر التاريخ وحتى اليوم.

ويبدو أن الجغرافيـــا.. أو الموقع الجغرافي.. هـــو القاعدة الصلبة الأساســـية لصنع الدولة.. وتكوين الشعب .. لكنها ليست كل شيء.. ولا يمكن أن تبقى كل شـــيء.. لأن الاعتماد علـــى عبقرية المكان.. أو عبقريـــة الموقع الجغرافي فقط.. يمكـــن أن يصيب الدولة بأمراض

الشـــيخوخة المبكرة كما حدث في عصر الرئيس حســـني مبارك.. فقد عاش المصريون في ظل دولة الاستقرار.. بفضل الجغرافيا.. لكن دولة مبارك.. كان اســـتقرارها زائفاً.. لأن الثبات والاستقرار السياسي يصنع الجمـــود.. ويعطل مفاصل الحركة في بنيان الدولة ويغلق أبواب الحياة في وجه الشعب وأجياله الجديدة.

وفي لحظة الحقيقة.. اتضحت أبعاد الـــدروس الجديدة للجغرافيا.. والتاريخ على أرض مصر.. واكتشـــفنا فجأة أن الجغرافيا ليست تفسيراً لكل شيء.. كما أنها ليست الحل لكل شيء.. وربما لهذا أغلق التاريخ أبوابه في وجـــه الرئيس مبارك.. ورفض أن يمنحه صفحة بيضاء بين صفحاته المضيئة.. وفي النهاية انفتحت أبواب الثورة واســـعة في وجه مبارك.. ربما لأن مبارك.. بعلم أو بغير علم.. حاول استغلال جغرافية مصر لصالحه فقط.. وليس لصالح مصر وشعبها.

ومـــن المؤكد أن موقع مصر الجغرافـــي الخطير كان منحة كبرى صنعتها يد القدر.. لكن في عصور الانحدار والتراجع التاريخي..

تتحـــول منحة القدر إلى محنـــة مريرة ولا يوجـــد توصيف للنهاية التراجيديـــة الرهيبة لعصر مبارك ســـوى أنها محنـــة.. محنة كبرى أن ينتهي عصر طويل يمتد لعشرات السنين بثورة شعبية كبرى تزيح القابع فوق قمة السلطة كما حدث في ٢٥ يناير ٢٠١١!!

وكم دفعت مصر ثمنا فادحاً من تاريخها وتاريخ شعبها لهذا الموقع

الجغرافـــي الفريد.. وكم حدث على مدى الزمن وطوال عصر الحضارة الفرعونية أن تحول موقع مصر الجغرافي شديد التميز إلى نقطة انطلاق لصنع إمبراطورية تمتد من أعماق أفريقيا في الجنوب.. وحتى شواطئ شرق البحر المتوسط في الشمال.

وفي عصور الانحدار والتراجع.. تتحول مصر إلى هدف هام للغزاة والطامعيـــن.. القادمين من أقاصي الشـــرق.. أو القادمين من أقاصي الشـــمال.. كما حدث حين أعاد نابليون بونابرت اكتشاف أهمية موقع مصر الجغرافي.. وقال وهو يتجه بجنوده لغزو مصر في ١٧٩٨.. إن مصر هي أهم دولة في العالم.

هكـــذا نكتشـــف أن مصر بلد صعب.. صعـــب الموقع.. وصعب التاريخ.. وصعب على الشعب الذي تحمل أهوال التاريخ.. ودائماً كانت مصر بلدا صعباً.. حتى على الرجال الأشـــداء من خيرة أبنائها. ولذلك مات أشجع رجال مصر مبكراً جداً.. وفي مختلف العصور.. بدءا من القائد إبراهيم.. القائد الفذ لجيوش محمد علي.. وحتى جمال عبد الناصر والجنـــرال عبد المنعم رياض.. فقد ماتـــوا جميعاً في أصعب اللحظات التاريخية.. التي اشتدت فيها حاجة مصر إليهم وإلى أمثالهم!!

هل هذا هو انتقام الجغرافيا.. كما يقول الأمريكي كابلان في كتابه؟! وهل حقا أن القدر أغدق على مصر بكرم زائد حين منحها هذا الموقع الجغرافي العبقري.. لينتقم منها في دورات الزمن وقصص التاريخ؟!

.. ربمـــا قلنـــا إن مصر دفعت من تاريخها ثمنـــاً باهظاً.. لموقعها الجغرافي الرهيب.. لكن هذا الموقع الفريد هوا لذي صنع عبقرية الشعب صاحب الحضارة التي ليس لها مثيل!!

هل اســتغرقتنا أحاديث الجغرافيـــا والتاريخ؟! وهل أخذتنا بعيداً عن حديث الساعة في مصر.. عن الثورة والثوار ومستقبل الثورة والثوار من ٢٥ يناير ٢٠١١ وحتى ٣٠ يونيو ٢٠١٣؟!

لكن أحاديث الجغرافيا والتاريخ تجعلنا نقترب أكثر من قصة المؤامرة على مصر.. وثورة مصر في القرن الحادي والعشرين.. وتجعلنا أيضاً نتوغـــل بعمق في قصة صعود وســقوط جماعة الإخوان المســـلمين. ومن الطبيعي والمنطقي أن يأخذنا كل ذلك إلى الملف الأســـود لقصة ارتباط جماعة الإخوان المســـلمين بأجهـــزة المخابرات العالمية الكبرى منذ منتصف ثلاثينيات القرن العشـــرين.. وحتى اليوم.. حيث احتفظت الجماعة بعلاقـــات تحالف غامضة مع جهاز المخابـــرات البريطاني العتيق.. الشهير باســـم إم – أى – ٦.. كما ارتبطت بعلاقات تحالف شـــبه عضوية بجهاز المخابرات المركزية الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم.. وهذه هي قصة الملفات الســـرية لجماعة الإخوان التي نتوقف أمامها طويلا في هذا الكتاب.

وربما قلن بارتياح اليوم أن جماعة الإخوان المسلمين لم تكن لتعيش ويمتد بها العمر والوجود لأكثر من ٨٥ عاما.. لولا علاقاتها الســـرية

الغامضة بأجهزة المخابرات في بريطانيا العظمى وفي الولايات المتحدة الأمريكية.

وبحكم طبيعة التكوين والنشأة.. وباعتبار أن جماعة الإخوان تسعى دائماً لاستغلال الدين من أجل تحقيق أهداف سياسية غامضة.. فكان طبيعياً أن تنحاز الجماعة منذ نشأتها إلى جانب الملك فاروق وسلطة الاحتلال البريطاني.. ضد الحركة الوطنية التحررية التي تطالب باستقلال مصر.

وحين قامت ثورة يوليو ١٩٥٢.. حددت جماعة الإخوان موقفها بسرعة وانحازت إلى جانب الاحتلال الإنجليزي ضد الثورة.. وضد قائد الثورة جمال عبد الناصر.

ولم تسلم مصر.. وثورة مصر من مؤامرات الإخوان وحلفائها في لندن وواشنطن.. منذ ثورة يوليو ١٩٥٢.. وحتى الثورة الشعبية الكبرى التي امتدت موجاتها العاتية من ٢٥ يناير ٢٠١١ وحتى ٣٠ يوليو ٢٠١٣.

وحين نكتشف أن الجماعة تحالفت مع جهاز المخابرات البريطاني العتيق.. ربما تزول كل أسباب الدهشة لدينا حين نعرف أن العاصمة البريطانية لندن هي مقر قيادة التنظيم الدولي للإخوان.. ومن قيادات الإخوان من يعترفون بأن لندن تبقى إلى اليوم العاصمة السياسية للجماعة.

وبرشاقة سياسية نادرة انتقلت جماعة الإخوان المسلمين من التحالف مع المخابرات البريطانية إلى التحالف مع المخابرات الأمريكية.. لكنها في صفقة التحالف الجديدة.. حافظت على علاقاتها مع الإنجليز.. وبقى التحالف ثلاثياً دائماً.. وإن كانت له أبعاد عربية.. في دول الخليج العربي الغنية بالبترول.. وحتى باكستان!!

ثورة بلا رأس.. قصة الأزمة

.. وربما قلنا بلا تجاوز أن أزمة الثورة في مصر منذ يناير ٢٠١١ هو غياب القيادة لأنها ثورة فجرها شباب دفعته الحاجة للقيام بالثورة والتمرد.. فقد أصبح شباب مصر في حاجة إلى كل شيء بعد أن تعر للحرمان من كل شيء.. الحرمان من فرص الحياة والتقدم والحرمان من التعليم الراقي الحديث والحرمان من العلاج والدواء والحرمان من السكن، فقد اكتشف الشباب أنهم لم يرثوا عن جيل الآباء والأجداد سوى الحرمان وأزماته الخانقة. لم يتحرك الشباب بالفكر والفلسفة بل حركته الحاجة ودوافع الحياة الحرة الكريمة الكامنة لدى كل إنسان حي على وجه الأرض. وهذا هو الوجه الإنساني للثورة في مصر لكن الثورة في هذه الايام الحاسمة تبدو معرضة لمخاطر جسيمة بسبب غياب القيادة القادرة على صياغة أهداف وسياسات الثورة وتجسيد أحلام الشباب وتطلعاته المشروعة، فمازالت الثورة إلى اليوم تبدو كياناً هائلاً يملأ مصر من

العريش إلى اسوان، لكن الثورة تبدو بلا راس وبلا قيادة أو زعامة وما زالت مصر تبحث بين أبنائها وتفتش عن وجه يملأ القلب والعقل ويجمع شمل الوطن ويلتف حوله الشعب بكل الأجيال والطوائف والطبقات في لحظة فارقة من تاريخ مصر. إن أزمة القيادة والثورة واضحة بشكل صارخ واعراض الأزمة مجسدة امامنا في أداء الحكومة الحالية برئاسة الدكتور الببلاوي بشكلها التقليدي حيث تعصف رياح الثورة بجماهير الشعب في الشارع والمدينة والقرية، لكن التناقض هائل بين روح شباب الثورة المفعم بالحركة والحيوية والحكومة الغارقة في الروتين وحسابات الموازنة ووسائل سد العجز المالي الرهيب.. ناهيك عن الخوف من اية حركة غير محسوبة تجعلنا ندخل في أزمة مع شريكنا الاستراتيجي الرهيب المعروف باسم أمريكا.

إننا نعرف أننا نواجه خطر الإخوان والحرب ضد الإرهاب ونعلم أن أولوياتنا الوطنية كثيرة ومرهقة وجماعة الإخوان أصبحت تمارس ضد الشعب والجيش والشرطة نوعاً من الحرب الشاملة بمفهومها الواسع بدءاً من جرائم الإرهاب في سيناء وخارجها وحتى إرهاب المدن في كرداسة ودلجا ومظاهرات الجامعات ومحاولات تعطيل الطرق والمواصلات.. إن كل هذه الأزمات لابد أن تدفعنا للبحث عن قيادة وطنية للثورة تكون قادرة على جمع شمل الوطن وتوحيد كلمة أبنائه بلا خوف من أحد او على أحد إلا الخوف على مصر وأبناء مصر ومصالح مصر ومستقبل أبنائها.

واليــوم يتوقف المصريون بإعزاز وإكبــار.. أمام ذكرى جمال عبد الناصر.. وذكرى النصر في حرب أكتوبر الخالدة.. ويبدو أن ثورة ٣٠ يونيه ٢٠١٣ هي التي ضاعفت من أشــواق المصريين لذكريات العزة والكرامة.. فليس سهلاً أن يبكي المصريون جمال عبد الناصر بعد أكثر مــن ٤٣ عاماً على وفاته.. وليس ســهلاً أن يحتفل المصريون بأعياد النصر في أكتوبــر بهذه الحرارة.. فهم يبكون عبد الناصر وكأنه مات بالأمــس فقط.. ويحتفلون بالنصــر وكان وقف إطلاق النار قد تم منذ ســاعات، فقد تشابكت المعاني والرموز، ومن الواضح أن شباب مصر قد اشــتاقوا للكبرياء.. لأنهم رفضوا الانكسار والانحناء في ٣٠ يونيه، كما أنهم مأخوذون بأشــواق الحرية والسيادة.. لأنهم يرفضون الرضوخ للإملاءات الأجنبية.. مهما كان مصدرها ومهما كان خطرها.

ولهذا ارتفعت أصوات شــباب مصر رافضة لزيارات كاترين أشتون ممثلــة الاتحاد الأوروبي للقاهرة.. إنهــم يرفضون وجودها، ويرفضون اســتقبالها.. ويرفضون أحاديثها وتصريحاتها قبل أن تتحدث حتى مع الصحفيين أو المسئولين.. ويبدو أن شباب مصر يرى في وجود أشتون بالقاهــرة الوجه الآخــر للمؤامرة المتكاملة علــى مصر.. لأن جماعة الإخوان بطبيعتها هي العميل القديم والدائم لأمريكا وبريطانيا وأوروبا.. ولــم يكن للجماعــة أن تواصل الحرب الشــاملة على مصر بكل هذه الشراســة والعنف.. لولا الدعم المالي والسياسي الذي تتلقاه من أجهزة

المخابـرات الأمريكيـة والبريطانية ومن تركيا وقطـر.. والمال يصنع المعجزات.. فمن الإرهاب الدموي في سـيناء إلـى مظاهرات العنف والدماء في القاهرة وكرداسـة والعيـاط ودلجا، تتضح لنا أبعاد المؤامرة الكبرى التي تتعرض لها مصر.

من الواضح أن الجماعة تتآمر وتمارس العنف والإرهاب.. ثم تأتي السـيدة أشتون لتتفاوض باسـم الجماعة، ومن أجل الجماعة.. وعلى مصـر أن تقبـل أو تواجه ما يترتب على ذلك مـن غضب أمريكي، أوروبي، ومؤامرات الإرهاب وعنـف الجماعة.. والقصة واحدة.. وهذه هي فنون الحرب والدبلوماسية.

لقد اضطرت مصر إلى تمديد العمل بقانون الطوارئ بسبب الإرهاب وجرائمه.. وحان الوقت لحظر الجماعة وأنشـطتها ومظاهراتها.. ليس فقط بالقانون.. بل بإرادة الشعب وباسم الشعب الذي يقف ضد الجماعة ومؤامراتها.

الباب الأول:

- الفصل الأول: في انتظار معجزة ٣٠ يونيو!
- الفصل الثاني: مرسي خرج من التاريخ!

في انتظار معجزة، قبل ٣٠ يونيو!

هـــل انتهى الكلام؟! هل توقف الزمن وانتهى التاريخ؟! لا أحد يدري علـــى وجه اليقين، لكن من الواضـــح أنه لم يعد في كل القواميس بكل اللغات، كلمات أو صفات تكفي لوصف أو توصيف الموقف العصيب الذي وصلت إليه مصر في هذه الأيام.

فقد وصلت مصر إلى نقطة خطر فاصلة لم يســبق لها مثيل في تاريخنـــا كله وربما قلنا أن مصر تحولت إلى ســاحة واســعة للصراع المغلق.

فقد أصبح الثلاثون من يونيو، ســيفاً مسلطاً على رقبة مصر وعلى رقاب المصريين، بعد أن وصل الصراع على مصر إلى حافة انكســار حاد للوطنيــة المصرية وللأمن القومي لمصــر، وربما لم ينجح تيار الإســلام السياسي إلا في شـــيء واحد فقط هو فرض التقسيم الطائفي علـــى مصر، وهذه هي النتيجة الطبيعيـــة لمحاولات احتكار الدين من أجل السياســة، واحتكار السياسة باســم الدين، بهدف الانفراد المطلق بالسلطة، وضرب التجربة الديمقراطية في مهدها.

هكذا أصبح وجــود مصر كما عرفناها على مر التاريخ في مهب الريــح، وأنها في خطر ومؤسســاتها الوطنية تكافح في ســبيل البقاء،

والعجيب أن رياح الخطر القادمة من داخل مصر تبدو أشد وأقوى من عواصف التدخل الخارجي على قسوتها وجبروتها.

نعم أصبح كيان مصر الوطني مهدداً بالانقسام رغم أننا كنا نفتخر دائماً بأن مصر غير قابلة للانقسام، وتستحيل على التقسيم ومن الغريب أن يحدث كل ذلك رغم أننا فشلنا منذ ثورة يناير ٢٠١١ في أن نقدم شيئاً جديداً إلى الشعب، فلم يطرأ على حياة المواطن أي تقدم أو تحسن، بل إن أسباب ووسائل الحياة تتراجع باستمرار وتنسحب إلى الخلف مع ارتفاع الأسعار المرهق، ومع أزمات السولار والبنزين التي تبدو بلا حل ولن نتحدث عن التدهور في خدمات الكهرباء والمياه والمدن الكبرى والقرى التي عادت إلى ظلمات العصور الوسطي، هكذا تتكامل العودة للعصور الوسطي لتكون عودة سياسية ومادية كاملة، لا نقصان فيها وضاقت بنا الأرض، ولم تبق مساحة للحركة الحرة أو المناورة السياسية الصحيحة، وفي لحظات العجز عن اتخاذ القرار الصحيح في التوقيت الصحيح من الطبيعي أن تؤدي بنا كل الطرق إلى مأزق خطير وحائط سد.

فالشارع يغلي بالانقسام والقرار السياسي عاجز عن إيجاد مخرج، ربما لأن تيار الإسلام السياسي يرى في وجوده الحالي على قمة السلطة فرصة العمر، وهي فرصة تاريخية أو هكذا هم يتصورون رغم أنها تجربتهم الأولى في السلطة والخطأ وربما الفشل وارد في أية تجربة.

إن الصراع على مصر، بين المصريين هو أخطر الصراعات على الإطلاق، وهو أيضا أكثرها مرارة وهو ليس في صالح مصر وشعبها.

كما أنه لا يخـدم حتى المصالح الضيقـة للجماعة وتيار اليمين الديني، ربما كانت هناك فرصة وحيدة لإنقاذ مصر لكنها في يد صانع القرار السياسـي في لحظة فارقة من الزمن وهذه قصة سـاعات قليلة قادمة لكنها حاسمة ونرجو الله ألا تكون ساعات ندم أو إراقة دماء!!

وفي هذا الكتاب:

انتفاضات الربيع العربي أو الشعب يريد إسقاط النظام.

يؤكد الكاتب الصحفي الإنجليزي جيرمي باون:

إن مصر تعيش حاليا في لحظة انتقال رهيبة من شتاء الغضب في ثورة يناير ٢٠١١ إلى صيف الانقسـام السـاخن في ٢٠١٣ وهي في الواقع المخاض العسير في فترة ما بعد سقوط نظام مبارك.

فقـد زال نظام وجاء نظام وتغيرت الوجوه في قمة السـلطة وبقيت أسـباب الثورة قائمة وغائرة في صدور الشـباب الغاضب الباحث عن فرص الحيـاة الأفضل التي تتضاءل يوماً بعد يـوم في أجواء العجز الاقتصادي المزمن، ويبدو أن الشـارع يغلي بالانقسـام والغضب هذه المـرة، ليس لأن شـباب الثورة الأولى في ينايـر ٢٠١١ يعيش خارج السلطة وأحيانا داخل السجون.. ولكن لأن الثورة لم تحقق أهدافها، ولأن الثورة ترفض من يريدون فرض سطوتهم على وجه الثورة الأصيل التي

كانت تطالب بالتغيير من أجل العيش والحرية والعدالة الاجتماعية.

ويقول جيرمي باون:

إن المصريين استسلموا لأعراض وأسباب الثورة والتمرد من جديد مع فارق هائل هذه المرة، هو أن أقدامهم أصبحت تعرف الطريق جيداً إلى ميدان التحرير، ميدان التمرد والغضب والثورة، نعم الطريق إلى الثورة أصبح معروفا.

لم يعد في قلوب المصريين مكاناً للخوف، بعد أن اكتشف المصريون السر الحقيقي في «فيزياء الثورة»، حركة الجماهير الواسعة بالملايين التي لا يمكن لأي سلطة مهما كانت الوقوف في وجهها ومنعها من تحقيق أهدافها.

ويمسك جيرمي باون بقلب الحقيقة حين يؤكد:

أن قوى الاستعمار الأوروبي القديم تحالفت مع القوة الأمريكية الصاعدة بعد الحرب العالمية الثانية، ولم يكن الهدف من وراء ذلك مواجهة الاتحاد السوفيتي السابق فقط، بل كان الهدف أيضاً حصار النظم العربية الوطنية بقيادة جمال عبد الناصر وحرمانها من تحقيق أهدافها في التنمية والتقدم ودفعها إلى استهلاك طاقاتها في صراعات إقليمية وداخلية وغرس الإحساس بالهزيمة والانهيار المعنوي في قلوب وعقول القيادات والمواطنين على السواء من الخمسينيات إلى ٢٠١١.

لقد عاشت الشعوب العربية تحت الحصار دائماً من جانب قوى

الاســتعمار القديم والحديث حتى لا يبقى أمام أية دولة أو نظام عربي ســوي فرصة واحدة للبقاء، بالبقاء في خدمة مصالح الهيمنة الأمريكية وخدمة أمن إســرائيل بصرف النظر عن أية مصالح وطنية للشــعوب العربيــة وهذه هي القصة الحقيقية لأزمة الضياع التي تعاني منها دول وشعوب الربيع العربي!!

ولــو رجعنا للوراء قليلا، كما يقول باون لاكتشــفنا أن ما حدث في خمســينيات القرن الماضي لا يختلف كثيراً عما جرى وحدث في يناير ٢٠١١، ودائمــاً نجد أن ما يحدث في مصر هــو أهم الأحداث ففي عام ١٩٥٢ شــعر المصريون بالغضب الحاد بسبب استمرار الاحتلال البريطاني، ورغم أن بريطانيا كانت في حالة انسحاب من الإمبراطورية في الشــرق الأوســط، إلا أنها احتفظت بأكثر من ٨٠ ألف جندي في قاعدة قناة السويس.

كانــت مصر هي مركز العاصفة ضد الاحتــلال البريطاني وضد التبعية والاســتعمار الغربي، فهي أكبر الدول العربية من حيث السكان والثقافة والتعليم، ولذلك كانــت هي الأكثر قدرة على التأثير في العالم العربي، وفي نهاية الأســبوع الأخير من يناير ١٩٥٢، شهدت القاهرة موجة هائلة من الإضرابات والاضطرابات انتهت بحادث حريق القاهرة الغامض، وكانت البداية حين قام رئيس الوزراء الوطني النحاس باشــا بإلغــاء معاهدة ١٩٣٦، وقال كلمته الشــهيرة مــن أجل مصر وقعنا

معاهدة، ١٩٣٦ ومن أجل مصر نعلن إلغاء معاهدة ١٩٣٦ التي كانت تسمح لبريطانيا بنشر عشرات الآلاف من جنودها في قاعدة السويس.

معركة الإسماعيلية

وحين تصاعدت عمليات الفدائيين ضد الجنود الإنجليز في قاعدة القناة، قامت القوات الإنجليزية بمحاصرة أحد أقسام الشرطة في ضواحي الإسماعيلية وطالبت الضباط والجنود المصريين بالاستسلام وتسليم أسلحتهم وانتهت المعركة بحدوث مذبحة كبرى لجنود الشرطة المصريين الذين استشهد منهم أكثر من ٤٦ ضابطاً وجندياً وأصيب ٧٢ آخرون.

وفي اليوم التالي ٢٦ يناير ١٩٥٢ حدث حريق القاهرة المروع حيث خرجت الجماهير الغاضبة إلى الشوارع الراقية بوسط المدينة قرب ميدان التحرير مركز الثورة في ٢٠١١، وقامت الجماهير بإحراق كل المباني والمؤسسات التي يشتبه في أنها ترمز إلى سلطة الاحتلال الإنجليزي لمصر مثل مكاتب توماس كوك ودور السينما وفندق شبرد، الذي كان يشتهر بالبار الجميل الذي كان يرتاده ضباط جيش الاحتلال خلال إجازاتهم كما احترقت المحلات الراقية في ميدان سليمان باشا مثل محلات جروبي وصيدناوي والصالون الأخضر مع العشرات من المطاعم والبارات التي كانت تعمل بالنظام الأوروبي.

وكان حريق القاهرة هو الحادث الذي فتح الأبواب واسعة أمام قيام

ثـــورة يوليو ١٩٥٢ بقيادة جمال عبـــد الناصر، الذي تمكن هو ورفاقه مـــن الإطاحة بالملك فاروق، وخلال الأعـــوام القليلة التالية قام جمال عبد الناصر بتوجيه ضربة قاتلة للاستعمار البريطاني حين أعلن قراره التاريخي بتأميم شركة قناة السويس العالمية في يوليو ١٩٥٦.

بين واشنطن وموسكو

ومن بداية حياته السياسية في قيادة مصر، سعى جمال عبد الناصر إلـــى التقارب مع الولايـــات المتحدة ضد الاحتـــلال البريطاني لبلاده، ثـــم اضطر إلى التقارب مع الاتحاد الســـوفيتي الســـابق للوقوف ضد الهيمنة والسنـــيطرة الأمريكية ومحاولات التوسع الإسرائيلي في الأراضي العربية.

ولم يخـــف عبد الناصـــر محاولاته لتصحيح الأوضاع السياســـية في العالم العربي بإســـقاط وتغيير النظم الموالية للاســـتعمار الأوروبي والأمريكي، وبالفعل نجحت جهود عبد الناصر في إسقاط النظام الملكي الحاكم في العراق وإسقاط حكومة نوري السعيد وفي هذه اللحظة الرهيبة كشر الاستعمار البريطاني والأمريكي عن أنيابه كما يحدث الآن حول سوريا بالضبط، وقامت بريطانيا في ١٩٥٨ بإرسال وحدة من المظلات والمدفعيـــة البريطانية لتأمين النظـــام الملكي الحاكم في الأردن وقامت قوات مشاة البحرية الأمريكية «المارينز» بالنزول على شواطئ بيروت

في استعراض واضح للقوة وفي محاولة بائسة لوقف طاعون سقوط النظم الموالية للاستعمار في العالم العربي.

في عام ١٩٥٨ كان يبدو أن العالم العربي على شفا مرحلة تغيير عميق وواسع، مثلما حدث في ٢٠١١.

ويقول المؤرخ الإسرائيلي «رآفي شالايم»:

إن التاريخ فشل في أن ينحني لصالح عبد الناصر وأحلام القومية والوحدة العربية كانت شوكة الاستعمار أقوى وأصلب وتحت حصار الهيمنة والسيطرة الأمريكية والأوروبية تراجعت قيم الديمقراطية والحريات، وانسحبت لصالح الحرص على أمن النظام واستمرت الأوضاع والصراعات في العالم العربي حتى حدثت مؤامرة العدوان الإسرائيلي في يونيو ١٩٦٧ وهي الضربة العسكرية القاصمة التي حطمت أحلام القومية العربية وتراجعت أحلام العروبة وماتت كل التطلعات المشروعة للعرب، وأحاطت الشكوك بكل شيء وبدأت ظاهرة البحث عن إجابات على الأسئلة الصعبة القديمة داخل الجوامع والمساجد، وبدأت جماعة الإخوان المسلمين تتحرك سراً وتحت الأرض.

ويقول جيرمي باون:

إن فكرة «الإسلام هو الحل» بدأت تطرح نفسها على العقل العربي منذ القرن التاسع عشر، في محاولة بائسة لمواجهة عملية التراجع القومي في العالم العربي ولكن بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ أصبحت فكرة «الإسلام

هو الحل» تطل برأسها بقوة خاصة في وقت كانت فيه أحزاب المعارضة محظورة ولم يبق سوى المساجد حيث يلتقي الناس أثناء الصلاة بحرية بدون حواجز أو محظورات ومن هذه النقطة بدأت حركة الإسلام السياسي في الظهور داخل مصر، وانتعشت بعد الرحيل المفاجئ لجمال عبد الناصر في أواخر سبتمبر ١٩٧٠، وبعد انسحاب السوفيت الشهير من أفغانستان، عادت الجماعات الإرهابية والجهادية إلى مصر والدول العربية الأخرى وبدأت تمارس العنف والإرهاب ضد النظم القائمة في محاولة لإسقاطها بالقوة المسلحة لأن هذه الجماعات الإرهابية كانت ترى في النظم العربية الحاكمة جماعات كفر وإلحاد.

الشرارة

وجاءت شرارة البداية من الثورة الإيرانية التي تحولت بسرعة عجيبة من ثورة وطنية طبيعية إلى حركة دينية، وتحولت إلى نموذج وتصورت جماعات الإسلام المسلح أنها قادرة على تكرار التجربة ولجأت جماعة الإخوان المسلمين إلى رؤية بعيدة المدى حرصت من خلالها على جمع وحشد التأييد الشعبي من خلال النشاط الخيري وتقديم الدعم المالي والخدمات لطلبة الجامعات الفقراء. ولابد أن نعترف أن الشعوب العربية منذ استقلالها عن الاستعمار الأوروبي في النصف الثاني من القرن العشرين، قد عاشت في ظل حكومات

ديكتاتورية، تقمع الحريات وتعادي مبادئ الديمقراطية الحقيقية وكانت هناك صفقة ضمنية بين الشعوب والنظم المستبدة هو أن تتعهد الدولة بتوفير الوظائف وخدمات التعليم والصحة والطعام الرخيص والوقود مقابل عدم الشكوى من غياب الحريات وتمكنت دول الخليج العربي والعراق وليبيا من الوفاء بالتزاماتها تجاه شعوبها من خلال الثروات البترولية الهائلة المتوفرة لديها لكن النظم القائمة في الدول الفقيرة مثل مصر وسوريا فشلت في الوفاء بالتزاماتها تجاه شعوبها بدون رعاية قوة عالمية، مثل الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتي السابق، ولهذا رفض المصريون الخضوع للديكتاتورية بلا مقابل حقيقي، وهذا يعني أن الفشل الاقتصادي في مصر سبق الثورة وكان السبب الأكبر في اشتعالها.

اللعبة الأمريكية

وبعد سقوط السوفيت، انفردت الولايات المتحدة بقواعد اللعبة في العالم العربي، وحرصت واشنطن على تقديم كل دعم ممكن للنظم العربية الديكتاتورية الرئيسية في العالم العربي خاصة في مصر والمملكة السعودية طالما أنها تخدم المصالح الأمريكية الأساسية في سهولة الوصول إلى حقول البترول وضمان أمن إسرائيل.

هكذا لم تعبأ أمريكا ودول أوروبا بقضايا الحريات وسيادة القانون

فـــي علاقاتها مع حلفاء أقوياء مثل حســـني مبارك والنظام الحاكم في المملكة السعودية.

ومـــن المصريين من يشـــعرون بالفخر لأنهم وقفـوا ضد الرئيس الســـابق حســـني مبارك ونظامه بالمعارضة والرفـض وهو في قمة الســلطة والعنفوان، لكنهم يعترفون بأن الســـيطرة والسيادة كانت في النهاية لدولة البوليس.

فيزياء الثورة

لكـــن حدث تغيير ما فجأة فـــي قواعد اللعبة السياســـية في العالم العربي، أدى إلى انتشـــار حركة الانتفاضة والتمرد خلال ثورات الربيع العربي، فقد اكتشـــف الجيل الجديد من الشـــباب الثائر السر الحقيقي وراء القدرة على التمرد والثورة، وهو القدرة على الحشد الهائل للجماهير بمئات الآلاف وربما بالملايين.

وتقول بعض التقديرات:

أن الرئيس مبارك لم يتنازل عن السلطة إلا بعد أن احتشد أكثر من ٢٠ مليونا من المصريين بالقاهرة والإسكندرية وبالمدن الكبرى في الدلتا والصعيد ونجحت حشود الجماهير الغفيرة في الوقوف أمام جنود أجهزة الأمن والقمع السياسي في الشوارع.

ويقول جيرمي باون :

إنه يبدو أن الرئيس مبارك قد تنازل طوعا عن موقع مصر القيادي في العالم العربي وأفريقيا مقابل «نعمة» الاستقرار الطويل.

وحســـب موازين القوى العالمية، مازالـــت الولايات المتحدة هي قوة الهيمنة الأولى في العالم العربي.

ولكن بعد ثورات الربيع العربي اتضح أن أمريكا مثل أية قوة أخرى في العالم لديها من الأسئلة الصعبة أكثر مما لديها من الإجابات.

كما أنها فقدت الكثير من قدرتها على ممارسة الضغط والتأثير على النظم العربية الناشئة أو القادمة.

فقد حرصت واشـــنطن على تقديم المال والســـلاح لأي نظام عربي لديه القدرة على تأمين مصالحها في الشـــرق الأوسط ومنذ الخمسينيات فـــي القرن الماضي، كانت تبحث عن دول عربية لديها الرغبة في بيع البترول بأســـعار رخيصة لأمريكا وحلفائها مع تأمين قطعة من الأرض في فلسطين تقوم فيها دولة إسرائيل التي لا يجب أن تتعرض لتهديدات ومخاطر لا يمكن لأمريكا أن ترد عليها لكن بعد ســـقوط الرئيس مبارك أدرك الأمريكيـــون في لحظة الحقيقة أنهم فقدوا أفضل الأصدقاء وأقوى الحلفاء.

وفي واشـــنطن الآن من يرون أنه لم يبق في متناول أمريكا وصانع القرار في البيت الأبيض سوى أن ينظر وينتظر ما هو قادم من أحداث

ويرى بعض الخبراء في واشنطن أن حصار النظام السوري تحت نيران الحرب الأهلية هو الورقة الأخيرة لإعادة تشــكيل الشرق الأوسط حسب المصالح الأمريكية في القرن الجديد.

الفصول الأولى للثورة

وهكذا نكتشــف من جديــد أن ثورات الربيــع العربي لم تحدث في فراغ عالمي، لأن القوى العالمية لها أيد ســرية وعلنية تحمي مصالحها وتسعى لتغيير وجه الأحداث، بل وتغيير وجوه وقيادات الدول والأنظمة في العالم العربي.

ويقول جيرمي باون:

أن الثورة في مصر لم تستقر بعد وربما يعيش المصريون حالياً في الفصول الأولى للثورة لأن تيارات الإســلام السياسي لا تملك الإجابات الكاملة على الأسئلة التي يطرحها الشارع السياسي.

خاصة بعد أن اشــتركت الطبقات الوســطي والفقيرة في عمليات الحشد الجماهيري خلال مظاهرات الشوارع والميادين.

لقــد تواجد المثقفون وأصحاب الياقــات البيضاء بقوة في مظاهرات يناير ٢٠١١.

لكنهم لم يشــكلوا قوة الحســم خلال الثورة، بل ربما لم يكن لهم من دور في الثورة ســوى التواجد لكن قوة الحســم كانت لحركة الجماهير

الواسـعة بالملايين فهي التي صنعت لحظة الحسـم فـي ١١ فبراير ٢٠١١ حين تنازل مبارك عن السلطة.

قبـل ٢٠١١ كان الثوار والمعارضون في العالم العربي يشـعرون بالعجز عن مواجهة الأنظمة السياسـية الديكتاتورية، وظل هذا الوضع قائمـاً حتى شـاركت الكتلة الحرجة من الجماهير الواسـعة في حركة التمـرد والثورة بعد أن فقدت النظم القديمـة مبررات الوجود وأي نظام سياسي يكرر تجربة العجز السياسي والاقتصادي يفقد مبررات ودواعي وجوده المنطقية والسياسـية لأنه يبقى بلا مشروع سياسي حقيقي وهذا هو سر الغضب الرهيب والانقسام السياسي الهائل داخل مصر حاليا.

ويبدو أن مصر تنتقل بصعوبة بالغة من شتاء الغضب والثورة في يناير ٢٠١١ إلى صيف الانقسام الساخن في ٣٠ يونيه ٢٠١٣ وتبقى مصر في انتظار معجزة سياسـية تنقذها من هاوية الانقسام السياسي التي تبدو سحيقة وبالغة الصعوبة، المصريون يجهلون ميكانيكا تداول السلطة.

مرسي خرج من التاريخ!

مصر، كانت في انتظار معجزة ٣٠ يونيو ٢٠١٣، أو مصر كانت على موعد مع معجزة الثورة الثانية، التي أكدت من جديد قدرة الشـعب علـى أن يقول كلمتـه بقوة، وأن يفرض إرادته بحسـم، وأن يقيم دولة العدالة والحريات مرة واحدة وإلى الأبد.

انتهى عصر محمد مرسـي مبكراً جداً، مهما كانت النتائج، ورحل عن قصر الرئاسـة، حتى بدون أن يعلن استقالته، زالت دولة الإخوان، ولن تقوم لها قائمة مرة أخرى، بصرف النظر عن أية تفاصيل أخرى.

فهذه ليسـت مجرد ثورة عادية أو حركة شـعبية وطنية، لأن شعب مصر قام بجراحة دقيقة وبالغة الصعوبة لفصل الدين عن جسد الدولة، لصالح الإسـلام ومن أجل إقامة الدولة المدنية الحديثة، دولة الدستور وسيادة القانون.

وقد أثبتـت التجربة على مدى عام كامـل أن الإخوان ليس لديهم مشـروع للعصر الحديث، ليس لديهم مشـروع لتحقيق التنمية والتقدم ورفع مسـتوى المعيشـة، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وأثبتت التجربة أن التجارة بالدين لا تسـتهدف سوى «تمكين» الجماعة وفصائلها من

السلطة ومؤسسات الدولة على حساب الشعب وعلى حساب المصالح الوطنية لمصر في هذا الجزء من العالم.

وقد تحدث جيرمي براون مراسل البي بي سي في الشرق الأوسط! عن كتابه الشعب يريد إسقاط النظام والذي تنبأ فيه بما سيحدث في ٣٠ يونية وقال براون أن التجربة أثبتت أن الرئيس «السابق» مرسي وجماعته، يرفضون آليات الديمقراطية ولا يؤمنون بمبدأ تداول السلطة، فالدول الديمقراطية في كل مكان تلجأ إلى آلية إجراء انتخابات رئاسية مبكرة كلما حدث انقسام في الشارع السياسي، يؤكد أن شرعية الرئيس الموجود في السلطة لم تعد قائمة، وينسى الجميع أن شرعية أي رئيس أو أي نظام سياسي تكون في حالة اختبار دائم أمام الشعب والناخبين، وقد فشل محمد مرسي في اختبار الشرعية مبكراً جداً ومنذ الإعلان الدستوري البائس الذي أصدره في نوفمبر ٢٠١٢.

لم ينجح محمد مرسي وجماعته إلا في شيء واحد فقط هو إثارة غضب ملايين الشعب، من أسوان وحتى الإسكندرية، وفي النهاية أكد الشعب أنه قادر على أن يقول «لا.. لمحمد مرسي»، كما قالها من قبل لحسني مبارك، وهكذا، رحل مرسي، كما رحل مبارك، بأمر الشعب والجماهير الغاضبة، قد يحدث أن يركب مرسي رأسه ويرفض الرحيل والامتثال لإرادة الشعب، وقد يطل الإرهاب برأسه من جديد في وجوهنا، لكن الشعب فرض إرادته، وقال كلمته، ولن تقوم في مصر أحزاب

على أساس دين أو بدعوى رجعية دينية مرة أخرى، مصر مهد الأديان والإيمان وكنانة الإسلام، بدون دعاوى وادعاءات الإخوان.

لقد كنا نتعاطف معهم في الماضي حين كانت تطاردهم أجهزة الأمن والدولة، لكن الشعب اليوم هو الذي يرفضهم، لأنه اكتشف زيف انتمائهم للإسلام، فهم يتخذون من الإسلام والإيمان وسيلة للقفز على السلطة والانفراد بكل مؤسسات الدولة، بدون أن يكون لديهم مشروع وطني يحقق مصالح الشعب، وفي النهاية نكتشف أن ولاء الدكتور مرسي للإخوان وللتنظيم الدولي للإخوان يسبق الولاء للشعب وللدولة المصرية.

وفي لحظات الحسم، خلال الساعات القادمة، إذا لم يستسلم محمد مرسي لإرادة الشعب فلن يضمن له أحد الخروج الآمن هو أو أعضاء جماعته، الذين اختفت وجوههم بسرعة لم يتوقعها أحد من المشهد السياسي.

هل كان هناك أحد أن يتوقع من الشعب المصري أن يكرر الثورة ضد دولة الظلم والقهر خلال أقل من ثلاثين شهرا؟

الحقيقة أن الشعب قام بتصحيح مسار الثورة، أو استعادة ثورته من غاصبيها بحركة شعبية هائلة، شارك فيها عشرات الملايين من المصريين.

الجماعة بقيت سرية

ولذلك يقول جيرمي باون في كتابه «الشـــعب يريد إســـقاط النظام» أن المصريين عادوا بالملايين إلى ميدان التحرير، بحركة لا إرادية، أو تكاد أن تكون، بعد أن تعرضوا لاستفزازات متواصلة من جانب الرئيس مرســـي وجماعته في فترة اقتصادية عصيبة يعاني فيها المصريون من فوارق اجتماعية فادحة.

وتعالى صراخ المصريين وهم يرفضون عملية «الأخونة» المنهجية للدولة ومؤسســـاتها من خلال تعيين أبناء «الأهل والعشــيرة» في أرفع المناصــب، رغم أنهم لا يمتلكون الخبــرة أو الكفاءة اللازمة لمثل هذه المناصب.

وقالها الدكتور محمد البرادعي بوضوح، إنا لإخوان ليســوا مؤهلين للحكم وإدارة شئون الدولة.

.. واليـــوم، بالدمـــاء والدموع والثورة يفرض الشـــعب إرادته، لتكون مصر اليوم على موعد مع الثورة ضد محمد مرســـي وجماعته، كما أن مرسي على موعد مع الرحيل عن السلطة إلى الأبد.

أعراض الفشل

وكما قالت «حركة تمرد»، فإن ٢٢ مليون مصري يطالبون الدكتور مرســـي بالرحيل، إن مصر تعيش حالياً في ســـاعات صعبة وعصيبة

لكنها حاسمة بالنسبة للشعب ومؤسسات الدولة، وفي لحظة الحقيقة قد تضطر القوات المسلحة للتدخل، بهدف تحقيق إرادة الشعب، باعتبارها الشرعية الوحيدة المعترف بها.

وتواكب كل ذلك مع الفشـــل الاقتصادي والاجتماعي، حيث تصور المصريـــون إن مجرد تغيير نظام مبارك ســـوف يؤدي إلى تحســـين ظروفهم المعيشـــية، والوضع الأمني في البلاد يزداد ســـوءاً والفوضى تنتشـــر في كل مكان، ويؤكد كل الخبراء أن الإخوان حاولوا أن يبيعوا الإســـلام إلى شعب مشبع بالإيمان!! انعدمت لديهم كل مواهب الإدارة السياسية والاقتصادية، إنه الفشل التام، الذي أدى إلى ثورة شعبية هائلة لم يتوقعها أحد، رغم أن شبح الإرهاب يغرد في ميدان رابعة العدوية.

لحظة غريبة

فقد صعدت جماعة الإخوان المسلمين إلى السلطة في لحظة غريبة مـــن تاريخ مصر بعد ثورة يناير ٢٠١١، بعـــد أن خمدت نيران الثورة وتلاشى غبارها، واســـتعرضت الجماعة وقوى اليمين الديني قواها في الشارع السياسي وادعت أنها تمثل الكتلة الحرجة من المجتمع.

طرحت جماعة الإخوان نفسها أمام الشعب بعد ثورة يناير، رغم أنها لديها تاريخ طويل، كانت خلاله تطرح نفســـها دائماً في خدمة كل ملك أو رئيس يتواجد في السلطة، ولم يكتشف حقيقتهم السياسية مبكراً سوى

الرئيس جمال عبد الناصر، ولذلك كان أول من تعرض لمحاولة اغتيال على أيدي مجموعة من أتباعهم في ١٩٥٤.

ويقوم جوهر الفكر الإخواني كما يقول الدكتور حازم قنديل على أساس أن الإيمان بالدين والإسلام يفتح الأبواب واسعة أمامهم للانفراد بالحكم، وبادعاء الدين والإسلام يدفعون المجتمع دفعاً للاستسلام لسلطتهم الديكتاتورية، ويبررون تغول سلطاتهم على الناس بالإسلام، وبأن الخروج على سلطتهم كفر وخروج على الإسلام!! وهذا ما حدث فعلا في مؤتمر الأهل والعشيرة الذي عقده الرئيس السابق مرسي في الصالة والمغطاة باستاد القاهرة، قبل الثورة الثانية بأيام.

السلطة المطلقة

وهنا يوضح كيف أن الإخوان المسلمين يمكن أن يلجأوا إلى ممارسة أشرس أنواع الديكتاتورية، المهم ألا يكونوا هم من ضحاياها.

كانوا يتصورون أن انفرادهم بالسلطة المطلقة يمكن أن يتيح لهم الفرصة للإطاحة بكل منافسيهم في الساحة السياسية، ليس فقط جميع القوى والأحزاب المدنية المؤمنة بالفكر الليبرالي والدولة المدنية، وبأساليب وتقاليد الديمقراطية، بل إنهم كانوا يخططون ويستعدون لضرب المؤسسات السيادية والأمنية للدولة واحتوائها تحت أجنحة الجماعة الغليظة!!

ربمـــا حرصوا دائماً على عدم الدخول فـــي حالة مواجهة أو عداء مع القوات المسلحة والشـــرطة، أو حتى مع جماهير الشعب الواسعة، لأنهم على يقين من قدرتهم على الوقوف بأقدام صلبة في وجه الجميع، وإجبار الجميع على الاستسلام المطلق لسلطان الجماعة وقياداتها.

فقـــد تصوروا أنهم ســـوف يتفوقون في النهاية حتـــى على القوات المسلحة والمؤسســـات الأمنية العليا للدولة، وتتصور العقيدة الإخوانية أنهم باســـتخدام الدين، سيأتي يوم يكون فيه الشرطي في الشارع إخوانياً والقاضـــي فوق منصته إخوانياً والجندي والضابط إخوانياً، ولا مكان في الصحافة والإعلام لمن ليس إخوانياً.

صدمة ودهشة

وشعر المراقبون حول العالم بالصدمة، وتساءلوا في دهشة هل يمكن للاســـتراتيجية الإقصائية للإخوان أن تنجـــح ذات يوم في مصر، بكل تاريخهـــا الطويل مع التحديث والانفتـــاح على العالم منذ عصر محمد علي وحتى اليوم؟!

وجاءت الإجابة بســـرعة لم يتوقعها أحـــد حين حدثت معجزة الثورة الثانيـــة في ٣٠ يونيو ٢٠١٣، فقد حدث الصـــدام مبكراً بين الإخوان والشـــعب، وهم يدركون جيداً أن القوات المســـلحة سوف تنفصل تماماً

وتغســل أيديها من نظامهم عند أول أزمة مع الشعب، كما فعل الرئيس جمال عبد الناصر من قبل.

فهم ليسوا جماعة تنويرية، وكأن الله قد طمس على عيونهم، فلا يرون العصر وما فيه مــن متطلبات التغيير والتقدم، ولا يخفى على أحد أنه حتى قيادات القوات المســلحة لم تثق يومــاً في جماعة الإخوان، وكان هناك دائماً خوف من مخاطر واحتمالات تغولهم على السلطة واحتكارهم لمؤسسات الدولة، كما حدث حين فرضوا الدستور الإخواني على الشعب في لعبة سياسية مكشوفة، لم يقبلها أحد في الشارع السياسي.

الشاطئ الخطأ

وتكشف حقيقة الثورة القائمة في الشارع المصري حالياً ضد الإخوان وســلطة الإخوان أن هذه الجماعة وقفت على الشاطئ الخطأ من بحر التاريخ الواسع، والهائج ضدهم!!

والعجيــب أن القوى الوطنية التي أشــعلت الثورة ضد الرئيس مبارك فــي يناير ٢٠١١، مثل الجمعية الوطنية للتغيير وحركة «كفاية» كانت بلا قواعد جماهيرية واســعة في الشارع السياسي وفي قلب المجتمع، فقد أشعلوا الثورة التي تردد الإخوان طويلا في الانضمام إلى صفوفها، لكنهم قفزوا إلى قمة السلطة في أجواء ضغوط أمريكية أقرب إلى المؤامرة منها إلى العملية السياسية الصحيحة.

وفي النهاية اتضح أن الجماعة التي وصلت إلى قمة السلطة في مصر أضعف من النظام القديم وأسوأ منه من حيث الرؤية والقدرة على إدارة شئون دولة، هي أكبر قوة إقليمية في العالم العربي وإفريقيا.

الموجة الحاسمة للثورة

وفي هذه الأجواء المشتعلة بالتوتر، كان من الطبيعي أن تبدأ سريعًا الجولة الثانية من الصراع على مصر، أو هي الموجة الثانية والحاسمة للثورة المصرية في ٣٠ يونيو ٢٠١٣.

وكانت مظاهر ومشاهد الثورة في ميدان التحرير وعند قصر الاتحادية مثيرة لدهشة العالم، لأنها أسقطت أسطورة ادعاء الإخوان أنهم يمثلون الأغلبية في المجتمع، لأن الملايين التي احتشدت في شوارع مصر لم يسبق لها مثيل خلال ثورات الربيع العربي، منذ أواخر ٢٠١٠ وحتى اليوم.

فقد انفصل شباب الثورة وابتعدوا تماماً عن جماعة الإخوان التي أصبحت الخصم السياسي للشعب كله!! ففي الماضي كانت الدولة وأجهزة الأمن هي التي تقف ضد تطرف جماعة الإخوان والجماعات الإرهابية التي خرجت من عباءتها، لكن الشعب هذه المرة هو الذي يقف ضد محمد مرسي وجماعته، وليس أمامه سوى الاستسلام لإرادة الشعب.

من ساعة لأخرى

ويقـول جيرمي براون في كتابه: إن المناخ في ميدان التحرير وعند الاتحادية يتغير من سـاعة إلى أخرى، كما أن الإحساس بالوحدة بين ملاييـن المتظاهرين كامل ومطلق، لأن مطالبهـم واحد، وهي رحيل محمد مرسي.

وهـذا ما كان يحدث طوال ثورة ينايـر ٢٠١١، خاصة بعد الثاني من فبراير، فقد اشترك ملايين المصريين في رغبة واحدة هي التخلص من نظام مبارك، فقد سـاهمت الثورة فـي الغياب المطلق للفوارق بين المتظاهرين، رغم أن المجتمع المصري غارق في الفوارق بين الطبقات، الفقراء والأغنياء، وظهر دور المرأة المصرية الحديثة في الثورة بصورة بطولية، لم يسـبق لها مثيل في تاريخ الشـرق المليء بالأساطير التي تمنع تقدم المرأة وتعوق حركتها الحرة نحو التقدم والتحرر.

دراما لن تتوقف

ويتوقع جيرمي باون ألا تتوقف دراما الثورات في العالم العربي، بما فيها من أبعاد دينية وسياسـية واقتصادية واجتماعية، وأحياناً يبدو أن صراع العرب مع إسـرائيل يقف حجر عثـرة أمام كل محاولات صنع التقدم وبناء مجتمع الديمقراطية والحريات، أو على الأقل هذا ما حدث خلال ٦٥ عاماً، منذ قيام دولة إسرائيل وحتى اليوم.

ويعترف باون بأنه من الحماقة أن نبالغ في التنبؤات السياسـية، فقد كان يبدو أن الإخوان وتيار الإسـلام السياسـي هو الفائز الكبير في عملية التحول السياسـي بعد ثورة ٢٥ يناير، لكن السياسة تعيد اختراع نفسـها، والشـعوب تغضب وتثور، وتعاود الغضـب والثورة إذا عجز النظام السياسي عن تحقيق أهدافها، والشعب المصري بطبيعته، ينفرد بأنه شـعب لديه دائماً مشـروع حضاري جديد، ولديه تطلعات وطنية كبرى ومشـروعة لبناء الدولة الحديثة الجديرة بمكان لها مرموق تحت شمس القرن الجديد.

في هذه الأجواء المشحونة بالتوتر والعنف والدم أحياناً، من المنطقي أن يرفض أو حتى يقاوم اليمين الديني بقيادة الإخوان المسلمين دعاوى الملايين من أبناء الشعب التي تطالب بانتخابات رئاسية مبكرة، ببساطة لأنه يرفضون التفريط في الفرصة التاريخية الوحيدة التي أتيحت لهم في مصر «للتمكين» والانفراد بالسلطة.

نسخة جديدة للثورة

ومن المؤكد أنه سـتجري في مصر انتخابات رئاسية قادمة ومبكرة، لأن الشـعب الذي خرج في ٢٠١١ ضد الظلم وضد ديكتاتورية حسني مبارك، لا يمكنه التفريط في الحرية التي اقتنصها من فم «الأسد» بالدم والدموع!

إن أعراض الثورة الجديدة التي ظهرت على الشـــعب المصري خلال أقل من ثلاثين شهراً، تؤكد أن الانتفاضات العربية تتحرك من جديد بقوة، وبعنف، وربما دخلنا في مرحلة جديدة قادمة من الاضطرابات والصراعات العنيفة، تضاف إلى الانقسام القديم الرهيب بين السنة والشيعة في العالم الإســـلامي، فهل تكون الحرب الأهلية في سوريا، هي المقدمة الطبيعية للزلزال القادم في العالم العربي؟

وهم يتصورون أن الجماهير الغاضبة ترفض ما يســـمى «بالمشروع الإسلامي»،مع أن المشروع الإسلامي المزعوم لدى الإخوان المسلمين، يعاني من الإفلاس السياســـي والاقتصادي قبل أن يبدأ، ببســـاطة لأنه مشروع للعودة إلى الوراء إلى شرعية الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية التي كانت تفرض ســـطوتها على الشعوب بحد السيف، وحدود الدين، وكله من أجل ضمان طول البقاء للخليفة الحاكم.

قصة الصندوق

إن الديمقراطيـــة تعني ما هو أكبر من الانتخابات والفوز فيها، لأن المهمة الأكبر تقع على من يفوز بأصوات الناخبين، وهي مهمة إعادة بناء دولة القانون والدســـتور، الدولة التي يتمتع فيها كل مواطن بحقوقه في الحرية، والحياة الكريمة، وهي الدولة التي يشـــعر فيها المعارضون

والمنشقون بالأمن، وهي الدولة التي تشعر فيها الأقليات الدينية والعرقية بأنهم جزء من الشعب وليس مضافاً إليه.

وحين فاز مرشح الإخوان في انتخابات الرئاسة في مصر، تراجعت كل أحلام وتطلعات الذين شاركوا وأيدوا الثورة، وفشل الإخوان في إقامة مجتمع التسامح، ولم يستطع محمد مرسي أن يطرح نفسه على الشعب باعتباره الزعيم القادر على بناء وقيادة مجتمع التسامح، وسرعان ما اشتركت قطاعات واسعة جداً من المصريين مع الأقباط في الإحساس بالغربة وهم في بلادهم ويعيشون فوق الأرض التي جاءوا إلى الحياة فيها وهذه أسوأ المشاعر التي تثير غضب وسخط الجماهير الواسعة، لأنهم رأوا الإخوان وقد جعلوا من الدين «مطية» يصلون بها إلى قمة السلطة.

المبدأ الغائب

ويفرض السؤال نفسه، هل حقاً أن المجتمعات العربية لم تصل بعد إلى درجة من النضج السياسي تكفي لبناء الدولة الحديثة؟! فمازالت حقوق الإنسان مهدرة ومنكرة وغير معترف بها في العالم العربي، وكان مفاجئًا أن يتعرض الكثيرون من شباب ثورة يناير للملاحقة والاعتقال، بل والمحاكمة، بعد أكثر من عامين على الثورة.

الباب الثاني

- **الفصل الأول:** التحالف بين الإخوان وأمريكا وبريطانيا!
- **الفصل الثاني:** التمويل الأمريكي البريطاني للجماعة
- **الفصل الثالث:** الوثائق البريطانية تكشف أسرار معركة السويس ٥٦
- **الفصل الرابع:** بريطانيا خططت لإسقاط عبد الناصر بالحرب في ١٩٦٥
- **الفصل الخامس:** أسرار التواطؤ الأنجلو-أمريكي مع الجماعة في القرن الجديد
- **الفصل السادس:** قصة صعود وسقوط الإخوان في مصر!
- **الفصل السابع:** الجماعة هي الخادم الأمين للإمبراطورية الأمريكية.

التحالف بين الإخوان وأمريكا وبريطانيا!

كيف يمكن إنقاذ مصر؟! فقد احتشد الشعب بالملايين في ميادين الثورة والتمرد ضد الديكتاتورية والطغيان، الذي يرفع رايات الدين والإسلام، والإسلام أنقى وأطهر من أن يكون مجرد راية تتخفى وراءها قوى الديكتاتورية والتسلط والظلام، ويبدو أن حركة الجماهير الغاضبة في ثورة ٣٠ يونيو قد كشفت بسرعة الوجه القبيح لنظام محمد مرسي، الذي رفض الانخراط في عملية ديمقراطية ودستورية سليمة، ولجأ مبكراً إلى ترويع الشعب وإرهابه، وتهديده بالعنف وإراقة الدماء، كما شهدنا ورأينا في شوارع القاهرة والإسكندرية وحتى في سيناء.

هكذا استعاد تنظيم الإخوان المسلمين وجهه القديم، وجه القتل والاغتيال والإرهاب، بما يهدد مصر بمخاطر جسيمة وهي في لحظة مصيرية، كما أن السلوك الإرهابي للجماعة وللفصائل المتحالفة معها، ينذر بخروج كل جماعات الإسلام السياسي من العملية الديمقراطية، التي يجب أن تتسع لتشمل كل المصريين، بكل انتماءاتهم الدينية والسياسية بلا تمييز.

إن الثورة بمشاهدها الجليلة تحدث في الشارع وأمام أعين الدنيا بأسرها، وفي وجه التاريخ، لكن تبقى الكثير من الحقائق الغائبة عن

الكثيرين، الذين يخدعهم الخطاب الديني باسـم الإسلام، وهو يستهدف إقامة ديكتاتورية فاشية جديدة، ليس لها مثيل إلا في النظام النازي لهتلر، الذي استغل الديمقراطية للوصول للحكم، وبعد «التمكين» رفض التنازل حتى قاد ألمانيا إلى أسوأ هزيمة عسكرية في تاريخ الحروب كلها.

وفي هذا الكتاب «ملفات سـرية» يكشف الصحفي البريطاني مارك كيرتس أسـرار التحالف الرهيب بين جماعة الإخوان المسلمين ومعها خلايا وتنظيمات الإرهاب مع بريطانيا والولايات المتحدة، بهدف القضاء على جمال عبدالناصر بالاغتيال أو الانقلاب وضرب تجربة الاستقلال الوطني والدعوة للوحدة والقومية العربية، باعتبارها أسوأ المخاطر التي تهدد مصالح الاسـتعمار الأنجلو-أمريكي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم.

ويبدو هذا الكتاب مثل الزلزال الرهيب لأنه يكشـف أسـرار مؤامرات التواطـؤ الأنجلو-أمريكـي مع جماعة الإخـوان والتنظيمات الإرهابية المتحالفـة معها، يهدف خدمة مصالح الاسـتعمار الغربي الحديث في السيطرة على منابع حقول البترول في الخليج العربي، مع الإطاحة بالنظم الوطنية والقومية العربية التي يقودها عبدالناصر في العالم العربي.

وقدمت بريطانيا وأمريكا لهذه الجماعات الدعم المالي والسياسي بعيد المدى، وهـي في الواقع قصة لم يتحدث عنها أحد من قبل، لكن مارك كيرتس يكشف أسـرار التحالف بين الإخوان وجماعات الإسلام السلفي

والاستعمار الأمريكي والبريطاني من خلال ملفات ووثائق الأرشيف القومي البريطاني في لندن.

لعبة الشيطان

ويصف الصحفي الأمريكي «روبرت دريفوس» التحالف بين أمريكا وبريطانيا من جهة والإخوان وتنظيمات الإرهاب التي تحمل راية الإسلام، بأنها «لعبة الشيطان» القديمة، التي أدمنتها السياسة الأمريكية والبريطانية على مدى أكثر من ستين عاما، قدمت خلالها أمريكا وبريطانيا الدعم لجماعات الإخوان المسلمين ولفصائل وجماعات التطرف الإسلامي، بالمال والسلاح، والمأوى ومراكز التدريب.

فقد قدمت المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات البريطانية كل دعم ممكن لقوى وجماعات اليمين الإسلامي في مصر والعالم العربي، وكان هذا التحالف التاريخي هو السبب الأكبر وراء ظهور جماعات الإرهاب التي رفعت رايات الإسلام منذ التسعينيات وحتى اليوم.

إنها القصص السرية للتواطؤ الأمريكي والبريطاني مع جماعات الإسلام المتطرف، والتي بدأت باللقاء السري الذي عقده الرئيس الأمريكي الأسبق دوايت أيزنهاور مع سعيد رمضان زعيم جماعة الإخوان المسلمين بأوروبا في المكتب البيضاوي بالبيت الأبيض، وكان هذا اللقاء الذي جرت وقائعه خلال النصف الأول من الخمسينيات

بهدف تقديم الدعم بالمال والسلاح لجماعة الإخوان المسلمين للوقوف ضد جمال عبدالناصر وحركة القومية العربية التي يقودها، وفي هذا الإطار قامت صلات وروابط عميقة بين الإخوان المسلمين والبنوك الكبرى في أوروبا والولايات المتحدة.

فقد تبلورت استراتيجية أساسية في لندن وواشنطن تقول إن العدو الأكبر لأمريكا وأوروبا هو الاتحاد السوفيتي السابق، لكن الزعماء الوطنيين أمثال جمال عبدالناصر، هم الأعداء المباشرين للاستعمار الأمريكي والأوروبي الحديث في العالم العربي، لأن عبدالناصر ورفاقه ليسوا إلا مجموعة الشياطين التي ترفض الاستسلام للسيطرة والهيمنة الأمريكية والبريطانية.

الحليف الطبيعي

ولذلك رأت أمريكا دائماً أن جماعة الإخوان المسلمين واليمين الإسلامي كله هو الحليف الطبيعي لها في الصراع ضد جمال عبدالناصر الذي يريد الانحياز لمصالح مصر والدول العربية ضد الهيمنة والسيطرة الاستعمارية.

لم يكن الإسلام ذاته هو لعبة أمريكا السياسية، بل كان الدين الذي يؤمن به الملايين من المسلمين، إنها ليست لعبة الإسلام، ولكن لعبة «الأسلمة»، وهي عقيدة سياسية تعود بداياتها إلى أواخر القرن الـ١٩

وهي فكرة قد تبدو في نظر المسلمين الأوائل في العصور الوسطي نوعا مــن الكفر والهرطقة، وهي في الواقع تبدو كذلك للمســلمين المتعلمين في العصر الحديث، لأنهم يرفضون احتكار الدين من أجل السياســة ويرفضون احتكار السلطة والسياسة باسم الدين!!

وقد وجدت أمريكا أن الإســلام السياسي يمكن أن يخدم مصالحها واستراتيجيتها التي تستهدف اقامة امبراطورية أمريكية في الشرق الأوسط، وكان احتــلال العراق في مارس ٢٠٠٣ جزءا من هذه الإســتراتيجية الأمريكية بعيدة المدى، والتي بدأت منذ الخمسينيات وحتى اليوم.

نصف معلومات

ويبدو أن المعلومات لا تتكشــف أمامنا بســهولة، حتى في عصر المعرفة والمعلومات، أو ربما اعترفنا بأن المعلومات تكاد تكون شــاملة لديهم هناك في واشنطن ولندن، لكننا نجد صعوبات بالغة في الحصول على المعلومات، ونظل ســنين طويلة حتى نحصل على أجزاء صغيرة من المعلومات لنكتشــف السر الحقيقي وراء عدوان يونيو١٩٦٧ الذي كان يستهدف إسقاط عبدالناصر وضرب حركة القومية والوحدة العربية التي كان يقودها.

ويقول المفكر الأمريكي الكبير «ناعوم تشوســكي» إن هذا الكتاب يكشــف الملفــات المدفونة تحت الأرض للتاريخ الســري للتواطؤ بين

بريطانيـــا وجماعات التطـــرف والإرهاب في العالـــم العربي، لأن هذا الكتاب يكشف ما وراء الأخبار التي نسمعها اليوم من أسرار في ثورات الربيع العربي.

والحقيقـــة أن مارك كيرتس وضع الجانـــب المظلم من التاريخ تحت المجهر ليكشـــف كيف أن الماضي الاستعماري لبريطانيا هو الذي يقف اليوم وراء ما نســـمعه ونشـــاهده من أخبار ثورات الربيع العربي، وكيف يحاول تيار الإســـلام السياســـي الصعود إلى السلطة في مصر وتونس وسوريا، بعد سنوات طويلة من التحالف مع بريطانيا والولايات المتحدة.

الصراع الزائف

ونكتشف في النهاية انه لا يوجد شيء اسمه الصراع بين الحضارات كمـــا كان يقول الرئيس الأمريكي الســـابق جورج دبليو بوش، ولكن ما يوجد حقا هـــو «تحالف الثعابين» يهدف الحفـــاظ على دور بريطانيا وأمريكا في العالم العربي، وبهذا نكتشف أبعاد الدراما الرهيبة للصراعات التـــي تجري حاليا في مصر ومختلف الدول العربية، انه الجزء المظلم من التاريخ الذي لم يكن أحد يتحدث عنه.

وهنا نكتشـــف أيضا أسرار وقوف بريطانيا وأمريكا مع قوى الإخوان وفصائل الإســـلام السياسي في ســـوريا في الحرب الأهلية الدائرة منذ ثلاث سنوات.

ويقــول مارك كيرتس إن بريطانيا لجأت إلـــى التحالف مع جماعة الإخوان، وقوى التطرف الإســـلامي بسبب تراجع وانهيار الإمبراطورية البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية.

فقد ســـعت بريطانيا للقيام بدور مؤثر في العالم، خاصة في الشرق الأوسط حيث توجد أكبر ثروات البترول والطاقة في التاريخ.

ودخلت بريطانيا ومعها الولايات المتحدة في تحالف استراتيجي دائم مع قوى وجماعات الإســـلام المتطرف بهدف ضمان وتأمين الأهداف السياســـية للبلدين على المدى البعيد، ووصف فريق التخطيط السياسي بوزارة الخارجيـــة البريطانية هذا التحالف أحيانا بأنه «الزواج المؤقت» مـــع قوى التطرف والإرهاب في مصر والعالـــم العربي لتحقيق أهداف ومصالح قصيرة المدى.

وفي هـــذا الإطار لم تتردد الولايات المتحـــدة مثلا في تقديم الدعم المادي الكامل لأســـامة بن لادن، حتى نجـــح في إقامة تنظيم القاعدة الإرهابي، الذي كان يقوده.

روابط قديمة

وكشـــفت التقاريـــر مبكرا جدا أســـرار الروابط الوثيقـــة بين أجهزة المخابرات البريطانية وقيادات وجماعات الإرهاب والتطرف الإســـلامي الذيـــن يقيمون في لندن، ولم تتردد المخابرات البريطانية والأمريكية في

تجنيد قيادات وأعضاء هذه الجماعات كعملاء، بل ومنهم من اشـتغلوا كمخبرين سريين للشرطة الانجليزية في لندن، ومنهم من قاموا بعمليات إرهابيـة قذرة في مصر، ثم لجـأوا إلى بريطانيا بحثا عن المأوي تحت اسم «اللجوء السياسي».

وقد جف حلق الرئيس الأسـبق حسني مبارك وهو يطالب بريطانيا وسويسـرا بتسـليم المتهمين في عمليـات إرهابية فـي مصر طوال التسـعينيات، دون جدوى، لأن المخابرات البريطانية كانت تري شـيئا آخر، وكان للسياسة الخارجية الانجليزية أهدافها وقد اشتركت السعودية وباكسـتان مـع بريطانيا وأمريكا في هذا التحالف السـري الرهيب مع منظمـات وجماعات التطرف والإرهـاب، وقد حصلت هذه الجماعات والمنظمات على كل ما تريده من تمويل بلغ مليارات الدولارات سـنويا منذ ارتفاع أسعار البترول بعد حرب ١٩٧٣.

وتقول الوثائق البريطانية أنه من الناحية السياسية والجغرافية يمكننا القول أن دولتين كبيرتين مثل السـعودية وباكستان تم فرض وجودهما على الخريطة الإقليمية للشرق الأوسط وجنوب آسيا بفضل الاستعمار البريطاني، فقد كان يوجد فـي وزارة الخارجية البريطانية الكثيرون من الخبراء والمخططين الذين رسـموا خرائط الدول والشـعوب في العالم العربي والإسلامي منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى وحتى خمسينيات القـرن الماضي، وفي هذا الإطار ظهـرت دول لم يكن لها وجود من

قبل مثل باكستان والسعودية والأردن، وحتى إسرائيل!! وكل هذه الدول تعاني إلى اليوم من شرعية غائبة، كما يقول كيرتس.

مع الإخوان

وقد انفردت بريطانيا بالتعامل والتعاون مع جماعة الإخوان المسلمين منذ تأسيسها في مصر في، ١٩٢٨ وقدمت بريطانيا للجماعة وقياداتها وأعضائها الدعم والرعاية والمال والسلاح حتى تحولت إلى تنظيم عالمي وشبكة دولية واسعة الانتشار.

ورغم أن بريطانيا تعاونت أساسا مع الحركات السنية المتطرفة، إلا أنها لم تتردد أيضا في التعاون مع الحركات الشيعية المتطرفة في إيران، وتنظيم الإخوان المسلمين الشيعي الذي ساهم في إحباط ثورة مصدق ضد شاه إيران في١٩٥٣.

كما تحتفظ بريطانيا بعلاقات سرية وطيدة مع حركات دينية أشد تطرفا في إيران حتى اليوم، وبعد أكثر من ثلاثين عاما من ثورة الخميني.

وقد عادت بريطانيا مؤخرا للتعاون الواسع مع جماعة الإخوان المسلمين في مصر بعد ثورة يناير ٢٠١١، ومع الجماعات الإسلامية في ليبيا قبل وبعد سقوط القذافي.

بل ولم تتردد بريطانيا هذه الأيام في الاتصال بجماعة طالبان

الإرهابية المتطرفة في أفغانستان، بهدف البحث عن فرص الخروج الآمن لأمريكا وبريطانيا من حرب كارثية في أفغانستان.

دولة الخلافة خطة بريطانية

وقد بدأ فريق التخطيط بوزارة الخارجية البريطانية في إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط والعالم العربي كما نعرفها اليوم، منذ انتهاء الحرب العالمية الأولي، وكانت بريطانيا تقيم الحكام والملوك والأمراء في الأراضي والدول التي رسم المخططون الانجليز حدودها.

لكن بريطانيا كانت تريد أيضا مثل جماعة الإخوان المسلمين، أن تقيم دولة الخلافة الإسلامية من جديد، على أن تكون السعودية هي مركز هذه الخلافة الجديدة، وكان يمكن لمثل هذه الإستراتيجية أن تخدم مستقبل المملكة السعودية، التي كانت مملكة وليدة في ذلك العصر، وبعد الحرب العالمية الثانية واجهت بريطانيا مخاطر ضياع الإمبراطورية مع صعود القوتين الأعظم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق ومع ذلك حاولت بريطانيا الاحتفاظ بأكبر قدر ممكن من النفوذ والسيطرة في الشرق الأوسط، باعتبار أن هذه المنطقة هي محور التخطيط البريطاني للسيطرة والنفوذ بسبب ما يوجد فيها من احتياطيات بترولية ليس لها مثيل.

لكن وقفت حركة القومية العربية بقيادة جمال عبدالناصر في وجه

محاولات فرض السيطرة والنفوذ من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا، حتى أصبح هذا الرجل العدو الأكبر لبريطانيا وأمريكا، لأنه كان يحرض دائما على اتباع سياسة خارجية وطنية مستقلة عن النفوذ البريطاني والأمريكي.

بعد وفاة عبدالناصر

ويقول مارك كيرتس انه بعد انسحاب بريطانيا العسكري من شرقي السويس في الخليج العربي في أواخر الستينيات لم يبق سوي تنظيم الإخوان المسلمين الموالي للغرب الذي اتخذ لنفسه مهمة واحدة هي ضرب النظم الوطنية والقومية العربية وحماية المصالح البريطانية والأمريكية في العالم العربي، ومنذ أوائل السبعينيات كانت النظم الوطنية في العالم العربي قد تعرضت للهزيمة فعلا، خاصة بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ وبعد وفاة جمال عبدالناصر فجأة، وبدأ صعود حركات وقوي التطرف الإسلامي بقيادة جماعة الإخوان في مصر والأردن ضد بقايا القوي الوطنية والليبرالية العربية.

واحتفظت بريطانيا والولايات المتحدة بعلاقاتها الوطيدة بهذه الجماعات حتى بعد أن ارتكبت العديد من جرائم الإرهاب الرهيبة التي سالت فيها دماء غزيرة للأبرياء باسم الدين وباسم الإسلام.

ولم تتردد بريطانيا في تقديم المأوي الآمن، وأعطت لقيادات الإخوان وزعماء خلايا الإرهاب حق اللجوء السياسي في لندن حتى أطلقت الصحافة

الانجليزية على لندن اسـم «لندنستان» على وزن باكستان!! وأصبحت العاصمة البريطانية بشـكل فاضح هي مركز قيادة الإخوان والتنظيمات والخلايا الإرهابية في العالم العربي، وسمحت المخابرات البريطانية لهذه الجماعات بارتكاب أفظع جرائم الإرهاب انطلاقاً من لندن!!

وكان الهدف هو تعزيز الانقسـام داخل مختلف الدول العربية، كما يبدو واضحا الآن في مصر وهذا هو الهدف القديم للاستعمار البريطاني الذي كان يستخدم سياسة «فرق تسد».

وبهـذا تحققت لبريطانيا وأمريكا أهداف اسـتراتيجية كبري، وأهمها فرض السـيطرة على منابع البترول الكبرى فـي الخليج العربي وليبيا والجزائر وهذه هي الأولوية الأولى للسياسة الأمريكية الأوروبية.

وفـي هذا الإطار تبلور تحالف ثلاثي الأبعاد ضم الولايات المتحدة وبريطانيا والسعودية، اشـتركت فيه قوى التطرف الإسلامي وخلاياها السـرية التي تعمل تحت الأرض، وكان الهدف الأكبر لواشنطن ولندن هو إقامة نظام مالي عالمي موالي للغرب.

وتحولت بريطانيا إلى شريك أصغر لأمريكا في قيادة النظام العالمي وتعاونت الدولتان في تقديم الدعم والتمويل لجماعات الإرهاب والتطرف ولـم تتردد بريطانيا في تقديم المال والسـلاح للخلايـا الإرهابية لتقوم بعمليات قذرة، تريدها أمريكا، حتى أصبحت بريطانيا هي الذراع السري لأمريكا، الذي يقوم بالعمليات الإرهابية القذرة من وراء الستار.

عمليات قذرة

وقامــت بريطانيا بعمليات خاصة قذرة بالتعاون مع جماعة الإخوان المسلمين وخلايا التطرف المتفرعة منها، مثل المؤامرة الشهيرة لاغتيال جمال عبدالناصر في ١٩٥٤. وتصاعد الحقد البريطاني ضد عبدالناصر بعد تأميم القناة فقامت بالتخطيط للحرب المباشرة والعدوان على مصر في ١٩٥٦ بالتعاون مع فرنسا وإسرائيل.

ولا يفوتنا هنا أن نعترف بأن بريطانيا وأمريكا لم يخترعا قوى التطرف والإرهــاب في العالم العربي والإســلامي، لكنهما نجحا في اســتغلال هذه القوي لتحقيــق أغلي الأهداف والمصالــح الأمريكية والبريطانية وتكشف الوثائق البريطانية أن الحكومات المتعاقبة في لندن كانت تري فــي التحالف مع هذه الجماعات المتطرفــة والإرهابية، أنه «التحالف المؤقت»، لتحقيق أهداف قريبة وبعيدة المدى.

وتجري دائماً الأحداث والوقائع سريعة متلاحقة أمامنا وإن كنا لا نرى إلا ظاهرها، لكننا لا ندري ما جري وراء الســتار إلا بعد فوات الأوان، فحين تمكن الملك حســين من قمع وإخراج فصائل المقاومة الفلسطينية من الأردن في ســبتمبر ١٩٧٠، قبل أيــام من وفاة جمال عبدالناصر، اتضح فيما بعد أن جماعة الإخوان المسلمين في الأردن هي التي وقفت مع الملك حسين ضد عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية.

ولــم تغب هذه الحقيقة عن خليفــة عبدالناصر في مصر، الرئيس

أنور السادات، الذي استقرت في ذهنه هذه الحقيقة، ومن البداية رفض السادات اتباع سياسة جمال عبدالناصر في القومية العربية وقام بتصفية كل الناصريين في الحكومة وجهاز الدولة، وقام بطرد الخبراء العسكريين السوفييت في أغسطس، ١٩٧٢ واتجه السادات إلى أسلمة مصر، الدولة والمجتمع، كل ذلك بهدف إقامة تحالف جديد مع الولايات المتحدة التي كانت شغوفة بأن تنضم مصر إلى المعسكر الأمريكي في الصراع ضد السوفييت.

وانطلاقا من هذه البداية التي تمت على أيدي الرئيس السادات صعدت قوى التطرف الإسلامي من جديد، وعادت جماعة الإخوان المسلمين في مصر للحياة من جديد، ومنذ أواخر ١٩٧٣، شعرت بريطانيا وأمريكا بارتياح بالغ حين ظهرت على الرئيس السادات أعراض الانحياز للغرب الأمريكي – الأوروبي، بعد ١٨ عاما قامت خلالها أمريكا وبريطانيا بالتآمر والتواطؤ مع قوى التطرف الإسلامي ضد جمال عبدالناصر، العدو الأكبر للغرب في الشرق الأوسط.

ولذلك حين قدم السادات المساعدة لأمريكا في هزيمة القومية العربية، اكتشفت واشنطن أنها تخلصت من عبدالناصر بالوفاة، ومن القومية العربية، بدعم السادات، الذي أطلق لجماعة الإخوان العنان لتعمل بحرية كاملة داخل الجامعات ومؤسسات الدولة في مصر، بهدف واحد، هو القضاء على بقايا الناصريين والقوميين العرب في مصر، وظلت

الجماعة، والجماعات الإسلامية في حالة تحالف مع السادات حتى قام برحلته إلى القدس ووقع معاهدة السلام مع إسرائيل.

لكن هذه الجماعات نجحت في النهاية في اغتيال الرئيس السادات في أكتوبر، ١٩٨١ ورغم أن اغتيال السادات كان ضربة لمخططات أمريكا وبريطانيا في الشرق الأوسط، إلا أن «برنامج أسلمة مصر» كان قد انطلق بأقصى سرعة، بما يخدم العمليات السرية الأمريكية والبريطانية في الشرق الأوسط، والقصة طويلة والتفاصيل مذهلة.

التمويل الأمريكي والبريطاني للجماعة

من الواضح أن الدوافع والمصالح التي كانت تحرك قوى الاستعمار القديم، مـــا زالت هي ذاتها الدوافع والمصالح التي تحرك القوى الكبرى اليـــوم، مثل أمريكا وبريطانيا، ربما تغيرت خريطة العالم أكثر من مرة، وتغيرت الوجوه، لكن لم يحدث تغيير كبير في جوهر الصراع العالمي، خاصة في هذا الجزء من العالم، الشرق الأوسط.

وعلـــى مدى أكثر من مائة عـــام مضت، تغير وجه الحياة وتغيرت التكنولوجيا، وتطورت أســـباب الحضارة، لكن بقي البترول أهم ســـلعة استراتيجية في التاريخ، وحين شاءت المقادير أن تجعل المنابع الرئيسية للبترول في العالم تتواجد في العالم العربي، من الكويت شـــرقاً، وحتى الجزائـــر غرباً، كان في هذا نعمة كبرى لشـــعوبنا، لكن النقمة الكبرى كانت في الأطماع الاســـتعمارية التي لا تشبع من البترول ومن الثروة العربية الكبرى!!

فقد تم اكتشـــاف البترول في أوائل القرن العشرين بكميات كبيرة في إيران والعراق، وفـــي نهاية الحرب العالمية الأولـــى، أدركت بريطانيا والدول الاســـتعمارية أن البترول أصبح القـــوة المحركة لكل المعدات العسكرية من دبابات ومركبات وطائرات، ومن البداية طالب المخططون

الاستعماريون في لندن بضرورة أن تفرض بريطانيا سيطرتها الكاملة على منابع البترول في العراق وإيران، باعتباره هدفاً من الأهداف الإستراتيجية ذات الأولوية الأولى.

وقال موريس هانكي وزير الحرب البريطاني إن هيئة الأركان العسكرية البريطانية في بغداد أكدت أن البترول هو مستقبل القوة والنفوذ في العالم!!

وبسرعة خططت بريطانيا لاحتلال فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة بهدف تعزيز مصالحها في الشرق الأوسط، من خلال إقامة منطقة عازلة في شرقي البحر المتوسط، تفصل بين قناة السويس في مصر وأي أعداء محتلين قادمين من الشمال، خصوصاً روسيا.

كما أن الاحتلال البريطاني لفلسطين من شأنه أن يفتح الطريق البري الواسع المؤدي إلى حقول البترول الغنية في العراق، الذي خضع أيضاً للاحتلال البريطاني!

صراحة ووقاحة

كانت السياسة الخارجية البريطانية تقوم على أساس ضرورة تنفيذ وعد بلفور وإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، على اعتبار أنه لا توجد دعاوى وأسباب أخلاقية تبرر الاحتلال البريطاني للأراضي المقدسة في فلسطين سوى تنفيذ وعد بلفور وإقامة وطن قومي لليهود.

وتحدث الإنجليز بصراحـــة ووقاحة، وقالوا إن إقامة الوطن القومي لليهود، ليس إلا عملية استراتيجية كبرى تسهم في إيجاد «شعب عميل» لبريطانيا في فلســطين، في منطقة ذات أهمية استراتيجية بالغة، حيث يمكن إبعاد الفرنسيين الذين يحتلون سوريا عن المنطقة التي تتواجد فيها قناة السويس في مصر، وشبه الجزيرة العربية.

وفي هذا الكتاب «الملفات الســرية» يكشــف مارك كيرتس، خفايا وأسرار التحالف الدائم الذي أقامته بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية مــع جماعة الإخوان المســلمين وقوى التطــرف والإرهاب التي تعمل باسم الإســلام من أجل تنفيذ مخططات وأهداف الاستعمار البريطاني والأمريكي في مصر والعالم العربي كله.

التواطؤ بعد الحرب

والحقيقة أن الجذور الحقيقية للتواطؤ بين بريطانيا وأمريكا من جهة وجماعة الإخوان وتيارات التطرف الإســلامي من جهة أخرى تعود إلى نهايات الحرب العالمية الثانية في ١٩٤٥.

فقد كانــت بريطانيا تريــد الحفاظ في مســتعمراتها ومكتســباتها الاستعمارية في مصر والعالم العربي، في حين كانت الولايات المتحدة، تبحث لنفسها عن وجود ومكاسب استعمارية في الشرق الأوسط، وكانت

منابع وحقول البترول الواسعة في المملكة العربية السعودية والعراق وإيران، هي المصدر الرئيسي للإغراء السياسي والاستعماري.

وسرعان ما أدرك خبراء الاستراتيجية في واشنطن ولندن أنه لن ينتصر أحد في صراع الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي السابق إلا الطرف الذي ينفرد بالسيطرة المطلقة على ثروات البترول الرهيبة في الشرق الأوسط، خاصة منطقة الخليج العربي.

وفي اجتماع رهيب جرى في واشنطن بعد الحرب العالمية الثانية بين الرئيس الأمريكي هاري ترومان ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل، جرى الحديث بخشونة بالغة حول اقتسام حقوق البترول، وقال ترومان بصراحة إن أمريكا مستعدة للتخلي عن بترول إيران والعراق لبريطانيا، لكن حقوق البترول الغنية في المملكة العربية السعودية ستكون لنا، للولايات المتحدة الأمريكية!!

وقالوا في لندن، إن قمة ترومان . تشرشل . كانت تشبه اجتماعات «اقتسام الغنائم»، لأن بترول الشرق الأوسط يعتبر فعلا من غنائم الحرب!!.

ليس بالسلاح وحده

ومنذ أواخر القرن الـ١٩ أدركت بريطانيا أنها لن تستطيع الاستمرار في فرض سيطرتها على مستعمراتها في مصر والسودان وشبه الجزيرة

العربية بقوة السـلاح وحدها، خاصة في مواجهة تصاعد حركة التحرر الوطنـي التي تطالب بالاسـتقلال، ولذلك لجأت لقـوى اليمين الديني والتطرف الإسـلامي للتحالف معها في مواجهة القـوى الوطنية التي تسـعى لتحقيق التقدم والاسـتقلال. ولذلك قال أحد المؤرخين الإنجليز ذات مرة إن بريطانيا تفتح المسـتعمرات بقوة السـلاح ونيران المدافع، لكنها تفرض سـيطرتها على الشـعوب «بقوة العمائم»، وبدعم قيادات التطرف الإسـلامي!! وقد حدث ذلك في السـودان بوضوح منذ بداية الاحتلال الإنجليزي للسودان.

وقد شـهدت سـنوات الحرب العالمية الثانية تزايـدا كبيرا في حجم جماعة الإخوان المسلمين، التي تحولت فعلا إلى حركة شعبية إسلامية تحت قيادة حسـن البنا، وبمرور الوقت أصبحت أكبر جمعية إسلامية في مصر، ولها فروع في السـودان والأردن وسـوريا وفلسطين وحتى شمال أفريقيا.

الوثائق البريطانية تكشف أسرار معركة السويس ٥٦

جماعـــة الإخوان لا تقف وحدها في مصـــر، بل توجد قوى داخلية وخارجيـــة تقدم الدعم والتمويل للجماعة، حتى بعد أن أطاحت بها ثورة التمرد الشعبية الكبرى في ٣٠ يونيو ٢٠١٣ كما أن حقيقة وجود تنظيم دولي للجماعة تؤكد تبعية التنظيم والجماعة لأجهزة المخابرات العالمية، في الولايات المتحدة الأمريكية وفي بريطانيا.

ويمكننا أن نكتشـــف الوجه «الغميل» للجماعة بســـهولة إذا أدركنا أن العاصمة السياســـية للتنظيم الدولي توجـــد في العاصمة البريطانية لندن، في حيـــن أن العاصمة المالية للتنظيم توجد في مدينة «زيورخ» بسويســـرا.وقد وجدت «المصالح الشيطانية» بين قوى الشر في العالم، أمريكا وبريطانيا وجماعات الإســـلام المتطرف، وبعض النظم العربية المحافظة، وكل هذه القوي كانت تخشـــي تأثير حركة التحرر الوطني العربية التي يقودها جمال عبدالناصر في مصر.

وتتحدث الصحف العالمية حاليا عن الضربة القاصمة التي تعرضت لها الجماعة بعد سقوط نظام محمد مرسي خلال ثورة ٣٠ يونيو، وتؤكد هذه الصحف أنه لولا الدعم الســـري الذي تقدمه أمريكا لقيادات الجماعة

المتواجدة في اعتصام رابعة العدوية، ما تمكنت الجماعة من البقاء، ولكن الاتصالات التي لا تنقطع بين السفارة الأمريكية بالقاهرة ورجال الجماعة تستهدف الحفاظ على وجود سياسي للجماعة في الخريطة السياسية لمصر بعد ثورة ٣٠ يونيو وتستخدم الجماعة أقذر الأسلحة في الدفاع عن وجودها السياسي بعد الثورة، بدءا من الحرب الإرهابية ضد قواتنا المسلحة في سيناء وحتى إثارة الاضطرابات السياسية الدموية في شوارع القاهرة والإسكندرية والمنصورة.

كما تتطابق مصالح الجماعة مع مصالح القوي الكبرى في أمريكا وبريطانيا، تتناقض مصالح الجماعة مع مصالح الشعب وجماهيره الواسعة كما رأينا على مدى عام أسود طويل من حكم محمد مرسي!!

من الواضح أن مصالح مصر ليس لها وجود في جدول أولويات الجماعة، لأن مصلحة الجماعة هي في السيطرة على الحكم والسلطة لصالح قوى السيطرة العالمية وهذه قصة قديمة في تاريخ الإخوان المسلمين وارتباطهم بدوائر الاستعمار الإنجليزي في لندن والأمريكي في واشنطن.

ويكشف الإنجليزي مارك كيرتس أن المصالح الوطنية للشعوب العربية في مصر ومختلف البلدان العربية ليس لها وجود أيضا في أولويات القوى الكبرى في أمريكا وبريطانيا وأوروبا.

الوثائق البريطانية

وتكشـــف الوثائق البريطانية أن كبار القيادات في جهاز المخابرات البريطانية «إم آي ٦» قاموا بعقد لقاءات سرية مع القيادات الهاربة من جماعة الإخوان المسلمين في جينيف بسويسرا في أواخر ١٩٥٥، ورغم أن بريطانيا تفرض حظـــرا على وثائق هذه اللقاءات حتى اليوم، ولكن تكشـــف فيما بعد أنه جري التخطيط خـــلال هذه الاجتماعات لاغتيال جمال عبدالناصر وتشكيل حكومة في المنفي تتولي الحكم بعد التخلص من عبدالناصر في حرب السويس فقد كانت بريطانيا تخطط لغزو مصر كما كانت المخابرات البريطانية تتابع نشـــاط جماعة الإخوان المسلمين المعـــادي لجمال عبدالناصر، واعترفت بريطانيـــا بالجماعة باعتبارها تشـــكل تحديا حقيقيا لنظام جمال عبدالناصر الوطني وهناك أدلة تؤكد أن المخابـــرات البريطانية اتصلت ببعض أعضاء الجماعة الذين قاموا بزيارة الملك فاروق في منفاه بإيطاليا، وخلال هذه الاتصالات الســـرية جري بحث إمكانية التعاون المشترك بين المخابرات البريطانية وجماعة الإخوان المسلمين بهدف الإطاحة بجمال عبدالناصر.

وفي ذلك الوقت قام الملك حسين ملك الأردن بإصدار جوازات سفر دبلوماســـية أردنية لقيادات الإخوان المسلمين لتسهيل تحركاتهم الدولية مـــن جدة إلى عمان، ولندن وزيـــورخ، بهدف التخلص من عبدالناصر

بالاغتيـال أو الانقلاب، ووفرت دولة خليجية كبري التمويل اللازم لكل هذه المخططات.

واكتشـفت المخابرات المصرية في أغسطس ١٩٥٦ شبكة تجسس بريطانية، وتم اعتقال أربعة من الإنجليز، كان منهم جيمس سـونيبريد المدير التنفيذي لما كان يسـمي بـ«وكالة الأنباء العربية» وكانت هذه الوكالة هي القاعدة الأمامية للمخابرات البريطانية في مصر وبالفعل تم طرد اثنين من الدبلوماسـيين الإنجليز ثبت تورطهم في التجسس على مصر.

خطة الغزو

وفي أكتوبر ١٩٥٦ قامت بريطانيا بعقد تحالف سـري مع فرنسـا وإسـرائيل بهدف غزو مصر بعد قرار عبدالناصر بتأميم قناة السويس، وكانت خطة الغزو تتضمن ضرورة قيام قوات الغزو البريطانية والفرنسية بالاسـتيلاء علـى مدينة بورسـعيد، والتحرك منها بسـرعة الاحتلال الإسـماعيلية ومنها إلى القاهرة، حيث يتم إسقاط عبدالناصر وحكومة ثورة يوليو.

وتؤكـد الوثائق البريطانية أن بريطانيـا وضعت خطة الغزو على أسـاس أن تكون جماعة الإخوان المسـلمين هي المستفيد الأكبر من الغزو البريطاني الفرنسـي الإسرائيلي لمصر، حيث كان مقررا أن يتم

تسليم السلطة في مصر لجماعة الإخوان المسلمين، تحت حراب قوات الغزو الأجنبية وتؤكد الوثائق البريطانية أن سـيناريو تسليم السلطة في مصر للإخوان كان ممكنا أو محتملا.

وبدءا من منتصف خمسـينيات القرن الماضي جرت تغييرات سريعة وتحولات عميقة في خريطة الشرق الأوسط، لصالح عبدالناصر ولصالح حركــة التحرر الوطني التي يقودها في مصر، وتصاعد الصراع العربي - العربي بين النظم الجمهورية التحررية الجديدة والنظم العربية التقليدية في الخليج والأردن والمغرب.

تقرير سري

وذكــر تقرير لمجلس الوزراء البريطاني في ١٩٥٩ أن بريطانيا لها مصالح حيوية في ضرورة استمرار سيطرة شركاتها على منابع البترول فقد كانت شـركات البترول البريطانية تنفرد بإنتاج ١/٦ إنتاج البترول في العالم وفرضت الشـركات البريطانية سيطرتها الكاملة على حقول البتـرول في الكويت وإيران كما كانت هذه الشـركات تتحكم في ٣٣٪ من حجم التجارة الدولية للبترول، وكانت تساهم بأكثر من ١٥٠ مليون جنيه استرليني في ميزان المدفوعات البريطاني، وهو رقم هائل بمقاييس هذه الأيام.

ولذلك وضعت بريطانيا لنفسها إستراتيجية ثابتة تقضي بضرورة الحفاظ على الأسعار المنخفضة للبترول بواقع ٢ سنت للبرميل.

قصة المصالح

وتكشف الوثائق البريطانية أن مصالح حكومة لندن لم تكن بترولية فقط ولكن السيطرة على البترول كانت تستهدف الاحتفاظ بموقع بريطانيا العالمي باعتبارها واحدة من القوي الكبرى مع أمريكا وروسيا وفرنسا كما كانت بريطانيا تتحسب لمخاطر انهيار الجنيه الإسترليني باعتباره واحدا من العملات الدولية وكانت بريطانيا تحرص أيضا على استمرار تحالفها مع الولايات المتحدة.

وتكشف الوثائق البريطانية أن مشاعر القلق البالغ تصاعدت في لندن وواشنطن حين تجاوزت حركة التحرر الوطني التي قادها عبدالناصر حدود مصر والعالم العربي إلى أفريقيا وآسيا ومختلف دول العالم الثالث فقد خاضت بريطانيا حروبا استعمارية وحشية ضد حركات التحرر الوطني في كينيا وفي الشرق الأوسط ولجأت بريطانيا ومعها الولايات المتحدة إلى تقديم الدعم والتمويل للحركات والجماعات الرجعية التي تمثل الإسلام المتطرف مثل جماعة الإخوان المسلمين باعتبارها القوى التي يمكن أن تستند إليها في ضرب وتصفية حركة التحرر الوطني التي يقودها عبدالناصر.

التصفية والحل

فقد قـــام عبدالناصر بتصفية وحل جماعة الإخوان المســلمين بعد محاولــة الاغتيــال التي دبرتهــا الجماعة للتخلص منــه في ١٩٥٤ واضطرت العديد من قيادات الجماعة إلى الهرب إلى الســعودية ودول الخليج وقدمــت المخابرات الأمريكية الدعــم والتمويل لأفراد الجماعة خلال رحلة الهروب من مصر ورحبت المملكة السعودية بهم باعتبارهم قوة محافظة يسهل عليهم الاندماج في المجتمع السعودي، وتم السماح للكثيريــن منهم بالصعود والترقي داخل البنوك وفي مؤسســات التعليم وأصبحت الســعودية الملاذ المفتوح لأعضــاء الجماعة الهاربين من مصر وسوريا والعراق.

وســاهمت المخابرات الأمريكية والمخابــرات البريطانية في تحويل جماعة الإخوان المســلمين إلى تنظيم دولي، له شــبكات واســعة في مختلف الدول الإســلامية، وفي عواصم أوروبــا الكبرى، وبالفعل أقيم التنظيــم الدولي لجماعة الإخوان المســلمين فــي ميونيخ تحت قيادة المدعو سعيد رمضان.

وانهمرت الأموال على الجماعة من جميع الجهات من دول الخليج الكبرى ومن السعودية ومن جهازي المخابرات في واشنطن ولندن.

فقــد توحدت الرؤى الثلاثية تجاه الجماعــة باعتبارها القوة المعادلة والمعادية لحركات التحرر الوطني في العالم العربي.

العدوان والهزيمة

في أواخر الستينيات حدثت تحولات كبري كانت حاسمة بالنسبة لمستقبل جماعة الإسلام المتطرف بقيادة جماعة الإخوان المسلمين الموالية للولايات المتحدة الأمريكية والمغرب.

فقد تعرضت مصر لهزيمة عسكرية قاسية خلال العدوان الإسرائيلي في يونيو ١٩٦٧.

على السطح كانت الهزيمة تبدو عسكرية، وفي الواقع كانت الهزيمة سياسية أيضا للنظم الوطنية التحررية ولحركة القومية العربية التي ينادي بها عبدالناصر.

ولعب التحالف غير المقدس بين أمريكا وبريطانيا وقوي التطرف الإسلامي دورا حيويا في حصار النظم التحررية العربية قبل وبعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، رغم ما حققته هذه النظم الوطنية من مكاسب سياسية في مواجهة الاستعمار.

فقد وقف التحالف الأمريكي البريطاني الإخواني دائما ضد المشروع القومي لعبدالناصر بالمؤامرات والانقلابات وبالاغتيالات وبمحاولات التوريط في الحروب كما حدث في حرب اليمن.

وانطفأ مصباح القومية العربية بالهزيمة في يونيو ١٩٦٧ وتلاشي نداء الوحدة العربية بوفاة عبدالناصر في ١٩٧٠.

والحقيقة مصر - عبد الناصر - ظلت واقفة بثبات وصمود

ضـــد قوى الهيمنة الأمريكية والإســـرائيلية بعد الهزيمة خاصة أن نظام عبدالناصر كان يســـتند إلى انجـــازات وطنية تحققت على الأرض من خلال برامج التنمية الاقتصادية التي ســـاهمت كثيرا في رفع مســـتوي المعيشة والحد من الفقر والمرض.

مصالح الشعوب بلا أهمية

ويعترف مارك كيرتس بأن مصالح الشـــعوب العربية لم تكن لها أية أهمية في أولويات صانع القرار السياسي في واشنطن أو لندن، ويعترف فريـــق التخطيط في وزارة الخارجيـــة البريطانية بأنه يتم التضحية دائما بمصالح الشـــعوب العربية في مذبح المصالح الإســـتراتيجية لبريطانيا والولايات المتحدة وهذا ما تؤكده مئات الوثائق الموجودة في الأرشـــيف القومي البريطاني في لندن واعترف فريق التخطيط البريطاني بأن رحيل عبدالناصر وانحســـار حركة القومية العربيـــة من بعده يخدم المصالح الحيوية لأمريكا وبريطانيا، ويخدم أمن إسرائيل.

وبعد أن تولي أنور السادات السلطة في مصر بعد وفاة عبدالناصر المفاجئـــة انقلبت صفحة القومية العربية من تاريخ المنطقة، وجرت في مصر حركة ســـريعة لأســـلمة المجتمع بعد أن أطلق السادات العنان لجماعة الإخوان المســـلمين كي تمارس نشـــاطها بحرية مطلقة وتزايد

اتجاه الجماعة نحو التطرف وأصبح مســرح الأحداث جاهزا أمام حركة الأسلمة الواسعة التي اجتاحت الشرق الأوسط طوال السبعينيات.

ورغم أن القوات المسلحة المصرية تمكنت من إحراز نصر عسكري كبير ضد القوات الإسرائيلية في حرب أكتوبر ١٩٧٣، إلا أن التحولات السياسية والاقتصادية أدت إلى انقلاب هائل في الموازين على العكس من نتائج الحرب.

فقــد قامت دول الخليج العربي المنتجة للبترول برفع الأســعار مع فرض حظر شامل على تصدير البترول للولايات المتحدة بسبب دعمها العسكري لإسرائيل.

وتــم خفض إنتاج البترول أكثر من مرة مما أدي إلى رفع أســعار البتــرول أربعة أضعاف ما كانت عليه قبــل الحرب في أوائل ١٩٧٣ وحدثت أزمة عالمية كبري في السياســة والطاقة والاقتصاد، وشــعرت الولايات المتحــدة ودول أوروبا بالفزع الرهيــب وفي هذه الأثناء كتب السفير البريطاني في جدة مذكرة إلى وزارة الخارجية في لندن يقول فيها: إن رفع أسعار البترول في ١٩٧٣ يمثل أسرع عملية تحول في موازين القــوي الاقتصادية في تاريخ العالــم واعترفت الخارجية البريطانية بأن الأزمة جعلت من المملكة السعودية قوة ذات تأثير دولي كبير.

وفي النهاية أدي اختفاء البترول الرخيص من الأسواق العالمية إلى تغييرات هائلة في السياسة الدولية ففي عام ١٩٧٢ تمكنت الدول الغربية

مـــن تحقيق فائض في الإنتاج الصناعي يزيد على ١٠ مليارات دولار، وهـــو رقم هائل بمقاييس العصر ثم انقلبـــت الصورة تماما في ١٩٧٤ وارتفـــع حجـــم العجز في دول الغرب إلـــى ٤٨ مليار دولار، في حين حققت دول البترول في الخليج فائضا يزيد على ٦٩ مليار دولار.

أزمة كبرى في لندن

وواجهـــت بريطانيا أزمـــة اقتصادية خانقة، وأعلـــن رئيس الوزراء البريطاني أمام البرلمان أن بريطانيا ســـوف تضطر إلى اختصار دورة العمل في دواوين الحكومة إلى ثلاثة أيام في الأسبوع للحد من استهلاك البترول والكهرباء، وقال إن برامج التليفزيون البريطاني ســـوف تنتهي وتتوقف يوميا بعد العاشرة والنصف مساء!!

وعبر القنوات السرية جرت اتصالات سريعة وافقت خلال دول الخليج المنتجة للبترول على رفع الحظر عن بريطانيا وأمريكا وبالفعل وافقت دول الخليج على مضاعفة إمداداتها من البترول لبريطانيا منذ نوفمبر ١٩٧٣ وفي النهاية تم رفع حظر البترول رسميا في مارس ١٩٧٤.

حلاوة البترودولار

وفـــي هذه الأجواء، عرفـــت دول الخليج معني الرخاء لأول مرة في التاريـــخ وانعكس ذلـــك على جماعات التطرف الإســـلامي التي طال

وجودها وهروبها هناك، خاصة جماعة الإخوان المسلمين التي ذاقت حلاوة البترودولار !!

وحين زادت فوائض أموال البترول العربية حرصت بريطانيا وأمريكا على إقامة تحالف مالي جديد مع المملكة السعودية ودول الخليج وجرى الاتفاق على ضرورة أن يتم استثمار أغلب فوائض الأموال العربية داخل بريطانيا والولايات المتحدة، بهدف المساهمة في إقامة نظام مالي عالمي يميل لصالح أمريكا وأوروبا، مع توفير الدعم اللازم للدولار والجنيه الإسترليني في أسواق المال العالمية.

كما تم الاتفاق على منح عقود مشروعات التنمية الكبرى في دول الخليج للشركات الإنجليزية والأمريكية.

وذكرت وثائق الخارجية البريطانية أن الثروات الجديدة الهائلة المتاحة في السعودية ودول الخليج هي الفرصة الذهبية التي لا يجب أن تضيع من أيدي رجال الصناعة والبنوك في بريطانيا وأمريكا وكانت هذه هي الفرصة الوحيدة المتاحة أمام بريطانيا لإنقاذها من مخاطر الإفلاس والأزمة المالية الخانقة.

وساهمت فوائض أموال البترول في حركة الأسلمة التي جرت سريعا في مصر والعالم العربي وقامت جماعة الإخوان المسلمين بدور مهم في عولمة المذهب الوهابي بترحيب حار من المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات البريطانية التي كانت ترى في هذه الجماعة البديل

المحافظ الوحيد الذي يمكن أن يملأ الفراغ الذي تركه غياب عبدالناصر وانحسار حركة التحرر الوطني العربية ولكن ثورة ٣٠ يونيو في مصر كانت ضربة قاسية للجماعة وطموحاتها الإقليمية في العالم العربي خاصة بعد أن انكشف الوجه الإرهابي للجماعة حتى في دول الخليج العربي ومازالت الجماعة تعتمد على دعم أجهزة المخابرات العالمية في معركتها الأخيرة في مصر لكن الملفات السرية البريطانية مازال فيها الكثير حول النشاط الإرهابي للجماعة وقوي التطرف الإسلامي طوال الثمانينيات والتسعينيات، والقصة طويلة.

بريطانيا خططت لإسقاط عبدالناصر بالحرب في ١٩٦٥

تمكنت حكومة ثورة يوليو ١٩٥٢ من ملء الفراغ السياسـي الكبير في مصر والعالم العربي بسرعة وقوة واقتدار، والتفت جماهير الشعوب العربيـة حول جمال عبدالناصر، وهو ينادي بالقومية العربية وبالوحدة العربية، شـعرت بريطانيا والولايات المتحدة بالفزع البالغ على مصالح الاستعمار القديم والجديد في مصر والعالم العربي، خاصة بعد أن عقد عبدالناصر صفقة الأسلحة التشيكية الشهيرة في ١٩٥٥ وبدءاً من هذه اللحظة التاريخية انشغلت الولايات المتحدة وبريطانيا في وضع استراتيجية جديدة تستهدف إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط، خاصة بعد انسحاب القوات البريطانية من قاعدة قناة السـويس. تضمنت الخطة الأنجلو-أمريكية ضرورة القيام بسلسـلة من المؤامرات والاغتيالات والانقلابات لتغيير نظم الحكم الوليدة في مصر وسـوريا، وربما في المملكة العربية السـعودية، وذلك في محاولة يائسة للقضاء على «الفيروس السياسي» الجديـد الذي اجتاح العالم العربي، وهو حركة التحرر الوطني والقومية العربية.

وتكشـف الوثائق السـرية البريطانية أن الرئيـس الأمريكي دوايت أيزنهـاور طالب خلال اجتمـاع قمة أمريكي بريطاني في واشـنطن

بضرورة وضع «خطة ميكيافيللية» جديدة لإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط، بما يؤدي إلى إحداث أوضاع سياسية جديدة تخدم المصالح المشتركة للولايات المتحدة وبريطانيا.

ومن يتأمل نتائج ثورات الربيع العربي، وكيف أنها تناقضت تماماً مع مصالح الشعوب العربية في الحرية والاستقلال والديمقراطية، لابد أن يدرك أننا أمام مرحلة جديدة من التفكير الاستراتيجي في واشنطن ولندن، يسعي لإعادة رسم خريطة العالم العربي، بما يخدم مصالح القوي الكبري التي تسعي للاستمرار في فرض سيطرتها على أكبر ثروة في التاريخ، وهي حقول البترول في الخليج العربي.

وحدث خلال الموجة الاستعمارية التي تعرض لها العالم العربي طوال الخمسينيات، إن وجدت الشعوب العربية نفسها في حالة انقسام دائمة ومزمنة، أي في حالة صراع مع بعضها البعض حياناً، وفي حالة صراع لا يتوقف مع إسرائيل دائماً.

تغيرت استراتيجية واشنطن ولندن تجاه الدول العربية في القرن الحادي والعشرين، وتقوم أجهزة المخابرات الأمريكية ومخابرات دول الناتو بجهود شيطانية، لتغيير مسار ثورات الربيع العربي، بما يؤدي إلى انقسام الدول والشعوب العربية على نفسها إلى فصائل وجماعات عرقية متناقضة ومتناحرة، وتشتعل الحروب الأهلية فيما بينها، كما يحدث في العراق وسوريا حالياً، أما ليبيا فإنها تتعرض لعملية تقسيم

رهيبة على نار ليســت هادئة، ويبــدو أن تونس لن تعرف طعم الأمن والاستقرار مرة أخرى.

وتتعرض مصر لتهديدات صريحة بعد ثورة ٣٠ يونيو بالحرب الأهلية، أو بالعودة لمواجهة شــياطين الإرهاب الأسود وجماعاته المتحالفة مع جماعة الإخوان المســلمين، ويبدو أن جماعة الإخوان كانت دائماً هي رأس الحربة، الموجه إلى جسد الحركة الوطنية المصرية من الخلف.

وفي هذا الكتاب «الملفات الســرية» يقول المؤلف الإنجليزي مارك كيرتــس إن المخابــرات المركزية الأمريكية بدأت فــي تمويل جماعة الإخوان المسلمين منذ أواخر الخمسينيات، وقدمت لها كل الدعم اللازم لتمارس نشــاطها ضد جمال عبدالناصر وضد حركة التحرر الوطني التي يقودها في مصر والعالم العربي.

وأثبتت الأحداث المتوالية أن تنظيم القاعدة الإرهابي لم يصنع نفسه بنفسه، لكنه جاء وليد الزواج الكاثوليكي بين جماعة الإخوان والمذهب الوهَّابي المتطرف الذي ســاهمت أموال البترودولار في عولمته ونشره في جميع البلاد الإسلامية السنية، وكما حصلت الجماعة على التمويل اللازم من أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية، حصل تنظيم القاعدة أيضاً على التمويل والتشجيع والتخطيط من واشنطن ولندن!!

وتكشــف الوثائق البريطانية الحقائق الكاملة لميلاد التنظيم الدولي

لجماعة الإخوان المسلمين في أحضان المخابرات العالمية، الأمريكية والبريطانية.

فقد التقطت أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية قيادات وأعضاء جماعة الإخوان الذين تمكنوا من الهروب من مصر إلى أوروبا، وكان منهم المدعو سعيد رمضان، وقد تمكنت المخابرات المركزية الأمريكية ومخابرات إم.آي٦. البريطانية من تجنيد سعيد رمضان في وقت ما من حقبة الخمسينيات، خاصة بعد أن صدر قرار بحرمانه من جنسيته المصرية في أعقاب محاولة لاغتيال الفاشلة التي تعرَّض لها عبدالناصر في ١٩٥٤.

وتؤكد الوثائق البريطانية أن سعيد رمضان حصل على مبالغ هائلة من المخابرات المركزية الأمريكية تزيد على عشرات الملايين من الدولارات طوال حقبة الستينات لتمويل عملية إقامة التنظيم الدولي للإخوان، وتمويل العمليات السرية الإرهابية للإخوان ضد جمال عبدالناصر ونظامه الوطني في مصر.

أهلاً سعيد رمضان

وتكشف وثائق سويسرا السرية أن السلطات في جنيف رحبت بالمدعو سعيد رمضان بناء على توصية خاصة من المخابرات الأمريكية ورحبت بنشاطه المعادي لعبدالناصر وفي ١٩٦٧ رحبت السلطات السويسرية

بالمدعو رمضان أكثر وأكثر باعتباره عميلاً موثوقاً فيه لدي المخابرات الأمريكية.

وكشـفت صحيفة Le Temps التي تصدر في جنيف وجه سعيد رمضان تمامـاً في ٢٠٠٤ وقالت إنه على علاقـة وثيقة بالمخابرات الأمريكية.

شهدت أجهزة المخابرات الأوروبية كلها على سعيد رمضان تحديداً، وذكرت المخابرات الألمانية أن الأردن وافق على إصدار جواز سـفر دبلوماسـي للمدعو رمضان، بناء على توصية من الحكومة الأمريكية، وتعهدت واشنطن للجانب الأردني بأن تتحمل كل نفقات سعيد رمضان مؤسس التنظيم الدولي للإخوان المسلمين!!

أموال متعددة المصادر

وبدءاً من ١٩٦٤ لم يعد تنظيم الإخوان المسلمين يواجه أية أزمات مالية، فقـد انهالت الأموال على التنظيم مـن مصادر عربية خليجية إضافـة إلى التمويل الأمريكي البريطاني الـذي لا ينقطع، وكان لكل هـذا التمويل المتعـدد المصادر هدف واحد فقط، هـو اغتيال جمال عبدالناصر!!

وبالفعل تفرغ الإخوان لهذه المهمة المقدسـة، وبالفعل حدث خلال عام واحد، من أواخـر ١٩٦٤ وحتى نهاية، ١٩٦٥ أن تعرض جمال

عبدالناصر لـ١٣ محاولة اغتيال، منها محاولة كانت تستهدف قتله وهو في رحلة العودة من مطار القاهرة، ومحاولة أخرى فشلت في اللحظة الأخيرة كانت تستهدف نسف المكان الذي كان يلقي فيه عبدالناصر أحد خطاباته، بما فيه وبكل من فيه، باستخدام سيارة نقل كانت تحمل شحنة ناسفة هائلة.

وفي إحدى هذه المرات الدموية تم تجنيد ضباط من القوات الخاصة المصرية لاغتيال عبدالناصر، على أن يتم تهريب الأسلحة إلى الجهاز السري للجماعة.

المؤامرة الكبرى

وفي أواخر ١٩٦٥ اكتشف جهاز المخابرات العامة في مصر وجود مؤامرة كبري للإخوان المسلمين تستهدف القيام بعمليات اغتيال واسعة ضد عبدالناصر وكبار رجال الدولة المحيطين به، مع التخطيط للقيام بعمليات نسف ضد العديد من المنشآت الكبرى، ومنها محطة الكهرباء الرئيسية بالقاهرة، وكانت أصابع المخابرات الأمريكية والبريطانية واضحة في المؤامرة، لكن الجديد فيها تورط أجهزة مخابرات عربية خليجية كبرى.

وجرت عملية اعتقالات واسعة لقيادات وأعضاء جماعة الإخوان في مصر، ومنهم السيد قطب مؤلف كتاب «معالم على الطريق»، الذي

اكتشـــف منه جمال عبدالناصر وجود تنظيم عسكري للإخوان!! ويقول مارك كيرتس إن كتاب ســـيد قطب تحول إلى مصدر للإلهام المقدس لدي الدكتور أيمن الظواهري، فتي الإخوان وخليفة أســـامة بن لادن في قيادة تنظيم القاعدة.

وجرت محاكمات واسعة لقيادات الإخوان وصدر الحكم غيابياً ضد سعيد رمضان زعيم التنظيم الدولي بالأشغال الشاقة المؤبدة.

والحقيقة أن اكتشـــاف مؤامـــرة الإخوان الكبرى ضـــد عبدالناصر في ١٩٦٥ كانت ضربة قاســـية للجماعة ولنشـــاطها المعادي لمصر ولعبدالناصـــر، ولذلك اضطرت الجماعة للعودة للعمل الســـري تحت الأرض، وبالفعل لم تظهر الجماعة داخل المشهد السياسي لمصري إلا بعد وفاة عبدالناصر المفاجئة في سبتمبر ١٩٧٠.

مصدر الخطر

لكـــن ذلك لـــم يمنع أجهزة المخابـــرات الأمريكيـــة والبريطانية من الاستمرار في الارتباط بعلاقات وثيقة بتنظيم جماعة الإخوان المسلمين، باعتبارها قوة المعارضة الوحيدة القادرة على إرهاب عبدالناصر. وذكر تقرير للمخابرات البريطانية أن جماعة الإخوان المسلمين تعتبر مصدر الخطر الوحيد الذي يمكن أن يواجه نظام عبدالناصر سواء من الداخل أو الخارج، بل إن الجماعة هي القوة الوحيدة التي تهدد عبدالناصر كان

هذا هو تقدير المخابرات البريطانية لمدي قوة الجماعة، ولذلك لم تبخل عليها بالمال اللازم لتمويل نشاطها ضد مصر.

وأكد تقرير لوزارة الخارجية البريطانية أن جماعة الإخوان المسلمين تتمتع بقدرات كبيرة خاصة في تدبير المؤامرات وعمليات الاغتيال مما يشجع المخابرات البريطانية على ضرورة التعاون الدائم معها ضد عبدالناصر.

وتعترف الملفات البريطانية بأن بريطانيا تشعر الخوف من عبدالناصر ومن احتمالات نجاحه في تنفيذ مشروعه القومي في العالم العربي، وذكرت الوثائق البريطانية أن لندن كانت تشعر بخوف يصل إلى حد الفزع من احتمالات نجاح عبدالناصر في توحيد الدول العربية تحت قيادته مما يعرض مصالح بريطانيا والغرب كله للخطر.

وقالت التقارير البريطانية إن عبدالناصر أصبح أول زعيم عربي قادر على أن يجمع بين الرؤساء والملوك العرب في مؤتمرات القمة، التي يتم خلالها الاتفاق على جدول أعمال موحد للدول العربية، حتى لو لم ينفذ منها إلا الحد الأدنى، لكن كان هناك عمل عربي وحدوي مشترك، لولا مؤامرات المخابرات الأمريكية والبريطانية، واعترف فريق التخطيط بالخارجية البريطانية بوجود مخاوف كبيرة وحقيقية من احتمالات نجاح عبدالناصر في توحيد العرب تحت قيادته.

التحالف الثلاثي

وذكـــرت الخارجية البريطانيـــة في تقرير لها فـــي ١٩٦٤ أنه من مصلحة بريطانيا السياســـية والاقتصادية أن تتم إقامة توازن للقوي في العالم العربي، بدلاً من أن تتركز القوة العربية كلها في القاهرة.

وهكذا خططت بريطانيا لإقامة تحالف شرق أوسطي ينحاز لأمريكا وبريطانيا، يضم شـــاه إيران والمملكة الســـعودية والأردن، على أن يتم تقديم كل دعم ممكن لهذا الثلاثي حتى تتوفر له القدرة على الوقوف في وجه مصر - عبدالناصر.

كانت الخطة البريطانية الأمريكية تستهدف حصار تجربة عبدالناصر داخل حـــدود مصر، مع تعزيز عوامل الصراع والانقســـام بين الدول العربية بما يخدم مصالح أمريكا وبريطانيا، ويخدم أمن إسرائيل.

واصـــل فريق التخطيط بوزارة الخارجيـــة البريطانية جهوده التي لا تنقطع من أجل التخلص من عبدالناصر والإطاحة به بأية وسيلة حتى يختفي تماماً من المشهد السياسي في العالم العربي.

وفي ١٩٦٥ لم يتردد فريق التخطيط السياســـي الإنجليزي في بحث إمكانية قيام بريطانيا بالتدخل العســـكري المباشر ضد مصر، وتوجيه ضربة عســـكرية كبري لمصر يتم خلالها إســـقاط جمـــال عبدالناصر والتخلـــص من نظامه في مصر، وذلـــك بالتعاون مع جماعة الإخوان المسلمين!!

وذهبت الحسابات البريطانية الخاصة بالحرب ضد جمال عبدالناصر في ١٩٦٥ بعيدا جداً، وخرجت الأفكار من فريق التخطيط السياسي بوزارة الخارجية إلى فرق التخطيط العسكري بوزارة الدفاع، ولم تتراجع بريطانيا عن خطتها الشيطانية للحرب ضد عبدالناصر إلا بعد أن اكتشفت بالحسابات السياسية أنه قد يمكن التخلص من هذا الرجل بالعمل العسكري، لكن خليفته قد يكون أكثر تشدداً منه في الوقوف ضد الاستعمار البريطاني والأمريكي.

وبالحسابات السياسية أيضاً تراجعت بريطانيا عن التخطيط لتدخل العسكري في مصر خوفاً مما قد يترتب على هذا التدخل من تحولات كبري في الشرق الأوسط كله، قد تؤدي إلى تزايد التغلغل السوفيتي في المنطقة.

التعايش مع عبدالناصر

وتكشف الوثائق البريطانية أيضاً أن فريق التخطيط الإنجليزي شعر بالخوف من مخاطر تكرار أخطاء ١٩٥٦ حين انفردت بريطانيا بخطة غزو ومصر مع فرنسا وإسرائيل مما أثار غضب الولايات المتحدثة، كما تحسبت بريطانيا أيضاً لموقف جماعة الإخوان المسلمين التي كانت تحصل على الدعم والتمويل من بريطانيا من أجل الإطاحة

بالنظـــام في مصر، واتضح أن بريطانيا تتحالف مع الإخوان لإســقاط عبدالناصر، لكن ما بعد عبدالناصــر لابد أن يكون تخطيطاً إنجليزياً خالصاً، بعيداً عن الإخوان.

وفي سبتمبر ١٩٦٥ استقر الرأي داخل وزارة الخارجية البريطانية على ضرورة أن تتعايش بريطانيا مع جمال عبدالناصر ونظامه في مصر.

ولـــم يبق أمام أمريكا وبريطانيا ســوى تقديم الدعـــم للدول العربية المحافظة في الخليج خاصة الســـعودية، حتى تكون قادرة على الوقوف ضـــد عبدالناصر، وضد حركة القومية العربية التي كانت تؤلم قيادات الاســـتعمار في لندن وواشنطن وتجعلهم يشعرون بالخوف والفزع على مصالحهم في العالم العربي، خاصة حقول البترول، التي كانت خاضعة لاحتكارات الشـــركات الأمريكية والبريطانية الكبرى، وبأرخص الأسعار بواقع ٢ سنت للبرميل أو خُمس من الدولار.

أخطر كلمات سيد قطب

وقدمت المخابـــرات المركزية الأمريكية الدعم المالي اللازم لجماعة الإخوان المســـلمين لتمويل نشـــاطها داخل مصر وسوريا وفي مختلف الـــدول العربية، كما قدمت التمويل اللازم للحفاظ على نشـــاط التنظيم الدولي للجماعة، حتى قال سيد قطب قبل إعدامه، إن «أمريكا هي التي صنعت الإسلام!!».

وذكر ديفيد لونج الدبلوماسي الأمريكي الخبير بشئون دول الخليج العربي، لقد قدمت أمريكا الدعم المالي المباشر لجماعة الإخوان المسلمين، كما ضغطت حتى يحصلوا على الدعم من حلفائها العرب، فقد كنا نريدهم أن يقفوا معنا ضد عبدالناصر وضد أي عربي آخر تحاول موسكو تقديم الدعم له ليقف ضدنا في الشرق الأوسط.

وبدأت أمريكا ترى في فكرة القومية الإسلامية التي بدأت تنطلق من الرياض، الرد المناسب على فكرة القومية العربية التي يتبناها عبدالناصر.

ولم تجد أمريكا في القومية الإسلامية خطراً يهدد مصالحها وأمنها في الشرق الأوسط، لأن القومية العربية والوحدة التي ينادي بها عبدالناصر كانت هي الخطر الحقيقي، لأنها تستهدف إقامة كيان سياسي عربي موحد ومستقل قادر على الوقوف في وجه أطماع الاستعمار الغربي الجديد بالقومية، كان عبدالناصر قادراً على توحيد كل الناطقين بالعربية بصرف النظر عن اللون أو الدين والعرق، في حين كانت دعوة القومية الإسلامية تثير الانشقاق بين شعوب العالم العربي من اللحظة الأولي، لأنها تستهدف وحدة الدين، وبذلك يخرج كل المسيحيين العرب من المعادلة!!

حلفاء العم سام

وكان الإخوان هم القوة السياسية الأولى التي تحارب عبدالناصر

وتقــف ضد فكرة القومية العربية، ولذلك قالت عنهم أمريكا إنهم الحلفاء الذين لا يشــكلون خطرا على أمريكا أو مصالحها، ولذلك لم يتردد سيد قطب في أن يقول إن «أمريكا صنعت الإسلام!!».

فقد كانت أمريكا، مثل بريطانيا تري في عبدالناصر العدو المباشــر الذي يمكن أن يهدد مصالحها في العالم العربي، ولذلك كانت تخشــاه، حتى أكثر من الاتحاد السوفيتي السابق.

الموقف الوردي

لكن حقبة الستينات انتهت فجأة، فقد رفض التاريخ أن ينحني لرغبة جمال عبدالناصر ولإرادته كما قال المؤرخ الإسرائيلي آفي شالايم ذات يــوم، فقد تعرضــت مصر للهزيمة أمام القوات الإســرائيلية في حرب يونيــو ١٩٦٧ بضربة قدر، ثم توفي عبدالناصر في ســبتمبر ١٩٧٠ بضربة أخرى لقدر، وحدث تحول هائل في المشــهد السياسي الإقليمي في الشــرق الأوســط، ويقول مارك كيرتس في كتابه إن موقف أمريكا وإســرائيل وبريطانيا فــي المنطقة أصبح وردياً، بالكثير من ضربات الحظ، والكثير مــن المؤامرات التي تعرضت لها مصر - عبدالناصر فقد انتهت حقبة الخمســينات والســتينات فجأة بما يؤكد أن مصر قد تراجعــت تماماً عن حركة التحرر الوطني التي كانت تقودها في العالم العربي، فقد أصبح الرئيس السادات رئيساً لمصر، وهو زعيم معتدل، لا

يوجد بجواره في العالم العربي ســوى الملك فيصل ملك السعودية، وهو أيضــاً رجل معتدل، مرتبط بالتحالف مــع بريطانيا والولايات المتحدة، ولم يتنافس في قيادة العالم العربي مع الســادات وفيصل سوي الجزائر التي كانت قد تراجعت بدورها عن العداء للغرب، وتراجعت روح القومية العربية في ســوريا والســودان، وبقي الأردن الصديق المقرَّب لأمريكا وبريطانيا كما كان دائماً.

كانت ليبيا بقيادة معمر القذافي تبدو مثيرة للاضطراب، لكنها كانت تعيش فيما يشــبه العزلة، ولم يبق ســوي العراق، وكان الغرب يسعي لكســبه إلى جانبه كانت الصورة، ومازالت في الحقيقة، تبدو مشــرقة أمام صانعي القرار السياسي في لندن وواشنطن، منذ هزيمة مصر في يونيو، ١٩٦٧ وازدادت الصورة إشراقاً بعد وفاة عبدالناصر، وهكذا فازت قوى الغرب الأمريكي الأوروبي في صراعها مع حركة التحرر الوطني العربية، بضربة حظ، وربما بضربات ومؤامرات الحجرات المغلقة التي كان يجري تدبيرها في الظلام في لندن وواشــنطن، وكانت الهزيمة أمام إسرائيل في الحرب، ضربة من ضربات القدر المؤلمة جداً.

مرحلة جديدة وسعيدة

وبدأت مرحلة جديدة وسعيدة بالنسبة للمصالح الأمريكية البريطانية فــي العالم العربي، حتى بعد حرب أكتوبر، ١٩٧٣ فقد حققت الجيوش

المصرية والسورية انتصارات عسكرية حقيقية في افتتاحية الحرب، لكن حركة الأحداث الإقليميـــة والعالمية أخذت أبعادا أخرى بالغة الأهمية، خاصة بعد صدمة ارتفاع أسعار البترول.

فلم ترفض أمريكا وبريطانيا رفع أســعار البترول، لكن دول الخليج العربـــي المنتجـــة للبترول أصبح لديهـــا أموالاً ســـائلة هائلة بالدولار والاسترليني، وارتفعت احتياطيات العرب من أموال البترول خلال عام واحد إلى ٧٠ مليار دولار، كان نصيب السعودية منها ٢٦ مليار دولار وهي أرقام فلكية في ذلك الوقت واهتم بنك إنجلترا المركزي بالأســـلوب الـــذي يمكن أن يتم به إدارة هذه الأمـــوال.. لصالح بريطانيا وأمريكا.. وضد مصالح العرب.. وبما يتناقض مع النتائج السياســـية والعسكرية لحرب أكتوبر ١٩٧٣.

أسرار التواطؤ الأنجلو-أمريكي مع الجماعة في القرن الجديد

يبدو أن الواقع الجغرافي الفريد لمصر.. هو الذي يعطي لحركة الشعب القيمة والقدرة على صنع التاريخ.. ولذلك لم تكن ثورة ٣٠ يونيو مجرد حركة شعبية أطاحت بنظام عميل ومتخلف.. لكنها أيضاً بداية تاريخ جديد لمصر والعالم العربي.. رغم ما تواجهه من تحديات ومخاطر داخلية رهيبة.

ربما كانت هذه هي المرة الأولى في تاريخنا الحديث كله التي تواجه فيها مصر مخاطر داخلية فادحة.. تتحدى الوحدة العضوية بين الشعب والقوات المسلحة. إن عملاء الولايات المتحدة وبريطانيا داخل جماعة الإخوان المسلمين يحاولون بكل وسيلة عرقلة حركة مصر.. وإجهاض مسيرتها الوطنية التي تستهدف إعادة بناء مؤسسات الدولة.. وتعبئة مواردها بما يكفي للوفاء باحتياجات الوطن والمواطن. فلم يحدث من قبل أن توسطت أمريكا أو تفاوضت إلا من أجل إسرائيل وباسم إسرائيل.. لكنها تتفاوض الآن وتتوسط من أجل جماعة الإخوان ووجود جماعة الإخوان.. التي وقفت دائماً ضد حركة التحرر الوطني في مصر وفي سائر البلدان العربية.

ولولا ارتباط جماعة الإخوان بأجهزة المخابرات العالمية في بريطانيا

والولايات المتحدة لاختفت تماماً من الحياة السياسـية في مصر والبلاد العربية. ربما كانت مصر في أصعب موقف عرفته منذ عشرات السنين، حيث يهددنا الإرهاب الأسود بخلاياه الدموية في سيناء، بل ويلوح شبح الإرهاب بوجهه المخيف، حتى داخل القاهرة، لكن المعركة الحاسمة مع الإرهاب المسـلح للجماعات التكفيرية ومع الإرهاب السياسي لجماعة الإخوان المسلمين تأخرت كثيراً، حتى استشرى الخطر وفاق كل درجات الاحتمال.

فقد أثبتت الأحـداث والوقائع أن «جماعة الإخـوان» كانت دائماً شـوكة سامة في ظهر الوطن، لأنها استعانت بالقوى الكبرى وحصلت على التمويل اللازم لنشـاطها المعـادي للدولة الوطنية في مصر من أجهزة المخابرات المركزية الأمريكية ومن المخابرات البريطانية.

وبعد أن فشلت أمريكا وبريطانيا في إعادة رسم وتشكيل خريطة العالم العربي حسـب المصالح المشـتركة بينهما، حتى بعد غزو أفغانستان والعـراق، اتجهت الدولتان إلى تطويـع ثورات الربيع العربي في مصر وتونس وليبيا، بمـا يخدم هذه المصالح الشـيطانية للدولتين، وكانت جماعة الإخوان هي السـلاح الرئيسي لأمريكا وبريطانيا في محاولات إحبـاط ثورات الربيع العربي، حتى لا تؤدي إلى قيام نظم وطنية للحكم تنحاز لمصالح الشـعوب التي قامت بالثـورة، ولا تبالي بمصالح قوى الهيمنة العالمية.

٤ مناطق و ٤ دول

وفي هذا الكتاب «الملفات السرية» يؤكد مارك كيرتس أن بريطانيا وحليفتها الكبرى الولايات المتحدة، كانتا تشعران دائماً أن من صالحهما أن تبقى الدول العربية في حالة انقسام دائم تحت سيطرة نظم حكم ملكية منحازة للغرب، أو نظم ديكتاتورية متحالفة معه.

وتكشف وثائق وزارة الخارجية البريطانية أن فريق التخطيط الإمبراطوري في لندن كان يحرص منذ ١٩٥٨ على بقاء المناطق الرئيسية المنتجة للبترول في العالم العربي تحت سيطرة ٤ دول موالية لبريطانيا والولايات المتحدة، وهي إيران والسعودية والعراق والكويت.

وتعمدت بريطانيا أن تخضع هذه المناطق الغنية بالبترول لسيادة وسيطرة كيانات سياسية منفصلة.

وتعاملت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية مع المصالح الوطنية للشعوب العربية بلا رحمة، وحاصرت النظم الوطنية في مصر وسوريا والجزائر، وجعلتها تعيش طوال الخمسينيات والستينيات في حالة دفاع عن النفس، وفي يونيو ١٩٦٧ أطلقت الولايات المتحدة يد إسرائيل لضرب مصر وسوريا، واكتساح حركة التحرير الوطني والقومية العربية من خريطة العالم العربي.

ومازالت ذئاب وثعالب الاستعمار القديم كما هي، فقد تغيرت الوجوه

والأسـماء، وبقيت مصالح القوى الكبرى في الولايات المتحدة وبريطانيا كما هي، مثل مصالح وأطماع الاستعمار القديم.

ولذلـك لم يكن غريبـاً أن يطرح توني بلير رئيـس وزراء بريطانيا الأسـبق في ٢٠٠٧ إسـتراتيجية جديدة لبريطانيا في الشرق الأوسط، تتضمـن إقامة تحالف بين أمريكا وبريطانيا مـن جهة والدول العربية المعتدلـة المنحازة للغرب من جهة أخـري، ليقف هذا التحالف الجديد ضد محور الأعداء الرسميين للغرب في العالم العربي، وبالذات سوريا وإيران وحزب الله اللبناني.

بين بلير وبوش

وتطابقت إستراتيجية بلير الجديدة مع نظرية الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش التي أعلنها بعد أحداث الحادي عشـر من سبتمبر، وقال فيها إن العالم ينقسم إلى دول مع أمريكا ودول ضد أمريكا، وهذه هي النظرية الاسـتعمارية القديمة، التي أصبحـت نظرية دولية، إنها نظرية «فرق تسد» التي ابتكرها الاستعمار البريطاني.

فقد رفضت بريطانيا، ومن بعدها الولايات المتحدة، قيام كيان عربي موحـد في العالم العربي، قد يتحول إلى قـوة إقليمية كبري قادرة على فرض سيطرتها التامة على أكبر ثروة بترولية في التاريخ.

ورفضــــت بريطانيا، كما رفضت أمريكا قيـــام قوة عربية قادرة على الوقوف ضد مخاطر الهيمنة الأمريكية والأوروبية.

وقد حرصت الولايات المتحدة دائماً على التواطؤ مع جماعة الإخوان المسلمين وقوي الإسلام المتطرف لضرب نظم وقوي الحركة الوطنية في مصر والعالـــم العربي، وكانت جماعة الإخوان دائماً تحت الملاحظة، ولذلك أعادت الولايات المتحدة اكتشاف هذه الجماعة «الظلامية».

بإعتراف الوثائق البريطانية، وكان الهدف الثابت دائماً لدي واشنطن ولنـــدن هو توفير التمويـــل المادي للجماعة بما يســـاعدها على إثارة الاضطرابات والأزمات الداخلية وإشعال العنف خاصة في الدول العربية الرئيسية، مثل مصر والعراق واليمن، وأخيراً في سوريا.

ونظر فريق التخطيـــط الانجليزي بوزارة الخارجيـــة البريطانية إلى الإخوان باعتبارهم الوســـيلة الوحيدة التي تســـاعدهم على وضع النظم العربيـــة تحت ضغـــط دائم ورهيب، حتى في عصر الرئيس الأســـبق حسني مبارك، رغم أنه كان يبدو موالياً للغرب الأمريكي الأوروبي.

التغيير من الداخل

واتضح أن التخطيط الأمريكي البريطاني يســـتهدف فرض التغيير الداخلي في مصر على حســـني مبـــارك، ليس من أجل فرض التحول

الديمقراطي السليم، ولكن من أجل دفع مصر إلى الانزلاق إلى حالة من الانقسام المزمن التي تؤدي للعنف والفوضى.

فقد اتفقت بريطانيا والولايات المتحدة على ضرورة بقاء العالم العربي في حالة انقسام مزمن، في دول ودويلات غير قابلة للتوحد، وفي إطار الإستراتيجية الأمريكية البريطانية، لابد أن تقوم جماعة الإخوان المسلمين وحلفاؤها من جماعات التطرف الإسلامي بدورها المرسوم في إشعال روح الصراع والتوتر بين الدول العربية، وداخل الدول العربية، بما يؤدي إلى تفتيت الشعوب إلى فصائل عرقية ودينية منفصلة عن بعضها البعض.

وقد شهدنا على مدى حقبتي الخمسينيات والستينيات كيف حصلت جماعة الإخوان على المال والسلاح من أجهزة المخابرات العالمية لتقويض استقرار مصر والإطاحة بالزعيم الراحل جمال عبدالناصر.

وقد وقفت جماعة الإخوان إلى جانب أمريكا وبريطانيا في محاولاتهما الرامية إلى دعم الدول العربية الملكية المعتدلة، ضد معسكر التحرر الوطني بقيادة عبدالناصر.

أما فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي، فقد كشفت وثائق الخارجية البريطانية، أن حكومة لندن كانت مستعدة دائماً للتواطؤ مع جماعة الإخوان وخلايا الإسلام المتطرف ضد اليهود، كما أنها كانت تتواطأ مع جماعات اليهود ضد العرب في فلسطين.

إسرائيل المراقب المسلح

وقد اعترف جورج يونج رئيس جهــاز المخابرات البريطاني «إم – أي – ٦» بأن إسرائيل منذ الخمسينيات تقوم بالدور الذي كانت تقوم به القوات البريطانية في الشــرق الأوسط، ثم قامت إسرائيل بعد ذلك بدور «المراقب المسلح»، المســتعد للتدخل العسكري دائماً وتوجيه ضرباته لأعدائه، في أي وقت وأي مكان، وهذا الأســلوب هو أفضل وســيلة لضمان حسن سير وسلوك مصر وسوريا مع إسرائيل!!

ومــن جديد، أظهر العدوان الإســرائيلي ضد فصائل حزب الله في جنوب لبنان في ٢٠٠٦ أن دور إسرائيل لم يختف ولم يتغير، وقد أيدت بريطانيا العدوان الإســرائيلي على لبنــان بوقاحة، ومعها أمريكا ودول أوروبا، رغم أن العدوان الإسرائيلي تعثر وتحول إلى ما يشبه الهزيمة.

كمــا تعمدت بريطانيا دائماً اللجوء إلى أقذر أنواع الخداع وهي تقوم ببيع السلاح لأي طرفين في أي صراع. وخلال فترة حكم توني بلير – من ١٩٩٧ إلى ٢٠٠٧ – تدفقت شحنات الأسلحة البريطانية على إسرائيل والدول العربية فقد حصلت المملكة العربية السعودية على صفقات من الأسلحة البريطانية بلغت قيمتها مليارات من الجنيهات الإسترلينية، كما حصلت إسرائيل على أســلحة بريطانية بمئات الملايين من الجنيهات الإسترلينية، إضافة لما تحصل عليه من الولايات المتحدة.

لكن إسرائيل انفردت بالحصول على معدات عسكرية بريطانية ذات تكنولوجيا عالية تضمن لها التفوق على جيرانها العرب، حيث تحصل على أسلحة هجومية، مثل مكونات الطائرات المقاتلة وطائرات الهليكوبتر ومكونات الدبابات والمدرعات.

وكما تفعل بريطانيا مع العرب وإسرائيل في صفقات السلاح، فعلت بين الهند وباكستان، وقامت بتزويد الطرفين بالسلاح في عهد توني بلير، وهما على وشك الدخول في حالة حرب.

وقد أخذ التواطؤ بين بريطانيا وجماعة الإخوان المسلمين أبعاداً واسعة في بداية القرن الحادي والعشرين، خاصة أن هذه الجماعة استمرت في تقديم خدماتها للمخابرات الانجليزية بما يوفر الحماية للمصالح البريطانية في حقول البترول العربية بالخليج. والتحالف بين بريطانيا والإخوان استهدف في كل العصور خدمة أهداف السياسة الخارجية لبريطانيا والغرب.

وحدث أن تلقى ذات يوم الدكتور يوسف القرضاوي الزعيم الروحي للتنظيم الدولي للإخوان المسلمين دعوة من عمدة لندن لزيارة المملكة المتحدة. وقد أثارت الدعوة جدلاً واسعاً في الأوساط السياسية البريطانية، خاصة أنه يوجد في بريطانيا تنظيم محلي يسمي «اتحاد المسلمين في بريطانيا»، وهو الجناح الانجليزي لتنظيم الإخوان المسلمين.

وكشفت بعض الوثائق البريطانية مؤخراً أن بريطانيا لديها أسباب

جوهرية تدفعها للتواطؤ والتحالف الدائم مع جماعة الإخوان المسلمين وجماعات الإسلام المتطرف، وحتى خلايات الإرهاب.

واعترف تقرير للمخابرات البريطانية بأن مجرد الحديث والحوار بين بريطانيا وجماعة الإخوان يساعد بريطانيا على الحصول على معلومات مهمة للغاية عن الأوضاع في الدول العربية المحورية مثل مصر وسوريا والجزائر وهذا النوع من الحوار يساعد المخابرات البريطانية على تجنيد أعضاء الجماعة للعمل كمخبرين سريين يعملون لصالح المخابرات البريطانية وفروعها المختلفة.

وفي مذكرة كتبها أحد السفراء بالخارجية البريطانية اعترف بأن اهتمام بريطانيا بجماعة الإخوان المسلمين في مصر يعود لأهمية مصر البالغة في الخريطة الإقليمية للشرق الأوسط.

وقد نجحت بريطانيا في استخدام جماعة الإخوان المسلمين واستغلالها في ممارسة الضغط على الرئيس الأسبق حسني مبارك، رغم كونه لم يكن يعادي بريطانيا أو يقف ضد الهيمنة الأمريكية وبالفعل انتهي الأمر بعقد صفقة بين بريطانيا وجماعة الإخوان، قامت الجماعة بموجب هذه الصفقة بالضغط على نظام مبارك في شوارع القاهرة والمدن الكبرى، وربما كان اعتصام رابعة العدوية والنهضة جزءا من صفقة أو مؤامرة قديمة بين الإخوان وأجهزة المخابرات الانجليزية والأمريكية.

وهذه السياسة من أسباب قيام بريطانيا بفتح أبوابها أمام جماعة

الإخوان وكل جماعات التطرف والإرهاب في العالم العربي حتى أطلقوا على مدينة لندن اسم لندستان.

الحرص على الجماعة

ومارست بريطانيا أسوأ أنواع الخبث السياسي في التعامل مع مصر في عهد مبارك، فلم تشــجع الإخوان على الخروج إلى الشــوارع بشكل مباشــر ولم تضغط على مبارك للاعتراف بشرعية الجماعة المحظورة حتى لا تتعرض علاقات القاهرة لندن للخطر.

وكان المنطق الانجليزي شــديد الخبث، فقد كانت بريطانيا تخشي أن تتعرض الجماعة للقمع، مما يضطرها لتوجيه النقد لسياسات مبارك خاصة أن الجماعة وإن كانت محظورة إلا إنها كانت أقوي في المعارضة من الأحزاب السياسية الرسمية.

حرصــت بريطانيا دائما على تعميق علاقاتها بجماعة الإخوان لأن تقارير أجهزة المخابرات البريطانية كانت تؤكد أن مصر مؤهلة لحدوث تغيير واســع في النظام السياسي وهو ما حدث فعلا في يناير ٢٠١١ وأكدت الأحداث أن مستقبل مصر بعد مبارك يبدو غامضا وغير مؤكد، وإن كانــت جماعة الإخوان تبــدو مؤهلة للقيام بدور ما في أية حكومة مصريــة جديدة أو في أية فترة انتقالية فقد تســامح مبارك مع نشــاط الجماعة في الشــارع السياســي رغم توافر معلومات مؤكدة تشير إلى

أن الجماعة تحصل على أمـوال من جهات أجنبية خاصة المخابرات الانجليزيـة والأمريكية وكان التمويل القادم مـن قطر نوعا من أنواع غسيل الأموال لأنه تمويل يتم تحت ضغوط أمريكية!!

والحقيقة أن مصر واجهت سلسـلة مـن المخاطر الكبرى منذ ثورة ٢٠١١ وحتـى اليوم خاصة أن مصر مازالـت هي الدولة القيادية في العالم العربي وحرصت بريطانيا على زيادة وتعزيز مصالحها في مصر حتى بلغت الاستثمارات البريطانية في مصر في عهد مبارك ٢٠ مليار دولار ولاشـك في أن لندن كانت تخشـي تكرار تجربة شـاه إيران في مصر، ولذلك لجأت إلى التواطؤ والتحالف مع الإخوان وتيار الإسـلام المتطـرف في إطار يخدم مصالح بريطانيـا في مصر والعالم العربي كله.

وتصاعـدت المخاوف في لندن وواشـنطن خاصة بعد أن تفجرت ثورات الربيـع العربي، لم تكن القضية مجـرد الحفاظ على المصالح البترولية في الخليـج العربي، لكن النفوذ والهيمنة الأمريكية البريطانية أصبحت في مهب الريح.

الديمقراطية لا تهم الآن

وكان مجرد التفكير في إمكانية حدوث تغيير سياسي في القاهرة أمرا يثير الفزع لدي صانع القرار السياسـي في لندن وواشنطن لأن حدوث

تغيير في النظام السياسي بالقاهرة يكون خارج دائرة النفوذ الأمريكي البريطاني سيكون كارثة كبري أول من يشعر بها فريق التخطيط الاستراتيجي بالخارجية البريطانية وفريق البحث والتخطيط في مجلس الأمن القومي الأمريكي.

لم يكن في بريطانيا وأمريكا احد لديه ادني اهتمام بما يسمي التحول الديمقراطي في مصر لأن الخوف سيطر على صناع القرار من احتمالات أن يصعد إلى قمة السلطة في مصر حكومة أو قيادة شعبية تنحاز للمصالح الوطنية ضد مصالح الغرب الأمريكي الأوروبي ولذلك رأت بريطانيا ومعها الولايات المتحدة في جماعة الإخوان القوة السياسية الوحيدة التي يمكن أن تقف ضد صعود القوي الوطنية للسلطة في مصر، وفي الشرق الأوسط كله كما أنها القوة الوحيدة التي يمكن أن تقف ضد القوي والأحزاب الوطنية الجديدة مثل حركة كفاية والجمعية الوطنية للتغيير.

وركزت المخابرات الانجليزية والأمريكية جهودها دائما على التعامل مع جماعة الإخوان وليس مع الجماعات الوطنية الجديدة الصاعدة.

وفي سوريا لجأت بريطانيا والولايات المتحدة مرة أخرى لتقديم الدعم والتمويل لجماعة الإخوان المسلمين في سوريا وقد اتخذت الجماعة من لندن مقرا لها وبالطبع لم تجد بريطانيا وسيلة تمارس بها الضغط على نظام بشار الأسد المعادي للغرب إلا من خلال دعم وتمويل نشاط

الإخوان المسلمين الهدام في سوريا وكان الهدف واضحا من البداية وهو طرح وتقديم جماعة الإخوان المسلمين في سوريا باعتبار أن أعضاءها هم الخلفاء السياسيون لنظام الأسد في دمشق وكانت الولايات المتحدة قد اتفقت وتواطأت منذ زمن بعيد مع جماعة الإخوان في مصر وسوريا لتقويض وإسقاط النظم الوطنية الحاكمة في البلدين وبالفعل حصلت جماعة الإخوان في سوريا على كل التمويل والتسهيلات اللازمة من المخابرات الأمريكية وعقدت الجماعة مؤتمر سياسيا هاما في قلب العاصمة البريطانية لندن تحت شعار «سوريا لكل أبناء الشعب» وادعت الجماعة أنها تطالب بنظام سياسي جديد في سوريا يؤمن بالتعددية السياسية خاصة بعد وفاة حافظ الأسد وانعقد هذا المؤتمر في ٢٠٠٢.

وانعقد مؤتمر آخر للمعارضة السورية في لندن شاركت فيه جماعة الإخوان المسلمين وهكذا انكشف أن الأسباب الحقيقية لتأييد أمريكا وبريطانيا لعملية التمرد المسلح التي تمارسها جماعة الإخوان في سوريا ليست إلا جزءا من التحالف القديم بين بريطانيا وأمريكا من جهة وجماعة الإخوان المسلمين من جهة أخرى لإسقاط أي نظام قومي عربي يرفض الهيمنة الأمريكية والأوروبية.

ومن المدهش أن بريطانيا استمرت في علاقاتها السرية مع الإخوان المسلمين رغم أن الوثائق البريطانية تؤكد أن بريطانيا كانت على علم

كامل بحقيقة العلاقة بين الجماعة والخلايا والتنظيمات الإرهابية ومنها تنظيـــم القاعدة بـــل إن بريطانيا تعلم أكثر من غيرهـــا أن كل الخلايا الإرهابية خرجت من عباءة الإخوان الفضفاضة.

حركة دينية سياسية

وذكـــرت وثيقة حديثة جدا من وثائق الخارجية البريطانية ان جماعة الإخوان المصرية عبارة عن حركة دينية سياســـية والجماعة ترتبط منذ نشـــأتها بعلاقات تاريخية مع الإرهـــاب وعمليات القتل والاغتيال على مدى ثلاثة عقود متوالية منذ الأربعينيات وحتى الخمسينيات والستينيات وقام الشـــيخ سيد قطب فيلســـوف الجماعة بتحديث مفهوم الجهاد لدي الجماعة ليشـــرع الجهاد داخل مصر وضد المجتمع الكافر في مصر وبذلـــك تنطوي صفحـــة الجهاد ضد أعداء الإســـلام خارج مصر إلى الأبد!!

ومنذ هذا التاريخ اتســـعت علاقات الإخـــوان بالجماعات والخلايا الإرهابية وذكرت الوثائق البريطانية أن جماعة الإخوان قد تتخلي أحيانا عن ممارسة العنف والاغتيالات لكنها تقدم الدعم والتأييد والتخطيط لكل جماعات الإرهاب!!

والحقيقة انه على مدى حقبة التسعينيات تحولت العاصمة البريطانية لنـــدن إلى عاصمـــة لجماعة الإخوان المســـلمين ومعها كل جماعات

وخلايا الإســـلام المتطرف بل أصبحت لندن مركز قيادة الإرهاب حول العالم.

فقد استقرت جماعة الإخوان في لندن ومعها التنظيم الدولي للجماعة، وأصبحت لندن مدينة مفتوحة لكل تنظيمات الإرهاب في العالم العربي بدءا من الجماعة الإســـلامية المســـلحة في الجزائـــر وحتى الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا وجماعة الجهاد الإسلامي في مصر وحتى تنظيم القاعدة ذاته وقد امضـــي الدكتور أيمن الظواهري القائد الحالي للتنظيم احلي ســـنوات جهاده وإرهابه في لندن وخلال ســـنوات معدودة أطلق الإرهابيون على لندن اســـم لندنستان باعتبارها المركز العصبي للإرهاب وعملياته وجرائمه حول العالم وباســـم حقوق الإنســـان قدمت بريطانيا حق اللجوء السياســـي لجماعات وقيادات الإرهاب في لندن بل ورفضت تسليم المجرمين في حوادث وجرائم الإرهاب إلى مصر.

قصة صعود وسقوط الإخوان في مصر!

ربما كان هذا وقت وجب فيه على مصر أن تتألم وتتعلم كيف تغضب وهي تواجه الخيانة الرخيصة لجماعة الإخوان الإرهابية، إن عروق المصريين تغلي اليوم بالغضب والسخط العميق من الجماعة التي رفعت السلاح في وجه مصر، الوطن والدولة والشعب.

فقد أطل الإرهاب علينا فجأة بوجهه الظلامي، وأصبحت ساحة المواجهة معه واسعة ممتدة، من سيناء وحتى شوارع القاهرة والدلتا والإسكندرية والصعيد، انقلبت الجماعة على المصريين وعلى دولتهم الوطنية، لان مصالح الجماعة ترتبط دائماً بمصالح القوى الكبرى في واشنطن ولندن وبرلين.

من الواضح أن المصالح الوطنية لمصر وشعبها ليس لها أدنى وجود في جدول أعمال الجماعة، فقد ارتبطت الجماعة بأجهزة المخابرات العالمية التي تبحث عن عملاء وخونة يقدمون لهم العون والمساعدة في خدمة المصالح والأطماع الاستعمارية القديمة والحديثة.

فقد تأسست الجماعة على جرائم القتل وإراقة الدماء والاغتيالات ضد الخصوم، وأجادت فنون إشعال الحرائق خاصة في القاهرة منذ أوائل أربعينيات القرن الماضي وحتى اليوم.

لـــم تتغير جماعة الإخوان فقـــد اختلفت الوجـــوه والقيادات وبقيت الجماعة كما هي تبيع نفســـها للقوي الأجنبيـــة وتعرض خدماتها للبيع على كل من يدفع أكثر بهـــدف هدم وتدمير الدولة الوطنية في مصر حتى يبقي العالم العربي في حالة استسلام مزمن لأطماع وهيمنة القوي الكبرى خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا.

وفـــي لحظة الحقيقة حين تفجرت ثـــورات الربيع العربي في مصر وتونـــس في ينايـــر ٢٠١١ تحولـــت جماعة الإخوان المســـلمين إلى ســـلاح سري رهيب في أيدي المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات البريطانية ليســـت له من مهمة سوي إحباط ثورات الربيع العربي ومنع قيام أية نظم وطنية في أي بلد عربي تعادي المصالح والأطماع الكبرى لواشـــنطن ولندن خصوصا في منابع البتـــرول والغاز بالخليج العربي وهي أكبر ثروة مخزونة تحت الأرض منذ فجر التاريخ وفي هذا الكتاب «الملفات الســـرية» يؤكد المؤلف مارك كيرتس أن ثورات الربيع العربي في تونس ومصـــر بالذات انطوت على مفاجأة كبـــري لصناع القرار في أمريـــكا وبريطانيا فقد حدثت تقلبات الربيـــع العربي في وقت بالغ الصعويـــة، كانت فيه الدولتان تواجهـــان أصعب واعقد أزمة مالية في العصر الحديث، كانت ومازالت تهدد النظام الرأسمالي القائم في أوروبا والولايات المتحدة.

التفاؤل الغائب

كما حدثت هذه الثورات في وقت انســحبت فيه أمريكا وبريطانيا من العراق، لكنهما اكتشفا فجأة أنهما تورطا معا في حرب يائسة لا يمكنهما تحقيق النصر فيها داخل تلال وجبال وكهوف أفغانســتان، وتبدو أزمة الغرب مع إيران وبرنامجها النووي غير قابلة للتراجع أو الانحسار.

في هذه الأجواء، لم يكن هناك ما يدعو للتفاؤل، خاصة داخل الدول العربيــة الموالية للغرب، في مصر وتونــس والمغرب وحتى ليبيا ودول الخليــج وحدثت التحولات الغريبة فجأة وعلـــي غير انتظار واتضح أن دواعي الأمن والاســتقرار في مصر وتونس، فيهــا من خداع البصر، أكثر مما فيها من الحقيقة واهتزت بلدان الشــرق الأوســط فجأة بسلسلة من التقلبات الثورية فـــي ٢٠١١ ليس لها مثيل منذ عصر عبدالناصر ورفاقه من الضباط الأحرار في يوليو ١٩٥٢ وأسقطت هذه الثورات نظما ورؤساء عاشوا في أحضان التحالف مع دول الغرب الأمريكي الأوروبي مثل زين العابدين بن على في تونس والرئيس حسني مبارك في مصر.

السقوط له شروط

كانت أمريكا وبريطانيا على اســتعداد للقبول بســقوط مبارك وبن علي، بشــرط ألا تقــوم في مصر وتونس حكومــات وزعامات وطنية جديدة تعــادي المصالح الأمريكية والبريطانيــة ولذلك خططت أجهزة

المخابـرات الأمريكية والبريطانية للحد من نافذة الاختيار أمام القيادات الثورية في مصر وتونس حتى تكون ضيقة جدا لا مجال فيها للاختيار إلا بيـن النظام القديم الموالي لأمريـكا وبريطانيا أو نظام ديني عميل للغرب الأمريكي الأوروبي بقيادة جماعة الإخوان المسلمين!!

هكذا كانت المؤامرة علـى ثورات الربيع العربي في مصر وتونس، كاملة الأركان وهذا هو السـر الحقيقي للغضب الأمريكي لسقوط دولة الإخوان في مصر بثورة شعبية غير مسبوقة في تاريخ الشعوب وتعمدت الولايات المتحـدة أن تمارس ضغوطات رهيبة على الرئيس السـابق حسـني مبارك كي يتسامح مع الأنشطة المريبة لجماعة الإخوان على مـدى ثلاثين عاما حتى تملأ الفراغ في الشـارع السياسـي المصري بمـا يضمن الغياب التام لقوي التحرر الوطني بكافة أطيافها الناصرية والليبرالية والوطنية وهكذا، حين أجريت الانتخابات في تونس ومصر، صعدت قوى وأحزاب التطرف الإسلامي مثل جماعة الإخوان المسلمين للسلطة بسـهولة غريبة أثارت دهشـة المصريين ولكنها كانت مؤامرة مدبـرة وضربة معلم حقيقية أجادت تنفيذها الأجهزة السـرية الأمريكية والبريطانية داخل مصر فقد أصيب صناع القرار في لندن وواشـنطن بالفزع من مخاطر ظهـور عبدالناصر آخر في القاهرة بالذات، ينادي بالتحـرر الوطني وبالوحـدة العربية ويعادي مصالـح وأطماع أوروبا وأمريكا في العالم العربي.

إدعاء كاذب

وادعي المسئولون الأمريكيون والبريطانيون طوال ثورات الربيع العربي أن مهمتهم الأساسية هي نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان في الشرق الأوسط، وكانت ادعاءات كاذبة وخادعة أمام شاشات التليفزيون والصحافة العالمية، لأن صناع القرار في واشنطن أصابهم الفزع مبكرا جدا من مخاطر قيام نظام وطني في مصر على أنقاض نظام مبارك.

لكن المعادلة الأمريكية البريطانية في الشرق الأوسط كانت واضحة بقسوة بالغة فقد اتفقت أمريكا وبريطانيا باستمرار على إقامة تحالف عسكري فيما بينهما بما يضمن لهما استخدام القوة العسكرية في أية لحظة حتى يستمر تدفق البترول من حقول ليبيا والجزائر والخليج العربي بلا انقطاع وبأسعار يتحملها الاقتصاد العالمي وتكشف الوقائع والأحداث دائما ان بريطانيا والولايات المتحدة يتفقان على رفض ومعارضة قيام أي نظم ديمقراطية ووطنية في أي مكان من العالم خاصة داخل الدول العربية لأن ذلك يتناقض بالطبيعة مع المصالح والأطماع الأنجلو-أمريكية في هذا الجزء من العالم.

وهكذا لم يبق أمام أمريكا وبريطانيا سوى التحالف مع الجماعة الظلامية للإخوان المسلمين والقوي السلفية المتطرفة لضمان إحباط الروح الوطنية لثورات الربيع العربي وكان الهدف واضحا وهو ضرورة

ألا تتحرك الثورة خطوة تقدمية إلى الأمام، بل تتحرك خطوة أو خطوات للخلف، تأخذ بالدين في الظاهر وتنحاز للاستعمار الجديد في الباطن كما رأينا في نظام محمد مرسي العميل.

المهمة الأولى

ويقول مارك كيرتس في كتابه، أن حكومة ديفيد كاميرون رئيس وزراء بريطانيا حددت إستراتيجيتها منذ اللحظة الأولى وأكدت أن مهمتها الأولى هي الحفاظ على وضع بريطانيا في خريطة السياسة الدولية باعتبارها لاعبا رئيسيا في السياسة العالمية، وهذه مهمة بالغة الصعوبة لأن بريطانيا تراجعت مكانتها العالمية بعد الحرب العالمية الثانية وبعد هزيمة السويس في عام ١٩٥٦ وتحولت إلى قوة من الدرجة الثانية، محكومة بحدود وقيود الجزيرة البريطانية التي لا تزيد مساحتها على ٢٥٪ من مساحة دولة مثل مصر.

ويشعر صانع القرار البريطاني في لندن أن يده مغلولة ومحكومة بحدود وإمكانيات وثروات الجزيرة الصغيرة المحاطة بمياه بحر الشمال والمحيط الأطلنطي وبحر المانش، وهكذا اكتشفت بريطانيا بسرعة انه لم يعد لها مكان في لعبة السياسة الدولية إلا من خلال الارتباط بذيل القوة الأعظم في العالم وهي الولايات المتحدة الأمريكية.

وأجمع فريق التخطيط بوزارة الخارجية البريطانية على أن بريطانيا

لابد أن تبقى قوة عالمية وما لا تحققه الجزيرة بإمكانياتها ومواردها الذاتية، يمكن أن يتحقق من خلال الارتباط بذيل أمريكا، والباقي يتحقق من خلال المؤامرات السرية لأجهزة المخابرات البريطانية وهي أفضل أجهزة المخابرات وأكثرها كفاءة في العالم.

ورغم الأزمات المالية التي تواجه بريطانيا إلا أنها تحرص على الاحتفاظ بميزانية عسكرية كبيرة، رابع أكبر ميزانية دفاع في العالم بعد أمريكا وروسيا والصين والهدف من وراء ذلك أن تبقى بريطانيا واحدة من بين حفنة صغيرة من الدول التي تمتلك السلاح والتكنولوجيا اللازمة لنشر قواتها فيما وراء البحار.

العالم يتغير

وبدأت بريطانيا تشعر بالخوف على مصالحها خاصة في الخليج العربي مع صعود قوة الصين والهند ومع التغييرات الجديدة في خريطة القوي الاقتصادية في العالم، حيث تصعد البرازيل وتركيا، وربما اندونيسيا ومع ذلك فإن بريطانيا وأمريكا تواجهان تحديات كبرى في الشرق الأوسط خاصة بعد الانسحاب من العراق والهزيمة في أفغانستان.

فقد تغيرت خريطة الشرق الأوسط بالغزو والحرب وحتى بالثورات، وبقيت التحديات التي تواجه صناع القرار في واشنطن ولندن كما هي.

إيران والبترول

ويبدو أن المخاوف من احتمالات نجاح إيران في صنع القنبلة النووية حقيقية مما دفع كبار المسئولين الأمريكيين والانجليز إلى الإشارة دائما إلى إمكانية قيام بريطانيا وأمريكا وإسرائيل بالتدخل العسكري لتدمير منشآت إيران النووية.

وبالفعل بدءا من نوفمبر ٢٠١١ بدأ فريق التخطيط في وزارة الدفاع البريطانية في وضع الخطط الطارئة لاحتمالات التدخل العسكري في إيران وبدأ التخطيط فعلا لتحديد أفضل الأماكن والقواعد التي يمكن فيها نشر الأسطول البريطاني في الخليج العربي، في حين تقوم أمريكا وإسرائيل بعمليات سرية داخل إيران بهدف تخريب المنشآت النووية الإيرانية واغتيال كبار علماء البرنامج النووي الإيراني وهو مجهود مشترك هائل للمخابرات المركزية الأمريكية والموساد الإسرائيلي.

الوصول والسيطرة

ومن الواضح أن الهدف الثابت للغرب هو ضمان حرية الوصول والسيطرة على حقول البترول العربي وقد أصبحت هذه العملية معقدة وصعبة في عصر ما بعد الحرب الباردة فقد أصبحت الصين أكبر مستهلك للبترول في العالم وتفوقت على أمريكا في هذا المجال.

في حين أصبحت بريطانيا أكثر اعتمادا على البترول والغاز

المستورد خاصة بعد تراجع إنتاج حقول بحر الشمال ومن المتوقع أن تزداد واردات بريطانيا من البترول والغاز بنسبة ٩٠٪ خلال السنوات السبع القادمة ومن المتوقع أن تكون المنافسة شرسة بين القوي الكبرى القديمة والجديدة في السيطرة على منابع البترول خاصة في الخليج العربي وهي أغني الاحتياطات المؤكدة فوق الكرة الأرضية ومازالت القاعدة الإستراتيجية ثابتة وهي أن من يتحكم في بترول العالم سوف يتحكم في مستقبل اقتصاد العالم.

قمة الأولويات

وهنا نكتشف بوضوح أن ثروات البترول والغاز تأتي في قمة أولويات الإستراتيجية المشتركة بين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، أما الحديث عن نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان فإنه ليس من مصلحة أية قوة عالمية وهكذا اتجهت أمريكا وبريطانيا إلى التلاعب بأقدار ثورات الربيع العربي بالتواطؤ مع جماعة الإخوان المسلمين واعترف وزير الدولة البريطاني للشئون الخارجية بعد ١١ يوما فقط من استقالة الرئيس مبارك بأن مصالح بريطانيا والغرب تكمن في ضرورة حدوث تحول منظم لثورات الربيع العربي وطالب بضرورة أن تسعي أمريكا وبريطانيا من أجل قيام نظم وحكومات موالية للغرب من بين أنقاض

ثورات وتقلبات الربيع العربي وأضاف أننا لا يجب أن نسمح للصين بأن تحصل على موطئ قدم في حقول ومنابع البترول بالشرق الأوسط.

وفي ١١ فبراير حين اضطر الرئيس مبارك للاستقالة وقف ويليام هيج أمام البريطانيين ليقول، هناك بعد شرقي في كل ما يحدث من ثورات وتقلبات بالشرق الأوسط فقد انتشرت الاستثمارات الصينية في كل مكان ووصلت السفن الحربية الصينية إلى البحر المتوسط لأول مرة منذ مئات السنين ويبدو أن نفوذ القوي الآسيوية الصاعدة في الصين والهند ثقيلا ومتزايدا خاصة بعد أن أصبح ٦٦٪ من إنتاج السعودية للبترول والغاز يذهب شرقا إلى الهند والصين واليابان وكوريا الجنوبية واتضح بسرعة أن ما يحدث في مصر وتونس وليبيا من تقلبات وتحولات يمكن أن يؤثر بشدة على أمن الطاقة في بريطانيا وأوروبا والولايات المتحدة.

مع الإخوان بعد الثورة

ويبدو أن مشاهد الثورة في مصر في فبراير ٢٠١١ كانت أمرا لا ينسي، حيث أعلن وزير الدولة البريطاني للشئون الخارجية أن مصالح بريطانيا وأمريكا في الشرق الأوسط لم تتغير فلابد أن نقف ضد حركات التحرر الوطني في العالم العربي، ولابد من تأمين إمدادات البترول مع بقاء أسواق الشرق الأوسط مفتوحة أمام الشركات البريطانية

والأمريكيـــة والأوروبية كما أن اهتمـــام بريطانيا وأمريكا لابد أن يتركز على نشـــر الديمقراطية الرأســمالية في العالم العربي لضمان استمرار الولاء والانحياز للمصالح الغربية.

وفـــي لحظة الأزمة والثورة، عادت بريطانيا للتقاليد القديمة وفضلت التواطؤ مع قوى التطرف الإســـلامي خاصة جماعة الإخوان المسلمين وقد بدأت الاتصالات الســـرية والعلنيـــة أمريكية وبريطانية مع جماعة الإخوان المســـلمين مبكرا جدا خاصة بعد قرار الرئيس مبارك بالتنحي والاســـتقالة ويعترف مارك كيرتس انه لا توجـــد تفاصيل واضحة عن هذه الاتصالات الســـاخنة ويؤكد انه حين طالب بالكشف عن الملفات الخاصة بهذه الاتصالات في الخارجية البريطانية قوبل طلبه بالرفض، وقالوا له أن كشـــف هذه الأســـرار لا يخدم مصالح بريطانيا في مصر والشرق الأوسط.

اتصال دائم

وكانـــت بريطانيا على اتصـــال دائم بجماعة الإخوان المســـلمين وقياداتهـــا في لندن والقاهرة واتخذت حكومة توني بلير خطوات محددة لتعميـــق التواطؤ مع الإخوان خاصة بعد فوز الجماعة بـ٨٨ مقعدا في برلمان ٢٠٠٥.

وفـــي اجتماع الحكومة البريطانية بعد أيام من ســقوط مبارك، قال ويليام هيج أن جماعة الإخوان جزء مهم من موازين المجتمع المصري وقد لعبت بريطانيا دوراً جوهرياً في بقاء واســتمرار وجود الجماعة منذ خمســينيات القرن الماضي وحتى اليــوم، بالتمويل والتخطيط والتآمر، بل والتواطؤ من أجل تحقيق أهداف مشــتركة للجماعة ولبريطانيا وهما يتفقان معاً في الأهداف وهي الإطاحة بأي نظم وطنية للحكم في مصر واعترف بأن بريطانيا على اتصال حالياً خاصة بأعضاء البرلمان الذين تم انتخابهم في برلمان ٢٠٠٥.

ليست خطراً

وفي أوائل مارس ٢٠١١ تحولت الاتصالات السرية إلى اتصالات معلنة بين كبار المسئولين الانجليز وقيادات الجماعة في لندن والقاهرة وقام القنصل العام لبريطانيا بالإســكندرية بزيارة لمقر جماعة الإخوان بالإسكندرية وفي يونيو ٢٠١١ أعلن جيمس وات سفير بريطانيا بالقاهرة أن جماعة الإخوان لا تشــكل خطرا على مصر وبدأ التواطؤ الأمريكي البريطانـــي يأخذ أبعادا جديدة بعد ثــورة يناير ٢٠١١ خاصة بعد فوز الجماعــة بـ٣٧٪ من مقاعد البرلمان المنحــل ومن جانبها قامت إدارة الرئيس الأمريكي بــاراك أوباما بإعادة تقييم علاقاتها بالإخوان وصدر بيان في واشنطن يؤكد أن أمريكا على اتصال بقيادات الجماعة وستبقي

على اتصـــال بها مادامت تحترم الديمقراطية وســيادة القانون وحقوق المرأة والأقليات وحقوق الإنسان.

ويؤكد مـــارك كيرتس أن لندن وواشــنطن كان لديهما حرص دائم علـــى التركيز على هذه المبادئ، كنوعٍ من العلاقات العامة السياســية لأن الهدف الأساســي كان هو دفع الإخوان للصعود إلى قمة السلطة لضمان انحياز النظام الجديد في مصر للمصالح الأمريكية البريطانية بما يوفر الحماية للاســتثمارات والاحتكارات البترولية والتجارية الغربية في الشرق الأوسط. كانت ومازالت الأولويات الأمريكية في مصر ثابتة هي ضرورة الحفاظ على معاهدة السـلام القائمة بين مصر وإسرائيل، مع الاستسلام لسياسات إســرائيل التوسعية خاصة في القدس والضفة الغربية.

واعترف فريق التخطيط بوزارة الخارجية البريطانية بأنه لا يوجد لديهم أدني اهتمام بجدول الأعمال السياسي الداخلي لجماعة الإخوان، لأن ما يهم بريطانيا هو الحفاظ على مصالحنا المشتركة مع أمريكا وأوروبا.

في قائمة الإرهاب الأمريكية

واتضح من البرنامج السياسي للإخوان انه يحتوي على ادعاء باحترام وبناء الديمقراطية، رغم انه يتضمن نوعا من التمييز المفرط ضد النساء والأقباط، مع التركيز على ضرورة تطبيق قوانين الشريعة.

وذات يوم اعترف ريتشارد ديرلاف المدير السابق لجهاز المخابرات «إم- أي-٦» بأنـــه لا توجد لديه أوهام حـــول حقيقة جماعة الإخوان المسلمين، فهي قد تكون منظمة اجتماعية أو سياسية، لكنها في القلب منظمة إرهابية!!

وكشـــفت وثائق ويكيليكس مؤخرا أن الولايات المتحدة تضع جماعة الإخوان المسلمين في مصر في القائمة السوداء التي تضم ٣٦ منظمة إرهابية في العالم، لكن التحالف الأمريكي مع الإخوان في مصر يتعلق بالمشروع الأمريكي للشرق الأوسط الذي يتضمن مكافحة وإسقاط النظم الوطنية في العالم العربي!!

وهذا هو الســـر وراء الخوف الأمريكـــي من ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ التي أســـقطت محمد مرســـي وأطاحت بدولة الإخوان في مصر مبكرا جدا وسوف يسجل التاريخ أن المخابرات الأمريكية والبريطانية قد دفعت الجماعة إلى قمة الســـلطة في مصر على حســـاب المصالح الوطنية للشـــعب الذي اســـقط الجماعة واســـقط المخططات الأجنبية بضربة واحدة.

الجماعة، هي الخادم الأمين للإمبراطورية الأمريكية

دورة الزمن لابد أن تكتمل، لأنها تعبير عن إرادة القدر، وليس إرادة البشـــر، نعم كان يجب أن يـــدور الزمن دورة كاملة، وأن تتحرك عجلة التاريخ بســـرعة مطلقة، كان من الضــــروري أن تدور الأحداث الكبرى بقلوبنا وعقولنا على مدى عشـــرات السنين من حياتنا في مصر والعالم العربي، حتى نكتشف وجه الحقيقة كاملا، بلا زيف وبدون أكاذيب.

كان من المحتم أن تكتمل دورة الزمن، حتى نكتشف حقائق الرجال، والجماعات والسياســـات، وحتـــى تتجلي أمامنا حقيقـــة مواقع الرجال والأحـــداث في التاريـــخ وحين اكتملت دورة الزمن رغـــم أنوفنا، وعلي كراهية منا أحيانا كثيرة، أدركنا أخطاء السياسات والحسابات التي وقعنا فيها كثيراً، أحياناً بإرادتنا الحرة وأحياناً أخرى مكرهين، لكننا في النهاية تعلمنـــا وعلمنا أن مصر - يوليو ١٩٥٢ كانـــت دائماً على صواب، وكانت على حق في مجمل السياسات والمواقف الوطنية.

وأثبتت الوقائع والأحداث أن مصر، لم تتراجع للخلف إلا حين تخلت عن ذاتها وكيانها، كقوة إقليمية كبرى للســـيادة والتحرر الوطني في هذا الجزء من العالم. ولم تخســـر مصر من رصيدها الإقليمي والدولي، إلا حين تخلت عن مسيرة التقدم والتنمية المستقلة.

وهنـــا لابد أن ندرك دواعي الفزع والخوف الذي أحدثته ثورة الملايين من أبناء شعب مصر في الثلاثين من يونيو الماضي، خاصة لدي صناع القرار في واشــنطن ولندن فقد راهن الرئيس الأمريكي باراك أوباما على التحالف غير المقدس بين الولايات المتحدة وجماعة الإخوان المسلمين، خاصة بعد أن دفعت بها المخابرات الأمريكية والبريطانية إلى قمة السلطة في مصر، بوجود الدكتور محمد مرسي في قصر الاتحادية.

كان صانع القرار في واشــنطن يحلم بثلاثين عاماً أخرى من غياب الحرية والإرادة الوطنية في مصر، وكم راودتهم «أحلام اليقظة السياسية»، بأن مصر ستبقى في حالة استسلام مطلق للهيمنة الأمريكية والأوروبية على مقدرات الشعوب في العالم العربي.

ولذلك حين أطاح الشعب بدولة محمد مرسي وأسقط الإخوان، لجأت أمريــكا وبريطانيا بالذات إلى لغة التهديــدات، وهددوا بقطع المعونات والمســاعدات، وهددوا بفــرض الحصار الاقتصـــادي وبالحرمان من الاســتثمارات وتدفق رءوس الأموال بل وارتفعت صيحات في واشنطن تهدد بتكرار سيناريو الجزائر في مصر وأشار السيناتور الأمريكي جون ماكين إلى ذلك بثقة مطلقة وهو يتحدث إلى الصحافة في القاهرة.

انطلاقاً من لندن

ولم يكن هذا غريبا، لأن الجماعة الإســلامية المسلحة في الجزائر،

التي ارتكبت أســوأ الجرائم الإرهابية وقامت بأبشــع المذابح ضد أبناء الشــعب الجزائري طوال التسعينات، كانت تعمل انطلاقا من العاصمة البريطانية لنــدن، التي فتحت أبوابها لكل خلايــا وجماعات الإرهاب والجهاد، وانفردت الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر بإقامة مركز قيــادة في لنــدن، كان يجري فيه التخطيط للقيــام بالعمليات الإرهابية الدمويــة ضد الجيش ومؤسســات الدولة في الجزائــر وخلال يوميات الإرهــاب والمذابح في الجزائر كتب الأســتاذ محفــوظ الأنصاري في الجمهورية ليؤكد أن الجزائر في هذه الأيام تدفع ثمن وقوفها إلى جانب مصر في حرب أكتوبر ١٩٧٣.

قصة لم يكتبها أحد

ويقول مــارك كيرتس في كتابه «ملفات ســرية»، هناك فصل في تاريــخ النظام العالمي الجديد لم يكتب بعــد، إنها قصة أنجلو أمريكية طويلــة، قامت خلالهــا الولايات المتحدة وبريطانيا، بتمويل وتشــجيع جماعة الإخوان المسلمين وجماعات التطرف الإسلامية، علنا وسرا.

وهذه القصة تمتد لســتين عاما مضت، منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ ومنذ ظهــور كاريزما جمــال عبدالناصر، بروحه الحــرة الوطنية في العالم العربــي ولم تجد بريطانيــا وأمريكا ما يســاعدهما على الوقوف ضد تيــار الاســتقلال والقومية العربية إلا جماعة الإخــوان، بما لديها من

كوادر وطاقات يمكن استغلالها في القيام بعمليات الإرهاب والاغتيال في مصر والدول العربية، واستمر التحالف بين أمريكا وبريطانيا من جهة وجماعة الإخوان الإرهابية على مدى عقود طويلة أصبح خلالها الإرهاب ظاهرة إسلامية وعالمية.

البحث عن إمبراطورية

فبعد الانتصار التاريخي في معارك الحرب العالمية الثانية، سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إقامة إمبراطورية لها في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ووسط وجنوب آسيا، وحتى وإن جاء ذلك على أنقاض إمبراطورية بريطانية غاربة، ودائما كانت جماعة الإخوان هي الخادم الأمين للإمبراطورية الأمريكية في الشرق الأوسط والعالم العربي.

وفي سبيل البحث عن الإمبراطورية، لجأت الولايات المتحدة مبكرا جدا للتحالف مع جماعة الإخوان المسلمين وقوي الإسلام السياسي للوقوف ضد حركة التحرر الوطني التي يقودها عبدالناصر في العالم العربي وحتى أفريقيا وآسيا.

وتكشف سجلات ووثائق الأرشيف القومي البريطاني أن جماعة الإخوان كانت تنظر إلى حزب الوفد قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ باعتباره حزب الزنادقة والملحدين، ولم ينج عبدالناصر من هذا الاتهام بعد الثورة.

وتكشف الوثائق البريطانية أن نجوم حركة التطرف الإسلامي في مصر، بدءا من الأفغاني وحتى الشريف رضا وحسن البنا كانوا من أتباع المحفل الماسوني الشرقي الذين أسسوا حزب الشرق، بدعم القصر الملكي والإنجليز، ليقف مع الاحتلال البريطاني لمصر ضد حركة التحرر الوطني والاستقلال التي كان يقودها حزب الوفد بقيادة سعد زغلول ومصطفى النحاس من بعده.

ويقول أصحاب النوايا الطيبة إن أمريكا لم تكتشف أخطاءها في التحالف مع الإخوان إلا بعد هجمات ١١ سبتمبر، ٢٠١١ لكن أصحاب النوايا الأخرى يقولون إن أحداث ١١. سبتمبر كانت جزءا من مؤامرة كبري تبرر إسراف الولايات المتحدة في استخدام القوة المسلحة ضد أفغانستان، وفي غزو واحتلال العراق، بدليل أن التحالف الأمريكي البريطاني مع جماعة الإخوان مازال قائما حتى الآن.

صفقة مع شيطان

ويعود بنا مارك كيرتس للوراء قليلا، ويقول إن بريطانيا سعت للحفاظ على إمبراطوريتها في الشرق الأوسط منذ أواخر العشرينات، ولذلك اضطرت إلى عقد سلسلة من الصفقات الكبرى مع عدد من الشياطين السياسية كان حسن البنا أبرز هؤلاء على الإطلاق، وهو مؤسس جماعة الإخوان.

وقد لعب حسن البنا دورا مهما في عملية أسلمة مصر وتحويلها إلى الإســلام الوهابي المتطرف، من خلال تأسيسه لجماعة الإخوان بمنحة مالية شهيرة حصل عليها من شركة قناة السويس البريطانية، وعلي مدى أكثر من ربع قرن لجأ الدبلوماســيون الإنجليــز والمخابرات البريطانية والملك فاروق إلى استخدام جماعة الإخوان المسلمين باعتبارها العصا الغليظة التي يمكن بها ضرب حزب الوفد، وكل أحزاب الحركة الوطنية المصرية.

وحين قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ لجأ الانجليز والأمريكيون مرة أخرى إلى استخدام جماعة الإخوان المسلمين باعتبارها سلاح الإرهاب المضاد لجمــال عبدالناصر، وحركتــه الوطنية. وبفضل التمويــل البريطاني والأمريكي، ثم الســعودي، تحولت جماعة الإخــوان إلى تنظيم دولي كبير، يضم الكثير مــن جماعات وخلايا التطرف والإرهاب التي ترفع رايات الإسلام.

قصة الجهاد ضد المسلمين!

ونجحــت بريطانيــا في تزييــف الحقائق، وتحويل عقيــدة الجهاد الإسلامي، من عقيدة جهاد ضد أعداء الإسلام، خارج بلاد المسلمين، إلى جهاد ضد مجتمعات المســلمين في بلاد المسلمين، وقال ونستون تشرشــل الزعيم البريطاني الشــهير في مذكراته إننا إن لم ندفع حركة

التطرف والجهاد الإســلامي للعمل داخل مجتمعات المســلمين، فإنها بالطبع ســتتحول للجهاد ضد الإمبراطورية البريطانية في العالم العربي والهنــد، وهي تعتبر «أكبر قــوة محمدية» في التاريخ الحديث لأنه في ١٩١٩ كان يوجد بالهند وحدها ٢٠ مليون مسلم.

وهكذا يتضح أن الزعيم البريطاني تشرشل هو الذي كتب بنفسه شهادة ميلاد جماعة الإخوان المسلمين، وكل جماعات التطرف الإسلامي في العالم العربي وفي الهند وباكســتان، ولم يكن لجماعة الإخوان ان تقوم ويكــون لها وجود أساســا، بدون موافقة الإنجليز وســلطات الاحتلال البريطاني في مصر، ويقول مارك كيرتس إن الحرب على الإرهاب في جوهرها ليست إلا حربا ضد جماعة الإخوان والتنظيمات الإرهابية التي خرجت من أحشائها.

ومــع ذلك يمكننا أن نري أعضاء وقيادات جماعة الإخوان موجودة بقوة ومنتشــرة في المؤسســات الكبرى بالدول العربية، فقيادات جماعة الإخوان تســيطر على جهاز النيابة العامة والقضاء بالســودان، وفي المراكز القيادية بالجامعات السعودية والخليجية، وبين أعضاء الحكومة الأردنيــة وفي قيادات البنوك والمصــارف الكبرى بالخليج العربي، بل وفي حكومة العراق بعد رحيل قوات الاحتلال الأمريكي.

وهناك ما يشــبه الاستسلام لانتشار هذه الظاهرة في العالم العربي،

أحيانا بضغوط أمريكية بريطانية، وأحيانا أخرى بضغوط الواقع السياسي العربي.

التسامح الإنجليزي مع الإرهاب

وتسامحت بريطانيا طوال التسعينات مع جماعات ومنظمات الإرهاب في العالم العربي، وانتشــرت قيادات وأفراد جماعة الإخوان والجماعات الإرهابية المسلحة في لندن واعترف خالد الفواز مدير مكتب أسامة بن لادن في منتصف التســعينات بأن لندن هي مقر قيادة تنظيم القاعدة، وقال لصحيفة سويسرية، إن السلطات في لندن متسامحة جدا معنا، ما دمنا لا نتدخل في الشئون الداخلية لبريطانيا.

وفي أغســطس ١٩٩٨ قال الباكستاني عمر بكري محمد، مؤسس تنظيم «المهاجرون» الإرهابــي، إنه يعمل انطلاقا من لندن بناء على «اتفاق ســلام» مع السلطات البريطانية حين حصلت على حق اللجوء السياسي لبريطانيا، وأضاف أن الحكومة البريطانية تعلم من نحن؟!

وتعلم أننا جماعة إرهابية، وقد قام جهاز المخابرات الداخلية البريطاني إم أي ٥ باستجوابنا عدة مرات، حتى أصبحنا نتمتع الآن بالحصانة في بريطانيا، مادمنا نمارس الإرهاب خارج الأراضي البريطانية.

اتفاق سري

ويقول مـــارك كيرتس إنه لا يمكن تفســير ذلــك إلا بوجود اتفاق سـري بين السلطات البريطانية وجماعات الإرهاب المسلح كما أن ذلك يعتبر بمثابة ضوء أخضر صـــادر من وزارة الخارجية البريطانية لهذه الجماعات بأن تمارس الإرهاب فيما وراء البحار، من الهند وباكســتان وأفغانستان، وحتى بلدان الشرق الأوسط العربية!!

ولم يتم كشــف النقاب عن هذه السياســة الدموية التي تمارســها بريطانيــا بإيعاز من الولايات المتحدة إلا فــي أواخر الثمانينات، حين انتشــرت ظاهرة الإرهاب في العالم العربي بصورة فاحشة، خاصة بعد اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات، فقد اتضح أن الجماعات الإرهابية المســلحة تتخذ من لندن قاعدة لها ومركــز قيادة ثابت، ومنها جماعة الجهاد الإســلامي المصرية التي كانت وراء اغتيال السادات والجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر.

وبعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أصبح الاتفاق السري بين بريطانيا وجماعات الإرهاب المســلح تحت ضغــط، واضطر توني بلير رئيس وزراء بريطانيا إلى فرض العديد من القيود السياســية على نشــاط هذه الجماعات، لمنعها من ممارسة الإرهاب في بريطانيا أو أوروبا وأمريكا، بمعني أن يتركز نشاطها الدموي في العالم العربي!!

ويؤكد كيرتس أن الاتفاق الســري بين بريطانيا وجماعات الإرهاب

لم يمت أو يسقط بعد هجمات ١١ سبتمبر وبعد انفجارات لندن، وظل العديد من قيادات وأئمة الإرهاب يعيشون في بريطانيا، مثل أبوحمزة المصري وأبو قتادة، الذي قامت بريطانيا مؤخرا بتسليمه للأردن للمحاكمة!!

كانت هذه الجماعات تخضع لرقابة صارمة من أجهزة الأمن والمخابرات البريطانية، وفي إطار الاتفاق السري معها جري تجنيد العديد من أعضاء هذه الجماعات للعمل كمخبرين وعملاء للشرطة والمخابرات البريطانية.

اسألوا مايلز كوبلاند

ويبدو أن علاقة جماعة الإخوان وجماعات الإرهاب والتطرف بأجهزة المخابرات العالمية قديمة، لكنها بالطبع غير معلنة وفي الخمسينات حين قام جمال عبدالناصر بتصفية جماعة الإخوان بعد محاولة الاغتيال الشهيرة التي تعرض لها في١٩٥٤ كشفت التحقيقات مع قيادات الجماعة في السجون أن الجماعة تعرضت للاختراق على نطاق واسع من جميع أجهزة المخابرات الكبرى في العالم، فقد تورطت الجماعة مع كل أجهزة المخابرات المعروفة، بدءا من مخابرات ألمانيا النازية، وحتى المخابرات الانجليزية والفرنسية والسوفيتية وقال مايلز كوبلاند في كتابه الشهير «لعبة الأمم» إن جماعة الإخوان تورطت

فـــي العمل مع العديد من أجهزة المخابرات في العالم، حتى المخابرات المركزيـــة الأمريكية، حتى أصبح في إمـــكان أي جهاز مخابرات في العالم اســـتغلال الجماعة في عملياته وأنشطته، أو نسف الجماعة من الداخل، حســـب الأهداف التي يحددها أي جهاز مخابرات لنفســـه في التعامل مع الإخوان، وهذا هو مكمن الخطر بالنسبة للجماعة والجهاز الخاص ولجهـــاز المخابرات الخاص بها، الـــذي عمل مبكرا جدا في خدمة المخابرات البريطانية والقصر الملكي بالقاهرة.

إسقاط القذافي

وحين انتقلت رياح ثورات الربيع العربي من تونس ومصر، إلى ليبيا رأينا المخابرات البريطانية تتحرك بسرعة لاستغلال الظاهرة الجديدة في إســـقاط الزعيم الليبي معمر القذافي والحقيقة أن هدف بريطانيا لم يكن فقط إســـقاط القذافي، إنما ضرورة أن يتم استبدال القذافي بقوى وفروع الإخوان في ليبيا من قوى التطرف الإســـلامي التـــي أدمنت التحالف والعمالة للمخابرات الأمريكية والبريطانية على مدى عشرات السنين.

فقد تعمدت بريطانيا ومعها فرنســـا أن يتم تحويل عملية التمرد ضد نظام القذافي في مدينة بنغازي الليبية إلى ما يشبه الحرب الأهلية كانت تجربة التمرد المســـلح ضد القذافي فرصة مناسبة للدولتين، تم خلالها اختبـــار مدى كفاءة الأجيال الجديدة مـــن المقاتلات الجوية من طراز

تايفون البريطانية ورافال الفرنسية، وكلها من طائرات ما بعد الجيل الرابع المتقدمة جدا واستمرت الحملة الجوية التي تقودها بريطانيا وفرنسا ودول حلف الناتو ضد نظام القذافي من مارس ٢٠١١ وحتى أكتوبر ٢٠١١ وانتهت المعركة بانتصار قوى التمرد المسلح ضد القذافي الذي سقط نظامه، ولقي هو شخصيا مصرعه في معركة غامضة شاركت فيها القوات الخاصة البريطانية ومعها مخابرات إم أي ٠٦ ولحق بليبيا دمار واسع خاصة في المدن الساحلية والعاصمة طرابلس، كما لقي عشرات الآلاف من الليبيين مصرعهم بنيران الصواريخ والقنابل الفرنسية والبريطانية التي عملت بتفويض من مجلس الأمن الدولي.

حكاية مصالح

لم تتردد بريطانيا في استغلال فرصة التدخل العسكري في ليبيا بهدف العودة لاحتكار منابع البترول الليبي، الغنية بأجود أنواع البترول ومشتقاته من البنزين، كما كان الوضع في السابق تحت حكم الملك إدريس السنوسي الموالي للإنجليز.

ويقول مارك كيرتس إن كبار المسئولين في لندن وباريس كانوا يتعمدون التقليل من شأن المصالح البترولية في ليبيا ويتعمدون إغفالها مع أنها كانت في قمة أولوياتهم، وهي القصة الحقيقية الوحيدة في مؤامرة الحرب على ليبيا وإسقاط القذافي.

قد تفرغت أجهزة الدعاية في باريس ولندن وواشـــنطن للعزف على الموضوعات المفضلة للحديث الجميل عن قضايا لا وجود لها في جدول أعمالهـــم، وهي حقوق الإنســـان والديمقراطية، مع أن حلف الأطلنطي لم يكن يوما جمعية خيرية لنشـــر الديمقراطية في ليبيا أو في أي مكان آخر.

وهي الدعاية الرخيصة نفســـها التي لجأت إليها أمريكا خلال عملية غزو واحتلال العراق في ٢٠٠٣، حيث ادعى الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش إن القوات الأمريكية ذهبت لاحتلال العراق وإســـقاط نظام صدام حسين وإقامة الديمقراطية في بغداد!! وفي النهاية تعرض مئات الآلاف من العراقييـــن للموت بنيران وصواريـــخ الطائرات الأمريكية، ووضعت الشـــركات الأمريكية والبريطانيـــة أيديها على حقوق البترول العراقي، الذي يتعرض لعملية سرقة منظمة حتى اليوم.

منع مذبحة

وحين صدر قرار مجلس الأمن الدولي بفرض منطقة للحظر الجوي فـــي ليبيا، إدعى ديفيد كاميرون رئيس وزراء بريطانيا أن ســـلاح الجو الملكـــي البريطاني قام بالتدخل في ليبيا بهـــدف منع مذبحة للمدنيين في حيـــن أن هذه الطائرات ومعها الطائرات الفرنســـية ارتكبت العديد من المذابـــح ضد المدنيين في ليبيا الذين لقي عشـــرات الآلاف منهم

مصرعهم خلال الغارات التي تعرضت لها ليبيا على مدار الساعة، طوال سبعة أشهر، وقدمت أمريكا مبلغ ٢٥ مليون دولار لدعم حركة الثوار المعادية للقذافي، في حين قدمت قطر مبلغ ٤٠٠ مليون دولار لتمويل حركة الثورة والتمرد التي استهدفت القذافي ونظامه في ليبيا، كما شاركت قطر أيضا بأربع طائرات من طراز ميراج ٢٠٠٠ في الهجمات الجوية على ليبيا. وحصلت الجماعات الإسلامية المتطرفة في ليبيا على الجزء الأكبر من أموال الدعم القطري للثورة ضد القذافي، وهي فصائل القاعدة في ليبيا التي أطلقت على نفسها اسم «لواء شهداء ١٧ مارس»، وكانت بريطانيا على علم كامل بدعم قطر المالي لفصائل تنظيم القاعدة في ليبيا.

إن مارك كيرتس يحكي في هذا الكتاب قصص التحالف العجيب بين بريطانيا وأمريكا من جهة وجماعة الإخوان المسلمين وقوي التطرف الإسلامي من جهة أخري، إنه يحكي القصة كاملة من خلال وثائق الأرشيف الملكي البريطاني في لندن، وقد أحسنت بريطانيا استغلال قوى التطرف الإسلامي لحماية مصالحها البترولية في العالم العربي، وللقصة وجوه أخري، في كتب أخرى جديدة.

الباب الثالث:

- **الفصل الأول:** الحليف الصامت لأمريكا في مصر
- **الفصل الثاني:** البنا.. عميل قديم لأمريكا
- **الفصل الثالث:** صعود مرسي للرئاسة.. أخطر مؤامرات الجماعة
- **الفصل الرابع:** التحالف.. حتى بعد اغتيال السادات

الحليف الصامت لأمريكا في مصر

أمريكا، ليست فقط، البيت الأبيض والمخابرات المركزية ووزارة الدفاع «البنتاجون»، هناك أمريكا أخرى لا يعرفها أحد، وهي تضم كبار المفكرين والمثقفين وأصحاب الرأي، الذين يرفضون سياسة أمريكا الخارجية، التي تسعى لفرض السيطرة والهيمنة الأمريكية على العالم.

هناك قطاع واسع من الأمريكيين الذين يرفضون أن تكون جيوش أمريكا وأساطيلها هي الذراع الرئيسية لتنفيذ وتحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط وحول العالم، ويوجد في واشنطن حالياً من الأمريكيين من يصفون السياسة الخارجية الأمريكية بأنها تشبه المرأة العجوز التي تتجمل بمساحيق الديمقراطية وأحمر شفاه حقوق الإنسان، وهي في الواقع تسعى لبناء إمبراطورية عظمى لأمريكا، تغطي قارات العالم الخمس.

ومنذ بداية القرن الحادي والعشرين، تحولت الدعوة للديمقراطية وحقوق الإنسان إلى أسوأ أسلحة السياسة الخارجية الأمريكية التي تستهدف نشر العنف والانقسام والفوضى في دول العالم الثالث.

ويعترف الأمريكيون بأن صناع القرار في واشنطن لديهم الاستعداد الدائم لاستخدام كافة الوسائل السياسية والدعائية والعسكرية لتحقيق

الحلم الأمريكي الكبير، حلم الإمبراطورية الأمريكية العظمى. وبالحقائق والأرقـــام يؤكد الباحثون الأمريكيون أن الولايـــات المتحدة حاولت منذ الحـــرب العالمية الثانيـــة الإطاحة بكل الحكومـــات الوطنية والقيادات التاريخية للتحرر الوطني في ٥٠ دولة من دول العالم الثالث، كان من أبرزهم الزعيم الراحل جمال عبدالناصر في مصر.

كما قامت أمريكا بالتدخل سراً في الانتخابات الديمقراطية التي جرت في ٣٠ دولة حول العالم، ولم تسلم مصر ودول الربيع العربي من هذا التدخـــل الفاضح الذي أدى إلى تغيير نتائـــج الإنتخابات لصالح قوى الإسلام المتطرف بقيادة الإخوان المسلمين.

لم يكن جمال عبدالناصر وحده في قوائم الاغتيال الأمريكية لزعماء العالـــم الثالـــث، بل كان معه أكثر من ٥٠ زعيمـــا من زعماء التحرر الوطنـــي في العالم الثالـــث، كما حاولت أجهـــزة المخابرات الأمريكية القضاء على الحركات والحكومات الشعبية والوطنية في ٢٠ دولة.

وأدت السياسة الخارجية الأمريكية إلى إثارة وإشعال الحروب الأهلية في مختلف دول أفريقيا وآســـيا، كما أحدثت كوارث سياسية كبرى بدءا من دارفور، وحتى رواندا وأفغانســـتان والعراق وأصبحت سياسة أمريكا تصنـــع الأزمات وتشـــعل الحروب بدون أن تطـــرح الحلول أو تصنع السلام.

الخوف، والصمت الرهيب

وحين قوبل الغزو الأمريكي لأفغانستان والعراق بصمت مريب لدى الرأي العام في العالم العربي، علق جيمس وولزي مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية على ذلك بقوله «إننا بإثارة الخوف من أمريكا فقط يمكن أن نفرض على الآخرين احترام أمريكا»، وأضاف يجب أن نعيد قراءة أعمال ميكيافيللي الشيطانية، ومبادئه العظيمة في «الغاية تبرر الوسيلة»، و«دعهم يكرهوننا ماداموا يخافوننا!!» وهكذا نكتشف تاريخ أمريكا الحقيقي، هو تاريخ إمبراطورية تسعى لبناء نفسها حول العالم!

وفي هذين الكتابين لعبة الشيطان للأمريكي روبرت دريفوس والإخوان المسلمين من المعارضة للسلطة لمؤلفه أليسون بارجيتر، نكتشف أن الولايات المتحدة لم تتردد في الاستعانة بجماعة الإخوان المسلمين وجماعات التطرف الإسلامي لتحقيق أهدافها السياسية في مصر ومختلف بلدان الربيع العربي، وقد تلاقت الأهداف الأمريكية مع أطماع جماعة الإخوان السياسية، واتفق الطرفان على شيء واحد هو الوقوف ضد النظم الوطنية التحريرية في مصر والعالم العربي، فقد رأت أمريكا في هذه النظم الوطنية خطراً يهدد مصالحها البترولية والإستراتيجية في العالم العربي، في حين رأت جماعة الإخوان في النظم الوطنية والتحررية، نظما كافرة تعادي الإسلام والمسلمين.

وتكشف الوثائق السرية البريطانية والأمريكية أن تغييرا ما حدث في

اتجاهات السياســة الخارجية الأمريكية بعد أن وصل الرئيس الأمريكي الشــاب جون كيندي إلى البيت الأبيض فــي ١٩٦٠ واتجهت الإدارة الأمريكية الشابة إلى القبول بالرئيس جمال عبدالناصر، باعتباره زعيما مستقلا، وليس عميلاً للسوفييت، بعدما ثبت أنه ليس مخلب القط الذي يستخدمونه في الشرق الأوسط.

بين كيندي وعبدالناصر

واتجهت الولايــات المتحدة إلى التوصل إلى تفاهم مع عبدالناصر، رغم مشـــاعر المرارة العميقة داخل إســرائيل وداخل العواصم العربية الملكية الكبرى، واعترف كبار المســئولين الأمريكيين في واشنطن بأن عبدالناصر ليس شيوعياً، بل كان دائم القمع للشيوعيين واليساريين في مصر.

وأكد كبار المســئولين في واشــنطن أننا يمكننـــا إقناع عبدالناصر بالتخلي عن علاقاته بالســوفييت، وأثارت هذه السياســات الأمريكية الجديدة غضبا واســعا امتد من إســرائيل وعاصمة عربية كبرى، حتى واشــنطن حيث كان اللوبي الصهيوني يرى في عبدالناصر التجســيد الحي للشيطان!!

وبالفعل أعدت المخابرات المركزية الأمريكية ورقة تقدير موقف تحت عنوان «ناصر ومستقبل القومية العربية»، جاء فيها أن حركة التطرف

القومي العربي بقيادة عبدالناصر سوف تبقى القوة الديناميكية الرئيسية في شـــئون السياســـة العربية، وســـيبقي عبدالناصر هو أبرز الزعماء خلال المســـتقبل المنظور وأوصت الورقـــة بضرورة الانفتاح الأمريكي على الرئيس عبدالناصر وبالفعل حـــاول الرئيس كيندي الانفتاح على عبدالناصر وتبادل معه الحوار عبر العديد من الوســـائل المطولة، لكن سرعان ما تلاشت أسباب الحوار الأمريكي مع عبدالناصر خاصة بعد حادث الاغتيال الرهيب للرئيس الأمريكي الشاب كيندي وبفضل جهود أنصـــار الحرب الباردة في وزارة الدفـــاع وجهود اللوبي الصهيوني في دوائر صنع القرار الأمريكي.

والحقيقـــة أن أمريكا حاولت طويلا إغـــراء عبدالناصر ليكون حليفا لها وللغرب، لكن اتجاه عبدالناصر نحو التحرر ورفض التبعية والدعوة للقوميـــة العربية، جعل أمريكا تقف في النهاية إلى جانب بريطانيا ضد عبدالناصر وتولى قيادة الحملة ضد عبدالناصر في واشـــنطن الإخوان «دالاس» أي جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكي وشقيقه آلان دالاس مدير جهاز المخابرات المركزية الأمريكية.

إيدن يريده مقتولاً

وكان أنتونـــي إيدن رئيس وزراء بريطانيا وتلميذ تشرشـــل المفضل يشـــعر بالعداء والكراهية المطلقة تجـــاه عبدالناصر، ولذلك طلب من

المخابرات البريطانية التخطيط للقيام بانقلاب مضاد لثورة يوليو ١٩٥٢ مبكرا جدا، وبالتحديد في أوائـــل، ١٩٥٣ بهدف الإطاحة بعبدالناصر ورفاقـــه من الضباط الأحـــرار، وتضمنت الخطة الاســـتعانة بجماعة الإخوان المســـلمين في التخطيط للانقـــلاب، وكان اللواء محمد نجيب مـــن الضباط الذيـــن تحالفوا مع الإخوان ضـــد عبدالناصر، بدعم من الإنجليـــز، وذلك رغم أن نجيب كان واجهة الثورة ويقول ويليام ليكلاند رجل المخابرات المركزية بالسفارة الأمريكية في ذلك الوقت، إننا أدركنا بســـرعة أن اللواء نجيب ليس إلا صورة في الواجهة، لكن عبدالناصر هو الزعيم الحقيقي للثورة.

من هنا تعاملت أمريكا مـــن البداية مع عبدالناصر باعتباره صانع القرار في مصر. كان نجيب على علاقة وثيقة مع حسن الهضيبي خليفة البنـــا في قيادة تنظيم الإخوان وحيـــن تصاعد الصراع بين عبدالناصر ونجيـــب، فوجئ عبدالناصر بأن نجيـــب قد تحالف مع الإخوان ضده، بدعم كامل من السفارة الانجليزية بالقاهرة.

والحقيقة أن عبدالناصر حاول التعاون مع الإخوان، خاصة أنه كان يريد الإصلاح والتحديث في مصر، بدءاً من الإصلاح الزراعي وحتى إصلاح التعليم، لكـــن الإخوان اعترضوا بمرارة أدهشـــت عبدالناصر علـــى محاولات تحديث التعليم ورفضوا قانون الإصلاح الزراعي جملة وتفصيلا.

أسرار ومؤامرات

وتسربت أسرار مؤامرات جماعة الإخوان حتى إلى السفارة الأمريكية بالقاهرة وكانت مفاجأة مذهلة حين علم عبدالناصر أن حسن إسماعيل الهضيبي مرشد الإخوان الجديد، طلب من ميليشيات الاغتيالات في جماعته ضرورة تصفية عدد كبير من الضباط الأحرار وقتلهم والتخلص منهم تماماً.

ووقفت بريطانيا مع الإخوان ضد عبدالناصر حين تفجر الصدام المؤجل بينهما في ١٩٥٤ فقد شعرت بريطانيا بالإحباط تجاه إصرار عبدالناصر على ضرورة التصفية الكاملة للوجود العسكري البريطاني في قاعدة قناة السويس، وتمسكه بضرورة الجلاء التام للقوات البريطانية عن مصر.

وهكذا شعر أنتوني إيدن بكراهية عميقة تجاه عبدالناصر، وكما يقول الانجليز بسخرية باردة إن إيدن قام بحملة «جهاد» طويلة ضد عبدالناصر وبدأ يتحدث علنا عن رغبته في ضرورة قتل عبدالناصر والتخلص منه وبلغ إيدن ذروة الحقد على عبدالناصر في التخطيط لغزو مصر مع فرنسا وإسرائيل خلال حملة السويس ١٩٥٦.

في الواقع كان إيدن يخطط للحرب، وكانت المخابرات البريطانية تخطط لاغتيال عبدالناصر.

أنا إيدن.. ألا تفهمون

وذات مـــرة تحدث إيـــدن بصراحة ووقاحة أمام المطبخ السياســـي والمخابراتي في لندن، وقال ما كل هذا الكلام الفارغ الذي أســـمعه عن التخطيط لفرض العزلة على عبدالناصر أو تحييد عبدالناصر، انني أنا إيـــدن، وأريد تدمير عبدالناصر، ألا تفهمون، إنني أريد قتله ولا يهمني على الإطلاق بعد ذلك أن تنتشـــر الفوضي والاضطرابات في مصر!!

وكشفت الوثائق السرية الانجليزية أن المخابرات البريطانية كانت تتابع عن قرب الاجتماعات الســـرية للإخوان في الإســـماعيلية، وسرعان ما تلاقت المصالح بين المخابرات البريطانية والمخابرات الأمريكية واتفق الجانبان على استغلال جماعة الإخوان في الحرب على عبدالناصر.

وفـــي كتابه «النوم في أحضان الشـــيطان» يقول الأمريكي روبرت باير، في الأعماق داخل مدينة واشـــنطن كان هناك سر صغير وقذر، يؤكـــد أن البيت الأبيض الأمريكي اتجـــه للتعاون مع جماعة الإخوان المسلمين باعتبارهم الحليف الصامت لأمريكا في مصر!!

كانـــت بريطانيا وأمريكا تلعبان بالنـــار، بتعبئة محترفي الاغتيالات فـــي صفوف الإخوان للعمل ضـــد عبدالناصر، ويقـــول برنارد لويس ضابـــط المخابرات البريطاني الســـابق الذي تحول إلى مستشـــرق إن وقوف الإخوان ضد عبدالناصر، كان مســـتحيلا دون الدعم الكامل من المخابرات الإنجليزية، وتكشـــف وثائق الأرشيف الوطني البريطاني أن

محاولة الإخوان الفاشــلة لاغتيال عبدالناصر في ١٩٥٤ كانت بإيعاز من أنتوني إيــدن رئيس وزراء بريطانيا وجهــاز المخابرات البريطاني إم-أي-٦.

محاولات فاشلة

وطوال الخمســينيات كانت المخابرات البريطانية غارقة حتى أذنيها في سلسلة من المحاولات الفاشــلة لاغتيال عبدالناصر، وتعاونت مع الإخــوان في التخطيط لقتله وحاولت تجنيد طبيب عبدالناصر الخاص ليقدم له دواء ملوثاً بسم قاتل سريع المفعول مقابل رشوة مالية كبيرة.

كما حاولت المخابرات الانجليزية تجنيد العاملين في محلات جروبي الشهيرة بوســط القاهرة لتقديم شيكولاتة ســامة هدية لعبدالناصر، كما قدموا له علبة ســجائر شهيرة ملوثة بمواد سامة قاتلة، بل وحاولوا قتله بتقديم فنجان من القهوة السامة له.

وحاول الانجليز من خلال كبار أعضاء الإخوان القدامى التخطيط لاغتيــال عبدالناصر، خاصة أن عدداً كبيــراً منهم كانوا من محترفي القتل والاغتيال.

حكومة في المنفى

ورداً علــى كل هــذه المؤامرات قام عبدالناصــر باعتقال أكثر من

ألف شخص من أعضاء وقيادات الإخوان، وأمر باستيلاء الدولة على أرصدة الجماعة المالية، كما استولت الدولة على مكاتب الجماعة التي تمـــارس العمل الخيري، كواجهة لمؤامرات الإرهـــاب والاغتيال، وفيما انشـــغلت بريطانيا بالتخطيط لغزو مصر خلال حملة السويس، ١٩٥٦ تفرغت المخابرات البريطانية للاتصال بجماعة الإخوان وقياداتها الهاربة في سويســـرا وجنوب فرنسا من أجل التخطيط لاغتيال عبدالناصر مع تشكيل حكومة مصرية في المنفى، تتولي السلطة في مصر بعد نجاح قوات الغزو البريطانية والفرنسية في إسقاط عبدالناصر بالقاهرة!

الملف السري

وذات يوم ســـوف يكشف التاريخ الملف الســـري الأسود لمؤامرات جماعة الإخوان المســـلمين ضد مصر، وضد حركة الاستقلال الوطني فـــي مصر منذ ثلاثينيات القرن الماضي وحتى ثورة يوليو، ١٩٥٢وفي عصر عبدالناصر، وحتى ثورة يناير ٢٠١١.

فقد اســـتمرت جماعة الإخوان في التحالـــف الصامت مع الولايات المتحدة ضد الدولة الوطنية في مصر على مدى عقود طويلة.

وحين وقعت أحداث الثـــورة والتمرد في يناير، ٢٠١١ لم يكن لدي الثوار ســـوى شعار واحد هو ضرورة إنهاء سنوات حكم الرئيس حسني

مبـــارك التي طالت إلى أكثر ممـــا ينبغي، وأكثر مما يمكن أن يتحمله أي شعب.

ودامـــت أيام الثورة لأكثر من أســـبوعين، اهتزت مصر خلالها إلى الأعماق، وسوف يتوقف التاريخ طويلا حول المؤامرات والطرق الملتوية التي لجأت إليها جماعة الإخوان حتى وصلت إلى قمة السلطة.

حتمية تاريخية

ويعترف خبراء الشئون العربية بواشنطن بأن ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ كانت حتمية تاريخية، لأنه لم يكن من السهل على مصر أن تتخلي عن شخصيتها الوطنية التي اســـتقرت عليها روح الشعب، لصالح مشروع إســـلامي مريب تقوده الجماعة لصالح مشروع الإمبراطورية الأمريكية في الشرق الأوسط.

ومنذ اللحظة الأولي كان وجـــود الأحزاب الدينية المتطرفة في قمة العمل السياسي، غريباً على الروح الوطنية لمصر.

فلم يتوقع أحد فـــي العالم أن تنتهي ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ بصعود الإخوان إلى قمة السلطة، ولم يتوقع أحد أن تنفرد الجماعة بقمة السلطة لأن ذلك كان يتناقض بشـــدة مع وقائـــع ما حدث يوم ٢٥ يناير ، حين خرجت طلائع الشـــباب الوطني والليبرالـــي لتطالب بحقوقها في الحياة الحرة الكريمة.

صعود مثير للدهشة

وفي لحظة الحقيقة كما يقول أليســون بارجيتر، نكتشف أن صعود الإخوان للســلطة يتناقض مع طبيعــة الجماعة الرافضة للثورة، بل إن الجماعة كانت تدعي دائما أنها تسعى لإسقاط النظم الوطنية، ولا تريد الإمساك بالسلطة!!

ولكن حين أتيحت الفرصة أمام الجماعة للانفراد بالســلطة والحكم، اندفعت نحوها بقوة وشراســة ودهاء، وبدعم كامل من الولايات المتحدة وبريطانيا.

لم يكن السلوك السياســي لجماعة الإخوان المسلمين مثيراً للدهشة لدى الخبراء العارفين بالجماعة، فهي دائما كانت جماعة مثيرة للجدل، مليئة بالتناقضات.

عصر الإخوان الزائف

وكــم تصور المراقبون خطأ أن هذا الوقت هو عصر الإخوان، لكن غضــب الملايين من المصريين تصاعد فجأة ضــد الجماعة ليصنع المفاجأة المذهلة في ثورة ٣٠ يونيو التي أسقطت محمد مرسي وأطاحت بدولة الإخوان، من الواضح أن المصريين لم يتحملوا العدوان الغاشــم للإخوان على قيم الوطن والوطنية، ولم يتحمل المواطن البســيط حقيقة أن يزحف الإخوان للسلطة على حساب احتياجاته اليومية، وتبقى قصة

صعود الإخوان للسلطة جزءاً من لعبة الشيطان الأمريكي الكبرى، ضد مصر والعالم العربي وتكشف الوثائق البريطانية أن الفرع السوري لجماعة الإخوان المسلمين دخل في صراع دموي طويل مع الدولة الوطنية في سوريا بقيادة حافظ الأسد في أوائل الثمانينيات، وانتهى الصراع الدموي في مدينة حماة السورية، بمصرع الآلاف وهروب المئات إلى المنفي في لندن، التي أصبحت مركز قيادة مؤامرات الإرهاب ضد النظام السوري طوال الثمانينيات والتسعينيات وحتى اليوم.

لندن مركز قيادة الحرب

ومن لندن انطلقت شرارة الحرب الأهلية في سوريا بهدف إسقاط نظام بشار الأسد، بمؤامرة واضحة تلقت فيها جماعة الإخوان السورية الدعم بالمال والسلاح من تركيا والأردن وقطر ودول الخليج، بل إن دول الخليج هي التي تمول صفقات السلاح الأمريكية والبريطانية للخلايا الإرهابية في سوريا ومنها تنظيم القاعدة القادم من العراق.

ومن الواضح أن جماعة الإخوان في سوريا تحاول الصعود إلى السلطة بكافة الوسائل، حتى بحرب العصابات المسلحة التي تتحالف فيها مع الخلايا والتنظيمات الإرهابية المتطرفة مثل جماعة النصرة الإسلامية، الذراع العسكرية للقاعدة في سوريا.

.. من الواضح أن جماعة الإخوان السورية تخطط للقيام بدور حاسم

في تقرير مستقبل سوريا، وهي في ذلك لا تتردد في الحصول على الدعم العسكري الأمريكي المباشر، الذي يتجسد حاليا بصورة علنية في تهديدات الرئيس الأمريكي باراك أوباما بتوجيه ضربة عسكرية لنظام الأسد، بهدف إضعاف قبضته على السلطة في دمشق، لصالح جماعة الإخوان، الحليف الصامت لأمريكا في كل عاصمة عربية.

لم تخف الولايات المتحدة يوما أنها كانت تريد تطويع ثورات وتقلبات الربيع العربي لصالحها، بما يؤدي إلى إبعاد القوى الثورية والوطنية عن السلطة بأي ثمن، وكانت الخطة أن يتم إسقاط مبارك في مصر، ليحل محله الإخوان في قمة السلطة، وحين أحبطت ثورة ٣٠ يونيو هذه الخطة، تفرغت أمريكا بالتهديد العسكري المباشر، لإسقاط نظام بشار الأسد لتقوم جماعة الإخوان السورية بملء الفراغ السياسي بعده، ويبدو أن تاريخ التحالف الصامت بين أمريكا والإخوان لا يعرف الرحمة، والقصة لا تعرف سوى الموت والدمار.

البنا.. عميل قديم لأمريكا

الأســـاطيل الأمريكية والأوروبية تحاصر الـــدول العربية من جميع الجهات، بدءا من الخليج العربي والبحر الأحمر، وحتى البحر المتوسط في الشـــمال تمرح الغواصات والمدمرات وحاملات الطائرات الأمريكية والأوروبية في المياه والبحار المحيطة بالعرب بحرية مطلقة وكنا نتصور في الماضي أن التواجد العســـكري الأمريكي الرهيب لا يستهدف سوي ردع الاتحاد الســـوفييتي السابق، لكن الحقائق اتضحت بمرور الزمن، وبعد زوال الاتحاد الســـوفييتي، حيث اتضح أن الأساطيل الغربية لها مهام أساسية، مثل غزو واحتلال العراق، أو ضرب ليبيا وأخيرا، تهديد ســـوريا. ومن المؤكد أن توجيه ضربة لســـوريا ليســـت المهمة الأخيرة للأســـاطيل الأمريكية في العالم العربي.هنـــاك مهام أخرى قادمة لهذه الأساطيل في العالم العربي، فمازالت ثروات البترول والغاز العربية تثير أطماع الغرب الأمريكي - الأوروبي، ومازالت عوائد البترول العربي لا تجد لها ملاذا آمنا إلا في بنوك أمريكا وأوروبا، حيث يجري استخدامها فـــي تمويل الاقتصاد الأمريكي الذي يعاني من عجز مالي مزمن ومن يراجع قائمة الحروب الأمريكية في العالم العربي منذ بداية التســـعينات

وحتى اليوم، سوف يكتشف أنها صنعت من الأزمات المعقدة، ولم تقدم أية حلول، فقد تعرض العراق للغزو، وتعرضت المدن العراقية للدمار، وغابت الدولة العراقية عن الوجود!!

واليوم تبدو الحشود العسكرية الأمريكية والأوروبية في الخليج العربي والبحر المتوسط كثيفة بصورة لم يسبق لها مثيل، حتى خلال الحرب العالمية الثانية، والحرب الباردة مع السوفييت.

من الواضح أن البترول مازال هو المصدر الرئيسي للطاقة، ومازالت منابع البترول العربية هي الأغنى في العالم، وأمريكا تريد البترول العربي لها ولحلفائها، حتى تدور به عجلات وماكينات الحضارة، كما أن عوائد وأرصدة البترول العربية هي التي تصنع الفارق في التفوق الاقتصادي لأمريكا وأوروبا واليابان.

مازال صانع القرار الأمريكي في واشنطن مأخوذا بحلم إقامة الإمبراطورية الأمريكية في العالم العربي، وهذا هو المشروع الأمريكي الذي يرفض التراجع، منذ تدخلت الولايات المتحدة في شئون العالم العربي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حتى اليوم، وقد لجأت الولايات المتحدة لتحقيق أهدافها بالسياسة والدبلوماسية أحيانا وبالقوة العسكرية أحيانا، وبالتوسع والهيمنة الاقتصادية والتكنولوجية دائما، وتفاقمت الأوضاع حتى أصبح للولايات المتحدة جيشا يحتل العراق!!

مرسي.. الفرصة الضائعة

ومنذ الخمسينات وحتى اليوم، لم تكن موسكو وحدها هي العدو الذي تخشـــاه أمريكا، لأن العدو الحقيقي لأمريكا في العالم العربي تجسد في شخص الزعيم الراحل جمال عبدالناصر، الذي كان يقود حركة التحرر والاستقلال في العالم العربي.

ووســـط طوفان الكتب الأمريكية والإنجليزيـــة عن جماعة الإخوان المســـلمين، نتوقف هذه المرة أمام كتابين صدرا في واشنطن، الأول هو «لعبة الشيطان» للأمريكي روبرت دريفوس والثاني هو كتاب «الإخوان المسلمون من المعارضة للسلطة» للإنجليزي أليسون بارجيتر.

فقد كان وصول الدكتور محمد مرســـي للســـلطة في مصر، فرصة واضحـــة، للحديث المفصل عن قصة الإخوان المســـلمين، تم خلالها الكشـــف عن الوثائق الســـرية للتحالف الغامض بين جماعة الإخوان والمخابرات المركزية الأمريكية، والمخابرات البريطانية إم - آي - ٦.

وربما أتي يوم يتم فيه إزاحة الســـتار عن كل الوثائق والأسرار ليتم الكشـــف عن قصة المؤامرة الكبرى التي تورطت فيها جماعة الإخوان مـــع أمريكا، ضد المصالح المصرية الوطنيـــة وضد المصالح القومية للعالم العربي كله.

لم يكن غريبا أن تكشـــف مناقشـــات الكونجرس الأمريكي أن إدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما قدمت دعما ماليا مباشرا لجماعة الإخوان

يزيد علي ٤ مليارات دولار حسب التقديرات الرسمية، وإن كانت تقديرات الصحافة الأمريكية تؤكد أن أوباما ساند الإخوان بأكثر من ثمانية مليارات دولار، حتى تصعد وتنفرد بالسلطة في مصر.

واكتشفنا فجأة أن التحالف بين الإخوان والمخابرات المركزية الأمريكية كان قديما جدا، أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية فقد لجأت أمريكا وبريطانيا إلى استغلال جماعة الإخوان ضد الحركة الوطنية المصرية بقيادة الوفد وضد جمال عبدالناصر بعد يوليو ١٩٥٢. وقد حدث ذلك رغم أن لندن وواشنطن كانتا على وعي كامل بحقيقة الجماعة، باعتبارها حركة إرهابية معروفة، وهي الأب الشرعي لكل جماعات ومنظمات الإرهاب التي ظهرت من فوق تلال وجبال أفغانستان، وحتى المغرب والجزائر ومصر.

الحليف تحول لعدو

ويعترف «إيد كيد» ضابط عمليات المخابرات الأمريكية في مصر منذ أواخر الخمسينيات وطوال الستينيات بأن الدوائر السياسية الأمريكية بدأت تشعر بكراهية عميقة تجاه عبدالناصر، خاصة بعد أن تحول من حليف محتمل لأمريكا إلى عدو وزعيم وطني يسعي للاستقلال ويرفض التبعية.

تفاقمت مشاعر الكراهية تجاه عبدالناصر في واشنطن، وفي الكواليس

كانت أمريكا تخطط دائما للإطاحة بعبدالناصر وإسقاط نظامه ويعترف إيد كيد بأن المخابرات المركزية الأمريكية انشغلت دائما بالتخطيط لعمليات سرية يتم من خلالها التخلص من عبدالناصر، واعتمدت في ذلك علي رجال النظام القديم من الباشاوات السابقين وكبار الملاك وعلي جماعة الإخوان المسلمين التي اتبعت صيغة شديدة التطرف للإسلام، كان الغرض منها استغلال الدين للوصول إلى السلطة، وضرب الحركة الوطنية.

كيندي العرب

ويؤكد إيد كيد، رجل المخابرات الأمريكية أن كل محاولات إسقاط عبدالناصر أو الإطاحة به كانت فاشلة وبلا جدوي، ببساطة لأنه استحوذ علي قلوب وعقول المصريين والأغلبية الساحقة من أبناء الشعوب العربية.

وعلق ويليام بوك عضو مجلس الأمن القومي الأمريكي علي ذلك بقوله بأن عبدالناصر، هو جون كيندي العالم العربي.

على المستوي العالمي، سعت الولايات المتحدة طوال الستينات لاحتواء الاتحاد السوفيتي داخل حدوده ومنعه من التوسع والامتداد بنفوذه، خارج أوروبا الشرقية، خاصة في العالم العربي والشرق الأوسط. وعلي المستوي الإقليمي سعت أمريكا أيضا بكل قسوة إلى احتواء مصر – عبدالناصر،

داخل حدودها، لكن عملية احتواء عبدالناصر داخل حدود مصر فشلت سياسيا منذ اللحظة الأولي، خاصة بعد انتشار دعوته للقومية العربية من مصر إلى ســوريا والجزائر واليمن، وحتى العراق حيث سقط نظام نوري السعيد الموالي للاستعمار البريطاني في ١٩٥٨.

الاتجاه شرقا

ويبدو أن حلم الإمبراطورية الأمريكية في الشــرق العربي بدأ مبكرا. وعقب نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرة. وتكشف الوثائق الأمريكية أن الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفيلت اتجه شرقا بحثا عن البترول وهو فـــي رحلة العودة من مؤتمر بالتيا، حيث التقي علي متن يخت صغير مع الملك عبدالعزيز آل سعود ملك السعودية، وكان هذا اللقاء هو بداية التورط الأمريكي في الشرق الأوسط.

فقد وجدت أمريكا نفســها تقوم بدور القوة العالمية الكبرى لأول مرة في التاريخ، في هذه الأجواء كان واضحا أن منطقة الشــرق الأوســط والعالم العربي هي أهم المناطق الاســتراتيجية في العالم، خارج أمريكا وأوروبا واليابان.

هكــذا تورطت أمريكا في مهمة إمبراطورية – اســتعمارية اندفعت إليها بمنطق القوة الأمريكية الزاحفة نحو المنطقة، بقوة الأساطيل وبقوة أساطير الثقافة وأدوات الحضارة الأمريكية.

مشاهد ساخنة

وبدأت مشـــاهد الحرب الباردة، ساخنة في الشرق الأوسط، خاصة بعد توقيع صفقة الأسلحة الشهيرة بين مصر والاتحاد السوفييتي. هكذا أصبح الاتحاد الســوفييتي هو العدو الأكبر لأمريكا، ومعه شريكه في جريمة العداء لأمريكا، جمــال عبدالناصر، البطل القومي للعرب. فقد كانــت الإمبراطورية البريطانية في حالة تراجــع وانكماش خاصة بعد اســتقلال الهند، واكتشــفت أمريكا أن عليها أن تملأ الفراغ الذي تركته بريطانيا في الشــرق الأوسط، علي اعتبار أنه إذا لم تتقدم أمريكا لملء الفراغ، سوف يتقدم السوفييت!!

وبعد زلزال الســقوط الرهيب في موسكو، كشفت الوثائق السوفييتية أن الزعيم الســوفييتي ستالين ومن بعده خروشوف، لم يكن لديهما من القوة والقدرة ما يكفي لدخول الشــرق الأوســط، والسيطرة علي حقول بترول الخليج.

لكن علي أية حال، كانت الأهمية الإســتراتيجية للشــرق الأوسط واضحة، فقد أصبحت المنطقة هي المصدر الرئيسي للبترول ولا يمكن لحلفاء أمريكا الاستغناء عنه.

ففي هــذا الوقت لم تكن أمريكا بحاجة للبترول العربي، لأنها كانت ثاني أكبر منتج للبترول بعد السعودية، وكانت تعتمد علي حقول البترول الغنية في تكساس والمكســيك ولويزيانا وأوكلاهوما. لكن الأزمة كانت

في أوروبا واليابان، حيث كانت الحاجة رهيبة لإمدادات البترول العربية لتلبية الاحتياجات اليومية من الطاقة للمصانع والمدن والسيارات.

كانت الاستراتيجية واضحة الخطوط والمعالم أمام صانع القرار الأمريكي في واشنطن، حيث اتضح أمامهم أن الدفاع عن أوروبا الغربية كان أمرا مستحيلا بدون خطة واضحة للسيطرة التامة على حقول البترول العربي، وقالوا إن الدفاع عن أوروبا، يبدأ من الخليج العربي!!

العمل السري مع الإخوان

ولجأت الولايات المتحدة للعمل السري ضد جمال عبدالناصر مبكرا جدا، وتعاملت المخابرات المركزية مع جماعة الإخوان المسلمين مبكرا جدا، وقد بدأت اللقاءات بين المخابرات المركزية الأمريكية وحسن البنا شخصيا في ميناء جدة السعودي علي شاطئ البحر الأحمر.

ويكشف الدبلوماسي الأمريكي الشاب هيرمان أيلتيس أنه تعرف علي البنا لأول مرة في مدينة جدة في منزل نائب وزير المالية السعودية الشيخ محمد سرور الصبان، وهو من جذور سودانية، وكان هو مسئول تمويل جماعة الإخوان.

وفي ١٩٤٨، وقبل اغتيال البنا بشهور قليلة التقي أليتس مرة أخرى مع حسن البنا في منزل المسئول السعودي، ويعترف أيلتيس بأنه كان

عيـن المخابرات المركزية علي حسـن البنا وجماعته التي تحولت إلى «وحش سياسـي» رهيب، بعد أن تحولت إلى ميليشيات مسلحة وتورط جهازها الخاص في العديد من عمليات الاغتيال التي راح ضحيتها في مصر، رؤسـاء وزارات وقضاة كبار وضباط شرطة وقد أصبح هيرمان أيلتيس سـفيرا للولايات المتحدة في القاهرة بعـد ذلك خلال الفترة من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٩.

.. ويقـول إننـي لم أتحدث مـع البنا عن جماعتـه، وتركت هذه المهمـة لضباط المخابرات الأمريكيـة بالقاهرة الذي قاموا بهذه المهمة مع البنا بشـكل روتينـي دائم. ومن خلال الاتصـال بالبناء وقيادات جماعته حصلـت المخابرات الأمريكية علي تقاريـر معلوماتية مهمة حول الأوضاع السياسـية في مصر، والمستقبل الغامض الذي ينتظر الملك فاروق.

واصلت المخابرات الأمركيية اتصالاتها بالجماعة، حتى بعد تورطها في الأعمال والجرائم الإرهابية والاغتيالات، فقد كان نظام الملك فاروق يبدو في أيامه الأخيرة، ولم يكن واضحا من الذي سيأتي بعده. وأمريكا، إمبراطورية جديدة تتحسس طريقها إلى الشرق الأوسط.

انتصار أنصار إسرائيل

وبعد أن فشـلت محاولات أمريكا لإقامة أحلاف مع الدول العربية،

لجأت للعمل السري ضد عبدالناصر، واستغلت جماعة الإخوان التي كانت تعادي بطبيعتها مفاهيم الوطن والوطنية.

وقالت الصحف الأمريكية إن عبدالناصر أصبح «مخلب القط» الذي يستخدمه السوفييت ضدنا في الشرق الأوسط، وكانت مغالطة سياسية وصحفية، لأن كل الوثائق الأمريكية والبريطانية أكدت أن الاتحاد السوفييتي كان بلا حلفاء في العالم العربي.

ومن المثير للدهشة أنه كان يوجد داخل وزارة الخارجية الأمريكية وفي مجلس الأمن القومي الأمريكي العديد من الكوادر التي تتعاطف مع جمال عبدالناصر ودعوة القومية العربية، لكن طوفان العداء للسوفييت أطاح بهم جميعا، ليصعد بدلا منهم، دعاة الحرب الباردة وأنصار إسرائيل، وقد أجمع هذا الفريق علي ضرورة تحطيم وإبعاد أي شخص في الخارجية أو المخابرات الأمريكية لديه الجرأة ليقول إنه من أنصار العرب أو القومية العربية أو جمال عبدالناصر رائد التحديث في العالم العربي.

وتعرض أنصار العرب داخل دوائر صنع القرار الأمريكي لما يشبه المطاردة الجهنمية، وتم حرمانهم حتى من العمل الأكاديمي في الجامعات الأمريكية. كان دعاة الحرب الباردة. وأنصار إسرائيل جبهة واحدة لا تعرف الرحمة في الوقوف ضد أنصار العرب وإخراجهم من دوائر صنع القرار في واشنطن.

وبطرد كل هؤلاء من دوائر صنع القرار في واشـــنطن تفرغ الرئيس الأمريكي الســـابق جورج دبليو بوش لغزو واحتلال العراق، بروح الولاء للمشروع الإسرائيلي – الصهيوني في الشرق الأوسط.

وربما يقال إن أمريكا لم تصنع الإســـلام ولم تختلق العقيدة الوهابية المتطرفة، ولم تخترع تنظيم الإخوان المســـلمين، لكنها بلا شك استغلت الإخـــوان كأداة مضادة لحركة التحرر الوطني في العالم العربي. وربما كان صعود اليمين المســـيحي الأمريكي المتطرف – جناح المحافظين الجدد – لا مثيل له إلا محاولات تصعيد اليمين الإسلامي المتطرف في مصر وتونس وليبيا وسوريا، بعد تقلبات وثورات الربيع العربي.

سعيد رمضان

وتكشف أوراق هيرمان أيلتيس السفير الأمريكي السابق بالقاهرة، أن حسن البنا شـــخصيا كان العميل القديم للمخابرات المركزية الأمريكية، منـــذ لقاءات جدة والقاهرة. وكان للبنا الكثير من التلاميذ ولكن ســـعيد رمضان، زوج ابنته وفاء هو الذي تفوق علي الجميع، ونجح في تأسيس التنظيم الدولي للجماعة انطلاقا من المركز الإسلامي الذي أقيم بأموال سعودية في مدينة جينيف بسويسرا.

وقد بدأ ســـعيد رمضان جهوده لإقامة التنظيـــم الدولي للإخوان بعد اللقاء الخاص الذي عقـــده معه الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور داخل

البيت الأبيض علي هامش منتدى الثقافة الإسلامية الذي أقامته جامعة برستون الأمريكية في واشنطن في ١٩٥٣. وقد أمضي سعيد رمضان حياته في سويسرا، حيث ظل العميل المفضل لأجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية، وكان عميلا حتى لشرطة مدينة جينيف التي جعلت منه عينا لها علي نشاط القيادات الإسلامية والإرهابية التي تلجأ إلى سويسرا. وظل سعيد رمضان يمارس نشاطه بقوة حتى وفاته في ١٩٩٥.

أصحاب القرار

وتبقي أسئلة بلا إجابة، لماذا عقدت جماعة الإخوان صفقات سرية مع «شياطين القوى العالمية»؟ ولماذا تحولت قياداتها والكثيرين من أعضائها إلى عملاء لأجهزة المخابرات العالمية؟! بل وكان البعض منهم عملاء مزدوجي الولاء لأكثر من جهاز مخابرات؟!، هذا لا ينفي وجود قيادات بريئة من العمالة الأجنبية، لكن أصحاب القرار داخل الجماعة، كانوا دائما علي صلات عميقة بأجهزة مخابرات أمريكية وبريطانية.

كما أن عمليات القتل والاغتيالات التي كان يمارسها التنظيم الخاص للجماعة كانت دائما تتم بإيعاز من القصر الملكي والسفارة البريطانية بالقاهرة، وهذا يشمل المحاولة الفاشلة لاغتيال عبدالناصر في ١٩٥٤.

فقد كان الفرع المعلن للجماعة بقيادة حسن البنا شخصيا علي علاقة بالملك فاروق وبالسفارة البريطانية، في حين كان الجهاز الخاص غارقا في الجاسوسية وفي تدبير الاغتيالات الدموية، التي كانت موجهة أساسا إلى أعداء الملك والإنجليز !!.

وفي كل جرائم القتل والاغتيال، نجحت الجماعة في الإفلات من العقوبة دائما، بدعم من الملك والإنجليز، يكفي أن جريمة حريق القاهرة في يناير ١٩٥٢ مازالت مقيدة ضد مجهول في ملفات الشرطة المصرية، رغم أن الإخوان وعملاء الإخوان يقفون خلف الجريمة.

أسرار الخلايا الصغيرة

وتكشف الوثائق الأمريكية والملفات البريطانية أن الجماعة لجأت إلى تنظيم أعضائها في خلايا صغيرة أو أسر، كل خلية أو أسرة لا يزيد عدد أعضائها علي خمسة أو سبعة أعضاء، كان يتم تلقينهم العقيدة الإخوانية، مع الحصول علي تدريب عسكري خاص علي فنون حرب العصابات، وبعد انتهاء التدريب كانت التعليمات تصدر لهم بإعلان انشقاقهم وخروجهم من الجماعة، مع الانضمام إلى جمعيات أخرى دينية أو رياضية، حتى تأتي الحاجة لاستدعاء أي منهم لتنفيذ أية عمليات قتل واغتيال أو إرهاب، وهذا هو سر الخلايا النائمة.

ويقول ضابط المخابرات البريطاني ديفيد بويل إنه كان على علاقة

قديمة بالملك فاروق، وكان أحمد حسنين باشا هو حلقة الاتصال، وكان دولة الباشا رئيس الديوان الملكي من عملاء المخابرات البريطانية!!

وقدم إسماعيل صدقي باشـــا رئيس وزراء مصر الدعم المالي علنا لجماعة الإخوان، حسب الوثائق البريطانية، كما قدم معسكرات التدريب اللازمة لشباب ميليشيات الجهاز الخاص، وقد استغلهم إسماعيل صدقي باشـــا في حملته الشرسة ضد شباب الحركة الوطنية بين الحربين. وفي هذه الأثناء نشـــأ التحالف الرهيب بيـــن الملك والإنجليز والإخوان ضد شباب الحركة الوطنية الذي يطالب بالاستقلال وجلاء الإنجليز.

السادات والبنا

وتتفق الوثائق البريطانية والأمريكية على أن أنور الســـادات انضم لجماعة الإخوان منذ الأربعينيات، وحين انضم السادات لتنظيم الضباط الأحرار بقيادة جمال عبدالناصر أصبح هو حلقة الوصل بين الجماعة وتنظيم الضباط الأحرار، وتشـــاور السادات فعلا مع البنا حول تشكيل التنظيـــم والانضمام إليه، وبعد ذلك حاول البنـــا اختراق التنظيم، لكنه توفي بعد ذلك في حادث اغتيال رهيب.

وتكشـــف الوثائق الأمريكية والبريطانيـــة أن الجماعة كانت حركة دينية، لكنها كانت أيضا حزبا سياسيا وجهاز مخابرات ووحدة ميليشيات مسلحة وتنظيم دولي ولم يكن للتنظيم الدولي للإخوان أن يكون له وجود

لولا دعم المخابرات المركزية الأمريكية وأموالها التي حصل عليها سعيد رمضان زوج ابنة البنا.

ويبقي السؤال، لماذا ترفض الجماعة فكرة الوطن، ولماذا انحازت للسيطرة الاستعمارية ضد حركة الاستقلال الوطني؟! القصة صعبة ومرهقة.

صعود مرسي للرئاسة .. أخطر مؤامرات الجماعة

أثبتـــت أحداث ووقائـــع الثورة.. من ٢٥ ينايـــر ٢٠١١ وحتى ٣٠ يونيـــو، ٢٠١٣ أن مصر تواجه أزمة حادة في عملية انتقال وتســـليم السـلطة من جيل إلى جيل وفشل دســتور ١٩٧١ في توفير الأساس السياسي أو القانوني أو التشــريعي لتنظيم عملية انتقال السلطة.. ولم يســتجب الرئيس الأسبق مبارك لانذارات الخطر التي كانت تحذر من الأزمـــة القادمة.. وعلـــى مدى ثلاثين عاما مـــن الحكم رفض مبارك أن يرســم لمصر خريطة طريق.. تحدد معالم الطريق وترسم الصيغة التشريعية لانتقال الســلطة في مصر.. وارتبط الوجه السياسي لمصر بوجود الرئيس مبارك في السلطة.. وربما قلنا إنه يجوز أن يرتبط نظام الدولة بفرد ما في لحظة تاريخية ما لكن بقاء مصر.. بكيانها السياسي الفريد.. يتجاوز الأفراد مهما كانوا.. كما أن الثقوب والشــروخ في نظام مبارك السياســي.. كانت أكبر وأوسع من أية نجاحات تحققت في أية فترة من عصر مبــارك الذي طال بأكثر مما ينبغي.. وبأكثر من قدرة مصر علي التحمل.. وفي النهاية حدثت الثورة.

والحقيقة ان مبارك تولي قيادة مصر.. بارادته أو رغما عنه في اتجاه الليبرالية الاقتصادية.. على اعتبار ان هذه هي الوسيلة الوحيدة لفرض

التغيير السياسي في مصر.. علي الأقل من المنظور الأمريكي لتغيير أنظمة الحكم في العالم الثالث.

والليبرالية الاقتصادية أو سياسة التحرر الاقتصادي بطبيعتها تدفع الدولة ومؤسساتها للخلف.. أي تزيح الدولة من مقعد القيادة السياسية والاقتصادية.. بما يؤدي لحدوث نوع من الفراغ السياسي الهائل.. الذي يمكن فيه للمجتمع المدني ان ينمو ويتطور.. ويملأ فراغ غياب الدولة.. وقد غابت دولة مبارك طويلا..وتغيبت عن الوفاء بمسئولياتها تجاه الشعب المصري في عصر الانفجار السكاني العظيم!!

في هذه الاجواء استغلت مؤسسات التمويل الدولية ووكالات المعونة الأمريكية ظروف مصر وقامت بتمويل العديد من جمعيات المجتمع المدني الوليدة في مصر وحين فشلت سياسة الليبرالية الاقتصادية.. أو حين فشل اقتصاد السوق في انقاذ مصر من أزمتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.. انكشف الواقع السياسي في مصر.. وكانت أحداث الانفجار الثوري في ٢٥ يناير ٢٠١١ أسرع من الجميع.. وظهرت أعراض السقوط سريعا علي نظام مبارك الذي لم يصمد طويلا.

وفي أجواء الفراغ السياسي الكبير بعد سقوط نظام الرئيس مبارك لاحت الفرصة بغرابة تاريخية أمام تنظيم الاخوان المسلمين للصعود إلي السلطة.. بدعم واضح من الولايات المتحدة الأمريكية التي ارتبطت

«بتحالـــف صامت» مع هذه الجماعة الإرهابيـــة المتطرفة منذ آواخر أربعينات القرن الماضي وحتي اليوم.

فشل الجماعة له أسباب

من المثير للدهشـــة ان الجماعة فشـــلت طـــوال عصر مبارك في الوقوف في وجه مؤسسات الدولة الكبري.. رغم ان مبارك تسامح طويلا مع هـــذه الجماعة.. ربما بضغوط أمريكيـــة.. كانت تري في الإخوان سلاحا قويا مضادا للتيارات الوطنية والتحررية في مصر.

وذات يوم سوف تتكشف اللعبة الأمريكية الكبري في ثورة ٢٥ يناير.. بالوثائق والملفات الســـرية.. وذات يوم ليس ببعيد ســـوف نعرف كيف عبرت الجماعة النفق المظلم الذي أتاح لها الفرصة الغريبة للانتقال من الحظر إلي المشروعية.. ومن المشروعية إلي قمة السلطة.. ولو علي حساب المصالح الوطنية للشعب المصري كله.

وفي هذين الكتابين.. «لعبة الشـــيطان» للأمريكي روبرت ديريفوس والاخـــوان المســـلمون.. من المعارضة للســـلطة الانجليزي أليســـون بارجيتر.. نكتشـــف المناورات السياسية التي مارستها الجماعة للانفراد بالسلطة.. حتي تطل علينا الحقيقة المريرة بأن الجماعة تفوقت بالمناورة السياســـة وبالخداع علي كافة القوي السياســـية التي أشعلت ثورة يناير ٢٠١١ وضحت في ســـبيلها بأرواح المئات مـــن أبنائها.. الذين ماتوا

غالبا برصاص ميليشـــيات الاخوان.. التي تكره الثورة.. وتعادي الثوار وتتهم كل حركات التحرر الوطني بالكفر والزندقة.. لأنها تقف ضد فكرة الوطن والوطنية من الأساس.

سياسات وأقدار

ويبدو ان أقدار مصر السياسية سارت بنا طويلا في عكس الاتجاه الأساســـي لحركة التاريخ.. وذلك منذ وفاة جمـــال عبدالناصر وحتي اليوم ولم يكن مثيرا للدهشـــة ان يردد المؤرخ الاســـرائيلي آفي شـــالايم ان عبدالناصـــر كان علي حق.. ولكـــن التاريخ رفض ان ينحني لعبد الناصر.

وأكدت تقارير المخابرات الأمريكية كثيرا ان عبدالناصر سوف يبقي هو القوة السياسية القيادية في العالم العربي لفترة طويلة قادمة لأنه بندائه وبدعوته للقومية العربية.. نجح في توحيد مشـــاعر الانسان العربي من الكويـــت للمغرب.. مما جعل كل من يتحدثون العربية يشـــعرون أنهم يمثلون كيانا قوميا عربيا واحدا.

وذكرت تقارير المخابـــرات المركزية الأمريكية بدءا من ١٩٦٥ ان عبدالناصر.. يمثل المستقبل في العالم العربي.. لكن هزيمة مصر في عـــدوان يونيو ..١٩٦٧ وضعت نهاية مبكـــرة للحلم العربي.. قبل أن يتحقق أو يتجسد.

اللوبي والحليف

وتعرضـــت الادارات الأمريكية المتعاقبـــة منذ عصر كيندي وحتي اليوم لضغوط خطيـــرة من جانب اللوبي الصهيوني والإســـرائيلي في واشنطن بهدف الوقوف ضد عبدالناصر وطموحاته السياسية في العالم العربي المعادية لإسرائيل وللأهداف الأمريكية.

وعرضت اسرائيل نفسها علي واشـــنطن باعتبارها الحليف الوحيد لأمريكا.. المعادي للســـوفيت في الشـــرق الأوسط. وشاركت شركات البترول الأمريكية العملاقة في ممارســـة الضغـــوط علي الحكومات الأمريكيـــة.. بدعوي ان سياســـات عبدالناصر تعرض مصالحها في بترول الخليـــج العربي للخطر.. واعترفت الصحافـــة الأمريكية بأن حقـــول البترول هي البقـــرة الذهبية التي تدر علي شـــركات البترول الأمريكية أموالا سائلة بمليارات الدولارات سنويا ولا يمكن التفريط في هذه البقرة!

وقال كبرميت روز فيلت رجل المخابرات الأمريكية الســـابق وممثل شـــركة الخليج للبترول فيما بعـــد أن مصالح أمريكا تتعارض تماما مع مصالح جمال عبدالناصر في مصر.. ومن هنا بدأت العمليات السرية للمخابـــرات الأمريكية ضد جمـــال عبدالناصر.. وبالتعاون مع جماعة الإخوان المسلمين.. حليف أمريكا الصامت في مصر.

أسرار كبرى

وحين حدثت هزيمة يونيو ١٩٦٧ قال رجال المخابرات الأمريكية ان هذه هي نهاية عبدالناصر.. أو هكذا تصوروا في واشـــنطن ولندن وتل أبيـــب وفي بعض العواصم العربية الكبري التي كانت تكره عبدالناصر لدرجة العداء.. والحرب!

ومازالت هناك أسرار كبري في وثائق وملفات أرشيف الأمن القومي الأمريكـــي حول حقيقة ماجري في يونيو ١٩٦٧ حين أطلقت أمريكا يد اســـرائيل ضد عبدالناصر.. وذات يوم ســـوف تتكشف تفاصيل جديدة في الانحياز الأمريكي في الحرب إلي جانب اســـرائيل ضد عبدالناصر أثارت هزيمة يونيو شـــكوكا قوية حول مستقبل العالم العربي.. خاصة بعـــد ان تراجعت حركة القومية العربية بوفـــاة عبدالناصر بعد الهزيمة بثلاث ســـنوات فقد تعرضت مصر لعملية «أسلمة» سريعة تحت قيادة الرئيس الجديد أنور الســـادات.. وهـــو عضو قديم في جماعة الإخوان المســـلمين وحين تولي الســـادات الســـلطة بعد عبدالناصر.. رأت فيه واشـــنطن والرياض أنه يمثل «رياح البركـــة» التي حلت علي الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية!!

فقد تحالف الســـادات بســـرعة مع جماعة الإخوان المسلمين ومع الجماعـــات الاســـلامية في محاولـــة منه لقمع جماعـــات الناصريين والقوميين العرب واليســـاريين في مصر وأصيب الأمريكيون بدهشـــة

بالغة وهو يرون الرئيس السادات يقوم بتغيير حركة التاريخ في الاتجاه المعاكس تماما لجمال عبدالناصر لكن كانت المأساة والمفارقة المذهلة ان يتم اغتيال الســادات علي أيدي خلايا الارهاب والتطرف من فروع جماعة الإخوان وخلاياها الجهادية.

السادات وأدهم

كان الســادات صديقا قديما لكمال أدهم رجل المخابرات السعودية الفريد منذ الخمســينيات.. حين قدم السادات التهنئة لأدهم خلال حفل زفافه!!

وفي النهاية نجح كمال أدهم في اقناع الرئيس السادات برفع الحظر عن جماعة الإخوان.. ولم تشــعر أمريكا بالقلق.. بل رحبت بالسادات باعتباره الرجل القادر علي تصفية بقايا الناصرية.. والعودة بمصر إلي جانب أمريكا ضد السوفيت في مرحلة فاصلة من الحرب الباردة.

ويعتــرف الأمريكيون اليوم بأن الســادات هو المهندس السياســي العظيم الذي فتح لأمريكا أبواب الشــرق الأوســط كله من أجل التوسع والنفوذ والهيمنة بصورة درامية لم يتصورها أحد في واشــنطن ولم يحلم بها كسينجر نفسه ذات يوم. وكانت معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية في ١٩٧٩ هي قمة انحياز السادات الي جانب أمريكا ضد السوفيت.. وعلي حساب المصالح الوطنية لمصر والعالم العربي أحيانا كثيرة.

مياه في النهر

وســـارت مياه كثيرة وغزيرة في نهر السياســـة المصرية منذ اغتيال الرئيس الراحل أنور الســـادات وحتي عصر مبارك الطويل وثورة يناير ٢٠١١ ويقول الانجليزي أليســـون بارجيتر ان جماعة الإخوان تمكنت من القفز علي الســـلطة في مصر بفعل الضغوط والاغراءات السياسية الأمريكيـــة.. وبفضل الأموال الأمريكية التـــي حصلت عليها الجماعة عبر القنوات السرية للبنوك الأمريكية والأوروبية وسرعان ما اتضح ان الأزمة لم تكن في امكانية وصول الاخوان للسلطة.. لكن الأزمة الحقيقية كانت داخل الجماعـــة التي كانت تعاني من أزمة عجز عن الحركة.. أفقدتها القدرة علي اتخاذ القرار الصحيح في التوقيت الصحيح.

فقد فشـــلت الجماعة في اتخاذ المواقـــف الواضحة تجاه العديد من القضايا.. بل وعجزت أيضا عن اصلاح نفسها من الداخل فقد سقطت الجماعـــة في مصيدة المبادئ المؤسســـة لها.. وبذلـــك لم تتمكن من مواجهة التحديات الجديدة في العالم المتغير.

العجيـــب أن جماعـــة الإخوان كانت تبدو قبل ثـــورة يناير ٢٠١١ وكأنها تســـير علي طريق الإصـــلاح الداخلي.. لكنها في النهاية وكما أثبتت الأحداث قد عجزت عن تغيير نفسها.. وعجزت عن الخروج من شـــرنقة الأســـس التي قامت عليها في عصر حسن البنا والسيد قطب

وعاشـــت الجماعة دائما في بئر التناقضات الكبرى وبقيت أسيرة داخل شـــرنقة الماضي.. ولم تستطع إشـــباع رغبة أجيالها الجديدة في البقاء جزءا من العصر.

ولهذا نجد أن الجماعة كثيـــرا ما رفضت الحديث في القضايا ذات الحساسية موضع الخلاف.. وفضل قياداتها الانخراط في لعبة السياسة المصرية بهدف تعزيـــز المصالح الذاتية للجماعـــة والقيادات وكانت الإشـــارات المتناقضة الصادرة عن مكتب الإرشاد كفيلة بالقضاء علي كل ما تحققه الجماعة من مكاسب سياسية وكانت هذه التناقضات جزءا من أسباب سقوط الدكتور محمد مرسي في ثورة شعبية لم يشهد التاريخ لها مثيلا وظلت الجماعة تفكر في حســـابات الخسائر والمخاطر قبل كل حركة وقبل كل قرار سياســـي.. بمـــا جعلها في النهاية تبدو حركة ميكافيللية شريرة تؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة.

حسابات وقرارات

وفي الحســـاب الختامي تمسكت الجماعة بعدد من المبادئ العتيقة الفارغـــة التـــي قيدتها وعرقلت حركتها الحرة في الســـاحة السياســـية المصريـــة.. مما أثار غضب الثوار الذين اســـتفزهم محاولات الرئيس مرســـي وجماعته الانفراد بالسلطة وبالتشـــريع وبصياغة الدستور على حساب التوافق الوطني وعلى حساب مختلف الفصائل السياسية.

صراعات متفجرة

وكان للنرجسية السياسية الغلبة دائما في حسابات الجماعة منذ كانت في المعارضة تحت حكم الرئيس مبارك وحتى وصولها للسلطة بعد ثورة يناير وما أعقبها من فوضي عجيبة علي تاريخ مصر وعجزت الجماعة عن إصلاح نفسها من الداخل أولا.. وحين فشلت في إصلاح نفسها.. فشلت في إصلاح رجالها وقياداتها.

والحقيقة أن الصراعات تفجرت دائما داخل الجماعة في كل عصورها منذ عصر البنا وحتى الهضيبي والسيد قطب.. فقد كان الصراع مريرا بين قيادات الجماعة.. لكن الصراع مع المجتمع كان أكثر مرارة.. لأن المجتمع المصري بروحه الطبيعية كان يرفض الفاشية الدينية للجماعة رغم أن المصريين يعتبرون أن الإسلام يسكن في أعماقهم من البداية احتد الصراع داخل الجماعة بين جبهة المحافظين المتطرفين وبين الأجيال الجديدة التي تريد الانخراط في العمل السياسي داخل المجتمع وكثيرا ما أشار المعلقون إلي الصراعات الداخلية في الجماعة باعتبارها من أعراض صراع الأجيال.. فقد وقف أنصار السيد قطب المتشددين.. ضد الشباب الصاعد داخل الجماعة الذي يريد الإصلاح والخروج من قيود «المحفل الماسوني السري» للجماعة من أجل الانفتاح علي المجتمع والارتباط به وبمصالحه ومن المؤكد أن الجماعة كانت تعاني من حالة انقسام داخلي حادة.. ومازالت

الانقسامات قائمة داخل الجماعة حتى الآن.. لكنها تفاقمت بعد سقوط محمد مرســـي وخروج الجماعة من لعبة السياسة المصرية بعد طوفان الثورة في يونيو ٢٠١٣.

الشاطر يطارد خصومه

وتمكنت العناصر القيادية المتطرفة بقيادة خيرت الشـــاطر من قمع عناصر الإصـــلاح وطردها من صفوف الجماعـــة.. وحين تتصاعد الصراعات داخل الجماعة.. يكتشف العالم الخارجي أن الجماعة قد لا يكون لها وجود.. لكن قيادات الجماعة ليس لها أيضا وجود.

ويقول أليسون بارجيد أن وجه الدكتور محمد بديع الضائع يؤكد مدي غياب القيادة داخل الجماعة ويبدو أن القضية ليست مجرد صراع أجيال أو اختلاف آراء ومواقف.. لكنها قصة انقســـام وشـــروخ عميقة داخل الجماعة وبنيانها العتيق وفي النهاية اكتشفنا الوجه الحقيقي للجماعة.. فهي ليســـت مجرد جماعة دينية تمارس الإرهاب السياسي والاغتيالات والعنف الدمـــوي.. لكنها جماعة انقلابية فـــي تكوينها.. وانقلابية في عملها السياسي.. والمؤامرات بين فصائلها لا تنقطع.. كما أن مؤامراتها ومخططاتهـــا السياســـية والارهابية ضد قيادات الحركـــة الوطنية في مصـــر لم تنقطع منذ العصر الملكي.. وحتى عصر جمال عبدالناصر والســـادات ومبارك وكانت المؤامرة الأكبر فـــي تاريخ الجماعة.. هي

استغلال الظروف السياسـية السائلة في مصر بعد ثورة يناير ٢٠١١ للوصول للسلطة والقفز عليها والانفراد بها تحت اسم التمكين.

انقلاب مرسي

وحين فوجئ المصريون بانقلاب الدكتور محمد مرسـي ضد الدولة ومؤسسـاتها الوطنية بعد أن تولي الرئاسـة.. تذكروا الانقلابات التي وقعت داخل الجماعة قبل الثورة وكثيرا ما تطايرت شـظايا الانقلابات الداخليـة في الجماعة وتجلت في الخـروج الكبير للقيادات.. بدءا من محمد حبيب وعبدالمنعم أبو الفتوح وحتى ثروت الخرباوي ومختار نوح وكمال الهلباوي.

وتبدو الجماعة بطبيعتها في حالة عداء مع الدولة الوطنية ومؤسساتها الرئيسية.. خاصة القوات المسلحة وجهاز الشرطة والقضاء ومؤسسات الصحافة والإعلام ولذلك كانت الجماعة بقيادة مرسي تحاول الانقلاب علي الدولة ومؤسسـاتها.. لأنها في النهاية ليست حزبا سياسيا طبيعيا بالمقاييس الأوروبية والأمريكية وقد تغلبت الروح الانقلابية للجماعة مما أدي إلي السقوط الكبير والمبكر لمحمد مرسي.

ويبدو أن قصة سـقوط الإخوان في مصر أعقد من مجرد الحديث عـن صراع بين الأجيـال والقيادة.. وأكبر مـن الحديث عن الجمود السياسـي الطويل لجماعة.. لها وجه إرهابـي بدون ان يكون له وجه

سياسي.. بل ان الرؤية الدينية للجماعة فارغة من أي مضمون حقيقي سوي التطرف واستغلال التطرف الديني للسيطرة علي المجتمع والانفراد بالسلطة في الدولة باسم الدين.. واحتكار الدين لمصالح الجماعة السياسية والاقتصادية.

لم يكن لدى الجماعة أية اجابة للاسئلة التائهة على ألسنة المصريين.. حول شكل الحياة في المجتمع ومصير الطبقات والفئات الفقيرة التي لم تقدم لها الجماعة سوى كراتين الزيت والسكر الشهيرة وحاولت الجماعة دائما الخلط بين الدين والسياسة.. وفشلت دائما في الخلط بين ثوابت الدين ومتغيرات السياسة.

وفي النهاية فشلت الجماعة في أن تؤكد نفسها كشريك سياسي جدير بالثقة.. رغم أنها ادعت انها لا تسعي للانقلاب علي الدولة والمجتمع وفي النهاية رفض المصريون ان تكون جماعة الإخوان المسلمين هي القاضي الذي يحاكم قرارات الدولة ومؤسساتها لكن الجماعة تلقت ضربة قاصمة لكيانها ووجودها حين تفجرت ثورة ملايين المصريين في وجهها يوم ٣٠ يونيو الخالد.. ان قصة سقوط الجماعة تستحق الوقوف أمامها بالدرس والفحص.

التحالف حتى بعد اغتيال السادات

الانقسـام والصراع دائم وأبدي بين من يملكون السلطة فعلا في أي بلد وأي مكان.. وأولئك الذين يعيشون بدون سلطة.. أو في ظل سلطة الآخرين. وتقبض علي السلطة عادة.. وبيد من حديد.. حفنة من الأقلية في قمة الهرم السياسـي والاجتماعي.. وعلي المنحدرات وعلى السفوح وفي القاع تعيش الأغلبية وكتلة السكان الهائلة.. وهي في حالة انتظار ولهفة دائمة لما قد تغدق عليها به «حفنة القمة والسلطة» من أسباب العيش ووسائل الحياة.

ولا يتوقف الصراع العميق بين الجانبين أبدا. فقد يكون الصراع صامتا أحيانا طويلة في ظروف الحياة الطبيعية.. لكنه قد يتحول إلي صراع عنيف وزاعق في لحظات الأزمة.. وفي زمن الغضب والثورة.. كما حدث ويحدث في مصر حاليا وعلي مدي الفترة الطويلة الممتدة من يناير ٢٠١١ وحتى يونيو٢٠١٣. ويقول المراقبون ان حدث الثورة في مصر يرفض أن ينتهي.. لأنه مثل الأحداث الكبري في التاريخ.. التي لا تهدأ قبل أن تعيد صياغة حياة الشعب وصياغة التكوين السياسي لمؤسسات الدولة والوطن.. وليس سهلا أن يطيح شعب برئيسين خلال أقل من ٣٠ شهرا.. والثورة بطبيعتها حدث لا ينتهي.. إلا بتحقيق الأهداف.

وبقـــدر الأهمية البالغة لمصر في خريطـــة العالم.. بقدر ما تكون الضغـــوط العالمية علي مصر رهيبة خاصة في أيـــام الثورة.. وإعادة التكويـــن.. والحقيقة أن ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ هي «ســـفر التكوين» الجديد لمصر.. لأن هذه الثورة هي التي ســـوف تحدد علاقات مصر بالقـــوي الكبري من جديد.. خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا. وربمـــا كانت الثورة انعكاســـاً لإرادة الشـــعب.. وإرادة القوي التي تقود الثورة.. لكن القوي الكبري ليست بلا إرادة.. بل انها دائما تبدو أشد بأسا وأقوي شوكة ومع ذلك هناك دائما نقطة تحقق التوازن في العلاقات مع الآخرين.. لأن أي انحراف عن التوازن يعيد الثورة إلي نقطة الصفر.

تقود ولا تنقاد

وتؤكد دروس التاريخ ان مصر حين يصعد نجمها.. تقود ولا تنقاد.. تقـــرر ولا تترك لأحد فرصة للتأثير علي قرارهـــا.. لأن تراجع الثورة.. هزيمة للشعب.. وضياع للحاضر.. وتفريط في المستقبل قبل أن يأتي والشعوب الحرة لا تنهزم.. ولا تتراجع ثوراتها.

وفي هذيـــن الكتابين «لعبة الشـــيطان» للأمريكي روبرت دريفوس و«الإخوان المســـلمون من المعارضة للســـلطة» للانجليزي أليســـون بارجيتي.. تلوح الفرصة أمامنا لمراجعة أوراق الماضي من واقع سجلات وملفات الآخرين في واشـــنطن ولندن.. حيث بـــدأت علاقات جماعة

الإخوان وجماعات الإسلام المتطرف بأجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية مبكرا جدا.. ربما منذ النصف الثاني من ثلاثينيات القرن الماضي وحتي اليوم.

أحداث عاصفة

لكن يبدو أن هزيمة يونيو ١٩٦٧ ووفاة جمال عبدالناصر بعد ثلاث سنوات كانت من الأحداث العاصفة.. التي عصفت بمصر وأقدارها بصورة لم يتوقعها أو ينتظرها أحد.. سواء في إسرائيل أو واشنطن ولندن.. وهي عواصم العداء لمصر المستقلة بعد ثورة يوليو ١٩٥٢.

فقد تغيرت مصر كثيرا بعد وفاة عبدالناصر.. وتولي الرئيس أنور السادات بنفسه قيادة «رياح التغيير».. إذا جاز لنا أن نستخدم هذا التعبير.

كانت الأحداث عاصفة.. والمتغيرات سريعة.. تغيرت الوجوه خلال أشهر معدودة في قمة السلطة بالقاهرة.. وكان تغيير الوجوه انعكاس للتغيير الكبير والعميق الذي طرأ علي السياسات والتوجهات فقد قام الرئيس السادات بتغيير مجموعة المشاركين معه في صنع القرار من المصريين.. وقام أيضا بتغيير مجموعة الدول الصديقة لمصر.

وعلى المستوى القومي العربي.. أصبحت المملكة السعودية هي الصديق المقرب لمصر - السادات.. وأصبح كمال أدهم مدير المخابرات

السعودية الشهير.. هو الشخص الأقرب إلي قلب وعقل الرئيس السادات. والمعـــروف أن أدهم هو شـــقيق الملكة عفت زوجة الملك فيصل، لكن أهمية كمال أدهـــم ترجع أيضا إلي علاقته بالدكتور هنري كيســـنجر وزير الخارجية الأمريكي في ذلك الوقت.. وعبر المخابرات الســـعودية كان أدهم يعمل في القنوات الســـرية التابعة للدكتور هنري كيســـنجر.. وهو الدبلوماسي الصقر الذي كان يخطط لبناء الامبراطورية الأمريكية الجديدة في الشرق الأوسط.. بعد حسم صراع الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي السابق.

من البداية اكتشـــف كمال أدهم حقيقة الرئيس السادات.. السياسي ورجل الدولة.. وقام بابلاغ الملك فيصل بأن السادات ليس عبدالناصر لأنه عضو قديم في جماعة الإخوان المســـلمين.. بما يؤكد علي الأقل ان مزاجه السياســـي يميل نحو اليمين.. كما أن السادات محب للحياة ولاقتنـــاء الأشـــياء الراقية.. ولم يكن غريبا أن يكون من أشـــيك رجال العالم.

ويبـــدو أن معرفة كمال أدهم بالرئيس الســـادات كانت قديمة ومنذ النصف الثاني من الخمســـينيات.. لكنها توطدت خلال الســـتينيات. ولذلك لم يكن غريبا أن يقوم أدهم بزيارة القاهرة بعد شهر واحد فقط من وفاة عبدالناصر وتضمن برنامج الزيارة قائمة مهمة جدا من الإغراءات السياسية والمالية فقد تعهد كمال أدهم أمام السادات بأن المملكة السعودية

ســـتقدم لمصر ما تحتاج إليه من دعم مالي في ظروف الحرب. ولكنه طرح علي السادات أيضا ضمانات أمريكية سرية.. تتعهد فيها واشنطن بأنها ســـوف تقدم المساعدة لمصر في اســـتعادة أراضيها المحتلة من إســـرائيل.. إذا قام السادات فقط بقطع ارتباط مصر بالاتحاد السوفيتي السابق مع طرد الخبراء والمستشارين العسكريين السوفييت من مصر.

مذكرات كيسنجر

ومنـــذ أوائل ١٩٧١ أصبح كمال أدهـــم دائم الحضور للقاهرة ودائم التواجد فيها.. وقال الأستاذ محمد جسنين هيكل ان كمال أدهم لم يكن فقط وســـيطا للملك فيصل.. لكنه كان يعمل كحلقة اتصال ســـرية بين السادات وكيسنجر وفي مذكراته قال الدكتور كيسنجر ان الدور السري للسيد كمال أدهم جعل الرئيســـين.. الأمريكي نيكسون والمصري أنور الســـادات علي اتصال دائم وفوري.. بمـــا تخطي وزارتي الخارجية في واشنطن والقاهرة.

وظلت السعودية طوال السبعينيات هي الوسيط بين القاهرة وواشنطن وفي مايو ١٩٧١ قام السادات بضربته الكبري.. وقام بتصفية كل رجال جمال عبدالناصر.. واختار إلي جانبه الشـــاب الصاعد أشرف مروان الصديق المقرب من كمال أدهم رجل المخابرات السعودية الأول.

وتقـــول الوثائـــق الأمريكية ان كمال أدهم لم ينجـــح فقط في إقناع

السادات بضرورة رفع الحظر عن جماعة الإخوان المسلمين لتقف ضد بقايـــا الناصريين والقوميين في مصر.. لكنه أقنعه أيضا بضرورة طرد الســـوفييت من مصر ويقول ريموند كلـــوز.. رجل المخابرات المركزية الأمريكية الذي عمل عن قرب مع السيد كمال أدهم.. ان رجل المخابرات السعودية تعهد بتقديم المال للسادات مقابل طرد السوفييت.

الإفراج والعودة من المنفي

في هذه الأجواء.. وبدعوة مباشـــرة من السادات.. وبتأييد من كمال أدهـــم بدأ كبار قادة جماعة الإخوان المســـلمين العودة من منفاهم إلى مصر كما قام الســـادات بالإفراج عن كل المعتقلين في الســـجون من أعضاء وقيادات الإخوان.. وكانوا يشـــعرون بغضب حاد ولذلك خرجوا للعمل السري والعنف والإرهاب بعناد وإصرار وقد اختفت هذه القيادات تحت الأرض ســـريعا بهدف إعادة بناء التنظيم.. خاصة خلاياه السرية المتخصصة في الإرهاب.

ومـــن بين القيادات الإخوانية برز عمر التلمســـاني المرشـــد العام الجديد للجماعة الذي تعهد للســـادات بأن تكون الجماعة هي الحليف السياســـي الجديد للسادات.. ومقابل ذلك صدرت مجلة الدعوة الناطقة باســـم الجماعة.. أو أعيد إصدارهـــا. والعجيب ان المجلة تلقت الدعم المالي من قيادات المال والأعمال في مصر بســـرعة مدهشة.. خاصة

من جرحى ثورة يوليو.. عائلات الباشـــوات والوزراء في العصر الملكي ورجال الرأسمالية الجديدة في عصر الانفتاح.

وتقول الوثائق السرية الأمريكية ان قيادات الإخوان وتيارات الإسلام المتطرف يميلون بطبيعتهم للرأســمالية.. ولذلك أعلن عمر التلمساني تأييد الجماعة لسياســة الانفتاح التي اتبعها السادات بناء علي نصيحة صندوق النقد الدولي.. وكانت البنوك الإســلامية هي نقطة الانطلاق المركزية لأسلمة مصر!!

ولم يبدأ الظهور الفعلـــي لجماعة الإخوان في مصر إلا بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، وكان ذلك ســلاحا ذا حدين.. فقد استغلهم السادات في غلق أفواه الناصريين وتقييد حركتهم ووضعهم في قائمة الاتهام بالكفر والزندقــة.. وفي المقابل بدأت الجماعة تدخل في صراع مباشــر مع الدولة والمجتمع.

مدرسة السيد قطب

وفي أواخر السبعينيات.. بدأت نذر الخطر خاصة بعد رحلة السادات الشهيرة للقدس ومفاوضاته المباشرة مع إسرائيل فقد حدث ذلك في وقت اتجهــت فيه جماعة الإخوان وتنظيم الجماعات الإســلامية المتحالف معها إلي التطرف والعنف.. وقامت الجماعة والجماعات بتشكيل خلايا سرية.. تخطط للقيام بعمليات الاغتيال والإرهاب.

وبعد رحلة القدس.. تحولت الجماعة من معارضة الســادات.. إلى العداء الكامل له ولسياساته.. وبدأت في العمل السري ضده.

ورغم أن الجماعة والجماعات نجحت في التغلب علي المنافســين السياســيين للسادات في اليســار.. لكنهم في النهاية استسلموا للسحرة الجدد من أئمة التطرف والتكفير.. من مدرسة السيد قطب.

وظهرت أول أعراض الخطر مبكرا جــدا.. وبالتحديد في ١٩٧٤، بعد أشــهر قليلة من حرب أكتوبــر ١٩٧٣، حين قامت مجموعة من المتطرفين يقودهم الفلســطيني «صالح سرية» بمحاولة لاقتحام الكلية الفنية العســكرية.. وهو الحادث الذي كان يستهدف في النهاية اغتيال السادات شخصيا.

واتضح فيما بعد أن صالح ســرية فلســطيني من بلدة قرب حيفا.. انضم لمجموعة إســلامية متطرفة تدعي حزب التحرير الإســلامي.. الذي أعلن أن اســتعادة الخلافة الإســلامية هي هدفه الأسمي. وكان صالح ســرية علي علاقة وطيدة مع ســعيد رمضان مؤســس التنظيم الدولي للإخوان وزوج وفاء ابنة حســن البنا وقد انتقل صالح سرية من الأردن للعراق.. ومن بغداد مطروداً إلي القاهرة.. حيث اتصل بقيادات الإخوان.. خاصة حسن الهضيبي والســيدة زينب الغزالي التي نظرت إليه بتقدير بالغ خلال حلقات النقاش المطولة بينهما.

تحت السيطرة

بعد هذا الحادث الرهيب الذي لقي فيه الكثيرون مصرعهم.. تصور السادات ان الجماعة الرسمية للإخوان مازالت تحت سيطرته.. مع ان الخلايا السرية للجماعة والجماعات الإسلامية كانت قد تحولت إلي الاتجاه المعاكس تماما واتجهت للحرب ضد السادات وبعيدا عن أعين رجال الأمن والأجهزة المختصة بالأمن القومي بدأت هذه الجماعات المتشددة في التدريب والتخطيط السري لعمليات الإرهاب والقتل والعنف والاغتيالات.

وتم رصد هذه الجماعات المتطرفة في لحظات خروجها بعيدا عن القاهرة في الصحاري المحيطة بها.. حيث كانت تجري في معسكراتهم عمليات تنظيم الخلايا الإرهابية.. مع التدريب علي العنف وحمل السلاح وتؤكد الوثائق الأمريكية ان المخابرات المركزية الأمريكية علي نشاطها الواسع في مصر في هذه الفترة.. فشلت في رصد هذه الأنشطة الخطيرة للخلايا السرية لجماعة الإخوان والجماعات الإسلامية.

وفي عام ١٩٧٧ قامت هذه الخلايا الإرهابية بخطف واغتيال الشيخ محمد الذهبي وزير الأوقاف وكانت صدمة نادرة أن تحدث جريمة خطف وقتل سياسي من هذا النوع في مدينة هادئة مثل القاهرة.

وتسارع إيقاع الأحداث في القاهرة والشرق الأوسط كله حين

أعلن الســـادات قراره التاريخي بزيارة القدس.. والحديث أمام الكنيست الإســـرائيلي.. واهتزت مصر إلـــي الأعماق علي جميع المســـتويات واســـتقال وزير الخارجية إسماعيل فهمي ورفض نائبه محمد رياض أن يكون خليفة له.

من المعارضة للعداء

وفي العمل الســـري تحت الأرض.. حدثـــت تحولات كبري لا يراها أحد.. وتحولت الخلايا الســـرية لجماعة الإخوان والجماعات الإسلامية من المعارضة العلنية للســـادات.. إلي العداء المطلق.. وتلبدت سماء مصر بسحب الخطر.

وخضعت هـــذه الجماعة الإرهابية المتطرفة لتأثير أئمة التكفير من أتباع الشـــيخ ســـيد قطب.. الذي اتهم المجتمع في مصر بالعودة عن الإسلام إلي «الجاهلية» القديمة واتخذ أتباع السيد قطب من هذه النظرية المشئومة ذريعة لاغتيال وقتل السادات والقادة والزعماء العرب.

وبالفعل كان كتاب الســـيد قطب الشهير «معالم علي الطريق» هو المصدر الأول الذي حرض جماعات التطرف الإسلامي على ممارسة الإرهاب والقتـــل والاغتيال.. رغم ان نظرياته كانت ملتبســـة.. وغير مترابطة ومليئة بالأخطاء الدينية والنظرية.

صديق البنا يتحدث

وتقول وثائــق المخابرات الأمريكية ان وكالة التجســس الأمريكية لم تكن علــي وعي حقيقي بما تنطوي عليه كتابات الســيد قطب من مخاطر.

ويقول السفير الأمريكي العجوز بالقاهرة هيرمان ايلتيس «١٩٧٤-١٩٧٩» إننــي كنت صديق البنا القديم منــذ تعارفنا في جدة.. لكنني اكتشــفت ان الرئيس الســادات فشــل أيضا في إدراك حجم المخاطر الجســيمة التي ترتبت علي قيامه بتشــجيع جماعة الإخوان وجماعات اليميــن الديني المتطرف.. ويضيف الســفير الأمريكي انه كان يوجد الكثيرون حول الرئيس الســادات.. وقد قاموا جميعا بتحذيره من خطر الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية.. وقامت زوجته جيهان بتحذيره أيضا بشــدة وقالت له ان نشاط هؤلاء خطر قادم لابد من حصاره بأي شكل. لكن السادات لم يهتم.

وقال هيرما ايلتيس ان الســادات كان إخوانيا قديما.. ولذلك رأي في صعود الإخوان ومتطرفي الجماعات الإســلامية انه عملية لا تزيد عن كونها حركة شباب يريد التعبير عن رأيه. ويبدو أن السادات لم يتصور مطلقــا انهم يريدون ويخططون للتعبيــر عن رأيه بالرصاص.. وضده شخصيا!!

تحذيرات السيدة جيهان

وفشلت السـيدة جيهان السادات.. وفشل كل المقربين من السادات في إقناعه بضرورة التصدي للخطر قبل أن ينفجر في وجهه.

وتكشـف الوثائق الأمريكية ان القصور الأمني لم يكن لدي الرئيس السـادات شـخصيا فقط.. أو حتى لدى أجهزة الأمن المصرية.. لكن القصـور كان فادحا أيضا لدي المخابـرات المركزية الأمريكية.. ولم يتصـور الدبلوماسـيون الأمريكيـون بالقاهرة ولا ضبـاط المخابرات الأمريكية ان جماعة الإخوان والجماعات الإسلامية تمكنت من التوغل إلي أعماق سـحيقة داخل المجتمع المصري في أواخر السبعينيات إلا بعد فوات الأوان.

كان السـفير الأمريكي ايليتس ورجال المخابرات الأمريكية بالقاهرة يلاحظون عملية الأسـلمة المنظمة لمصر.. بعد أن اقتنع السـادات بأهمية تشجيع الجماعة والجماعات الإسلامية للتصدي للقوى الوطنية والناصرية التي كان يشعر السادات بعداء بالغ تجاهها.

والحقيقة ان السـادات كان يرى في القوي الوطنية والناصرية خطر شديدا يهدد مشـروعه في مصر ومخططاته الاقليمية في التحالف مع الولايات المتحدة.

مثل الملك فاروق

كان السادات مثل الملك فاروق من قبله.. يري في الإخوان والجماعات الإسلامية أمراً مفيدا في الحرب ضد القوي الوطنية والناصرية التي كان يراها ضارة وغير مفيدة.

وتكشــف أوراق هيرمـــان ايلتيس ان تقديرات المخابــرات المركزية الأمريكية لــم تكن أفضل مـــن تقديرات الســادات.. ويعترف ضابط مخابــرات أمريكي كبير بأن المخابــرات الأمريكية رفضت التقليل من شأن الخطر الذي ينطوي علي الأنشطة المتصاعدة لجماعات التطرف والإرهاب التي تعمل باسم الإسلام في مصر طوال السبعينيات.

وذكرت السيدة كاتي كريستيسون رئيس مكتب المخابرات الأمريكية بالقاهرة خلال الفترة من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٧ أن مخاطر حركة الأسلمة التي تعرضت لها مصر طوال الســبعينيات لم تكن واضحة أمامنا ولم تكن أمرا مثيرا للقلق لدي جهاز المخابرات المركزية الأمريكية.

واعترفت الســيدة كريستيسون بأن المخابرات المركزية بنت تقديراتها علي أســاس أن تصاعد عملية الأسلمة المنظمة في مصر عن طريق جماعة الإخوان والجماعات الإسلامية لا تستهدف سوي القضاء نهائيا على بقايا نفوذ الســوفييت في مصر.. وضمـــان المنع النهائي لعودة الناصرية للظهور مرة أخري. ولم نكن ندري ان ذلك يمكن أن يأتي علي حساب حياة السادات شخصيا.. وهو رجل أمريكا الأول في مصر.

دهشة بأثر رجعي

ويندهش هيرمان ايلتيس بأثر رجعي.. ويقول كان من الصعب علينا في السفارة الأمريكية بالقاهرة الاتصال بالعناصر الإسلامية المتطرفة.. وبخاصة تلك الجماعات التي تحولت إلي العداء التام للسادات.

فقد كانـــت الحكومة المصرية تنظر بعدم ارتياح لاتصال الســـفارة الأمريكية بعناصر المعارضة.. لأن ذلك يشـــجع هذه المعارضة علي الاعتقاد بأنها تحظي بتأييد الولايات المتحدة.

وفي بداية جولاته المكوكية في الشـــرق الأوســـط بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ تعهد هنري كيسنجر أمام أنور السادات بأن المخابرات المركزية الأمريكية لن تقوم بأي عمل سري ضد مصر ولن تتآمر علي السادات صحيح حدثـــت بعض الاتصالات الســـرية الأمريكية مـــع العناصر الإســـلامية المتطرفة لكنها لم تكن مرتبة ولم يكن في واشـــنطن سوي مجموعة صغيرة جدا من الباحثين الأكاديميين الذين يحذرون بشدة من خطر صعود جماعات الإســـلام المتطرف في مصر.. سواء الإخوان أو الجماعات الإســـلامية وقال هـــؤلاء الأكاديميون أن هذه الجماعات ليســـت معادية للشـــيوعية فقط كما تحب أمريكا.. ومعها أوروبا لكنهم أيضـــا يميلون للعنف والإرهاب وضاعت هذه الأصوات الأكاديمية في واشـــنطن وسط ضوضاء تيار المخابرات المركزية والخارجية الأمريكية التي كانت تري في جماعة الإخوان المسلمين حليفا رئيسيا لأمريكا في

مصر.. حتى بعد اغتيال الرئيس السادات. وذهب السادات وجاء مبارك كما ذهب.. وبقي التحالف بين أمريكا والإخوان قائما لا يهتز.. وأثبتت الأحداث ان لغة المصالح عند واشـــنطن هي الأقوى دائما.. وباغتيال الســـادات انتهي عصر.. وبدأ عصر آخـــر للإخوان في مصر.. ولم تشفع دماء السادات لمصر.. عند أحد وكانت القصة بالغة القسوة حين حدثت.. وحين نسترجعها في هذه الأيام.

الباب الرابع:

- **الفصل الأول:** أســرار ٣٠ عاما من العلاقــات بين القاهرة وواشنطن!
- **الفصل الثاني:** اغتيال السادات.. أكبر لغز في تاريخ مصر الحديث
- **الفصل الثالث:** خطة أمريكا لاحتواء الثورة!
- **الفصل الرابع:** مصر وأمريكا .. تحالف ضد الديمقراطية
- **الفصل الخامس:** أمريكا لم تشعر أبداً أن نظام مبارك يواجه أزمة!

أسرار ٣٠ عاماً من العلاقات بين القاهرة وواشنطن!

الجغرافيا، أو الموقع الجغرافي، هو الذي يحدد مصير الدول والشعوب! وقد دفعت مصر من تاريخها ثمناً باهظاً لموقعها الجغرافي الفريد في خريطة العالم ويقدر ما تكون الجغرافيا سخية وكريمة في المنح، بالموقع والثروات الطبيعية، بقدر ما تكون عنيفة في «الانتقام» لأن الموقع الهام والثروة الغنية لها ثمن!! وربما كان موقع مصر في ملتقى طرق التجارة العالمية بين القارات، وهو الذي حرم مصر من إقامة إمبراطورية كبرى منذ فجر التاريخ، ثم أصبحت بعد ذلك هدفا للغزاة والطامعين، وهذا هو «انتقام الجغرافيا» كما يقول المفكرون في العصر الحديث.

ومن المؤكد أن العلاقات مع الولايات المتحدة، هي التي شكلت أو صنعت قصة الثلاثين عاماً الأخيرة من تاريخ مصر ، قبل ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ويعترف خبراء السياسية الدولية في واشنطن بأن الأمن القومي الأمريكي هو القوة المحركة للسياسة الخارجية للولايات المتحدة حول العالم، خاصة إذا تعلق الأمر بدول أو قوى إقليمية بالغة الأهمية في خريطة العالم مثل جمهورية مصر العربية، ولا يوجد ما يفسر قصة

البقاء الطويل لنظام الرئيس مبارك في السلطة سوى الارتباط الشديد بالولايات المتحدة وبالمصالح الأمريكية الخطيرة في العالم العربي.

إن متابعة قصة العلاقات المصرية الأمريكية منذ توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل في مارس ١٩٧٩ وحتى اليوم تلقى الضوء على ثلاث قضايا هامة جدا، أولا لماذا يبقى الطغاة في الحكم طويلا؟ ثانيا، لماذا لم تصبح الولايات المتحدة رائدة للتحول الديمقراطي حول العالم، حتى بعد الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي؟! ثالثا: لماذا لا يؤدي سقوط الديكتاتورية إلى قيام الديمقراطية بالضرورة؟! على الأقل ليس من السهل أن يحدث ذلك!

ويقول وليام كوانت العضو السابق في مجلس الأمن القومي الأمريكي في عهد الرئيس كارتر، إن قصة السياسة الأمريكية تجاه مصر تكشف بوضوح مدى غلظة المصالح الاستراتيجية الأمريكية التي تتناقض بشكل فادح وفاضح مع الأهداف المثالية الخاصة بتعزيز الديمقراطية.

وأثبتت الأحداث أنه منذ توقيع اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية وحتى اليوم كانت المصالح الاستراتيجية الأمريكية هي جوهر العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر، وحتى بعد الثورة الشعبية الكبرى في ٢٥ يناير ٢٠١١ التي أجبرت الرئيس حسني مبارك على الاستقالة، لكن خبراء السياسة العالمية يؤكدون أن الطبقة العليا والنخبة الحاكمة في القاهرة وواشنطن تحاول الحد من فرص واحتمالات التحول الديمقراطي

في مصر ربما رفضنا هذا النوع من التشـــاؤم السياســـي، لكنه يستحق الانتباه.

وفـــي هذا الكتاب «منع الديمقراطية» يروي البروفيســـور جيســـون براونلي الأستاذ بجامعة تكساس الأمريكية حقيقة سياسات التحالف بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية.

هزيمة الديمقراطية

وهـــذا النوع مـــن الكتب يجعلنا نتصور أحيانـــا أن أزمة مصر في واشنطن وليست في القاهرة وأن أمريكا تفضل أن تنهزم الديمقراطية في مصر، على أن تنهزم أمريكا في مصر، أو أن أمريكا تفضل أن تخسر الديمقراطية في مصر على أن تخسر أمريكا مصر.

ويشـــعر المصريون أحياناً بالصدمة لأن اتفاقية السلام مع إسرائيل أخذتنا بعيداً في شراك الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط والعالم العربي وفي لحظات الصحوة بعد ثورة ٢٥ يناير، ترتفع بعض الأصوات في القاهرة لتؤكد أن الســـلام مع إســـرائيل لا يبرر الاستسلام للولايات المتحدة، كما أن معاهدة السلام مع إسرائيل يمكن أن تبقى ما دام ذلك يخـــدم المصالح الوطنية لمصر، لكـــن الأمن القومي لمصر في القرن الحادي والعشرين يتجاوز إسرائيل ومعاهدة السلام مع إسرائيل.

قد يبدو بالنسبة لإسرائيل أن السلام مع مصر من ضرورات الوجود

والبقاء، لكن السـلام مع إسـرائيل بالنسـبة للمصريين، من ضرورات انعدام الحرب وليس انعدام الصراع، ويبقى في النهاية أن السـلام مع إسرائيل لا يبرر الاستسـلام التام للهيمنة الأمريكية، إن مصر لا تريد ولا ترغـب في الدخول في صدام أو عـداء مع الولايات المتحدة، لأن مجالات وآفاق السياسـة والدبلوماسية يمكن أن تساعدنا على التوصل لصيغـة جديدة صحيحة وصحية للعلاقات مـع القوة الأعظم في هذا العصر، الولايات المتحدة الأمريكية.

إننـا لا نتوقع أن يحدث ذلـك اليوم أو غدا، لأن حبال السياسـة والدبلوماسية تطول، بطول الأيام والتاريخ فليس من المقبول أن يقال إن مفتاح الديمقراطية في مصر، في واشنطن..!

بين الحكام والشعب!

إن ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ سـتبقى نقطة تحـول فارقة في التاريخ، فقد أجبرت هذه الثورة الرئيس السابق حسني مبارك على الاستقالة بعد أن أمضى أكثر من ثلاثين عاماً في السـلطة في هذه الأيام الصعبة، اضطر الرئيس الأمريكي بـاراك أوباما للترحيب بانتصار المتظاهرين السـلميين في القاهرة لكن واشـنطن تأخرت كثيراً في دعم الديمقراطية في مصر، لأن الولايات المتحدة كانت تفضل باستمرار الانحياز لحكام مصر على الانحياز لشعب مصر.

ومنــذ ١٩٧٩ قدمت الولايات المتحــدة لمصر أكثر من ٦٠ مليار دولار من المساعدات العسكرية والاقتصادية، ناهيك عن الدعم السياسي اللامحدود، وذلك من أجل ضمان مصالحها الاســتراتيجية في المنطقة وهـــي تحديداً ضمان أمن إســرائيل، وإقامة علاقــات قوية بين مصر والدول العربية في الخليج المنتجة للبترول.

وعلـــى مدى أيام الثورة فـــي يناير وفبراير ٢٠١١ لــم يقدم البيت الأبيض الدعم الواجب لســيادة الشعبية الصاعدة في القاهرة، وبدلا من ذلــك قدم التأييد والدعم لانتقال منظم للســلطة لواحد من رجال مبارك النابهين هو اللواء عمر ســليمان؛ لكن المتظاهرين رفضوا هذه الخطة وقاموا بإحباطها، ومع ذلك بقـــي التحالف المصري الأمريكي المضاد للديمقراطية قائماً.

مـــن البداية رفضت القوات المســلحة المصريـــة الوقوف في وجه الشعب، ووفرت الحماية للثوار في التحرير وللمنشآت المصرية المهمة في جميع المدن الرئيســية بل وقدمت القوات المســلحة مظلة الحماية لعملية التحول الديمقراطي في مصر حتى أجريت أول انتخابات رئاسية حرة، ولم يشترك في هذه الانتخابات سوى ٢٥ مليون ناخب أي نصف عـــدد الناخبين، وفي النهاية فاز مرشــح جماعة الإخوان المســلمين، الدكتور محمد مرسي بالرئاسة بأغلبية ضئيلة وأزيح الفريق أحمد شفيق من السباق.

صعود الدكتور محمد مرسي

والحقيقة أن ترشح الدكتور محمد مرسي في انتخابات الرئاسة أعطى المصريين الفرصة لاختيار أول رئيس مدني من المعارضة، وبالفعل حصل الدكتور مرسي على ٥١,٧٪ من أصوات الناخبين وفاز بالرئاسة.

وفي يوم ١٦ يونيو ٢٠١٢ أصدرت المحكمة الدستورية العليا في مصر حكمها الشهير بحل مجلس الشعب، ويقول البروفيسور جيسون براونلي أنه قام بأبحاث طويلة ومكثفة ما بين القاهرة وواشنطن ولجأ كثيراً إلى ملفات ووثائق الأرشيف الخاص بمكتبة الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر، كما اطلع على وثائق الرؤساء رونالد ريجان وجورج بوش الأب وكلينتون وبوش الإبن لكنه مع ذلك لم يقم بالتشاور مع أحد في أجهزة المخابرات الأمريكية أو الأجنبية.

ويعود بنا المؤلف للوراء بعيدا، إلى يوم من أيام يوليو ١٩٨٠ حين أقلعت ١٢ طائرة أمريكية من طراز فانتوم إف.٤ من قاعدة مودي في جورجيا وانطلقت في رحلة طويلة من الولايات المتحدة وحتى قاعدة غرب القاهرة الجوية في مصر وشاركت هذه الطائرات في أول مناورات جوية مشتركة بين مصر والولايات المتحدة، وأطلق على هذه المناورات اسم فخر الفانتوم.

وكانت هذه الطائرات أول انتشار لسرب جوي أمريكي تكتيكي في مصر وحلقت طائرات الفانتوم المصرية والأمريكية فوق أهرامات

الجيــزة وعلق أحــد أعضاء مجلس الأمن القومـــي الأمريكي في ذلك الوقـــت متعجباً من أن طائرات الفانتوم هــذه هي التي كانت تقوم منذ عشر سنوات مضت بغارات جوية عنيفة في عمق مصر، لكنها تحلق الآن في ســماء منطقة الأهرامات في بدايـــة حقبة جديدة من التعاون الاستراتيجي بين مصر والولايات المتحدة.

مأساة السادات

وقال إن التعاون الجديد بين القاهرة وواشنطن يمكن أن يعود بالفائدة على الدول والقوى الإقليمية في الشرق الأوسط، للوقوف في وجه النفوذ الســوفيتي في الخليـــج العربي، وفي ذلك الوقت كانت أمريكا تشـــعر بحاجتها الماسة لمصر على أمل أن يساعدها ذلك على تجاوز صدمة الثـــورة في إيران لكن إيقاع الأحداث في مصر تســـارع بصورة درامية مأســـاوية انتهت باغتيال الرئيس أنور السادات بين رجاله وجنوده في يوم السادس من أكتوبر ١٩٨١، إنها أيام «خريف الغضب» كما يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل.

فقد أدرك المصريون أن الرئيس السادات أساء إدارة الاقتصاد وأساء اســـتغلال سلطاته، وقام بتوقيع اتفاقية ثنائية للسلام مع إسرائيل، وفرت الدعم للعدوان الإسرائيلى على الفلسطينيين، واللبنانيين وعلى العراق ولم تأت بالسلام الشامل.

لــم يتوقف الرئيس الســادات ولم يحــاول الإجابة على الأســئلة المطروحة، وبدلا من ذلك شعر السادات بمرارة شديد وقام في الخامس من ســبتمبر ١٩٨١ باعتقال قائمة طويلة من كبار معارضيه ضمت أكثر من ١٥٠٠ من الشــخصيات العامة والوزراء السابقين من جميع الأطياف السياسية.

لكن مجموعة إرهابية صغيرة من المتطرفين الإسلاميين قامت بالرد على إجراءات السادات، لكن هذا الرد كان مفاجئاً بقسوة مطلقة، فقد قام الإرهابيون المتطرفون باغتيال الرئيس الســادات ويبدو أن القتلة نجحوا في حرمان الرئيس السادات من الحياة لكنهم فشلوا في إفساد الدور الذي تقوم به مصر في استراتيجية أمريكا الإقليمية في الشرق الأوسط.

بين ريجان ومبارك

وبعد غياب الرئيس الســادات بالاغتيال، تولى حسني مبارك رئاسة مصــر، وحرص الرئيــس الأمريكي الجديد رونالــد ريجان على دعم علاقــات التحالف بين أمريــكا ومصر من خلال زيادة المســاعدات العسكرية والمدنية الأمريكية لمصر التي بلغت ٢,٣ مليار دولار مقابل ٣,٤ مليار دولار مساعدات عسكرية واقتصادية لإسرائيل.

وتراكمت علاقات الصداقة والتعاون الاستراتيجي بين مصر وأمريكا

على مدى أكثر من ثلاثين عاما، حصلت مصر خلالها على أكثر من ٦٠ مليار دولار مساعدات.

وفي النهاية حدث المشهد المأساوي مرة أخرى في مصر، وانطلقت المظاهرات الشعبية ضد الرئيس حسني مبارك في «يوم الغضب» في ٢٥ يناير ٢٠١١ حيث تحولت المظاهرات العنيفة بسرعة إلى انتفاضة شعبية هائلة يتضاءل أمامها خريف الغضب ضد سياسات الرئيس السادات في أكتوبر ١٩٨١.

لكن مظاهرات يوم الغضب مثل خريف الغضب، انتهت برحيل الرئيس السادات بالاغتيال ومبارك بالاستقالة.

فحين قام المتظاهرون والمعارضون للرئيس مبارك باحتلال ميدان التحرير في قلب القاهرة على مدى أكثر من أسبوعين كافح المسئولون الأمريكيون والمصريون طويلا في محاولة للتغلب على هذه الأزمة الخطيرة وفي النهاية أدرك الجانبان الأمريكي والمصري أن هذه المظاهرات لن تتوقف طالما بقي الرئيس مبارك على رأس النظام.

وفي يوم الحادي عشر من فبراير ٢٠١١ أعلن عمر سليمان نائب رئيس الجمهورية أن حسني مبارك قرر التخلي عن منصب رئيس الجمهورية، على أن يتولى المجلس الأعلى للقوات المسلحة المسئولية وأشاد الرئيس الأمريكي باراك أوباما بهذه النتيجة.

بدون طلقة رصاص

كان هذا التحول والانتقال في السلطة مفتوحاً بصورة لم تتخيلها الطبقة العليا والنخبة الحاكمة في واشنطن والقاهرة، ببساطة لأن السياسة الداخلية والخارجية لمصر أصبحت في أيدي جماهير المتظاهرين وتحت إدارة الرأي العام.

هكذا اهتزت أسس الديكتاتورية في مصر، بدون إطلاق رصاصة واحدة، وانطلقت في الشرق الأوسط أكبر تجربة ديمقراطية والحقيقة أن سقوط النظام السابق في ثورة شعبية هائلة يعتبر من أكبر النتائج التي ترتبت على حركة الربيع العربي الثورية في مصر في أوائل القرن الحادي والعشرين مع ذلك فإن الديمقراطية تبدو غير مؤكدة بعد الرئيس مبارك كما كانت بعد رحيل الرئيس أنور السادات.

واجتمع المجلس الأعلى للقوات المسلحة بقايدة المشير محمد حسين طنطاوي، وقرر التعهد بحماية الثورة الشعبية، بدون أن تتعرض علاقات مصر الخارجية للخطر خاصة العلاقات مع الولايات المتحدة.

ولم يكن أمام القيادة السياسية الأمريكية في واشنطن إلا القبول بتغيير القيادة في مصر، على أمل ألا يؤثر ذلك على المصالح الأمريكية.

ويرى البروفيسور جيسون براونلي أن المصريين انضموا بالآلاف إلى ثورة يوم الغضب في شتاء ٢٠١١ وحققوا نصراً سياسياً هائلا، فشلوا في تحقيقه في خريف الغضب في أكتوبر ١٩٨١ فقد سحبت

النخبة تأييدها للرئيس حسني مبارك ونجح المتظاهرون في التغلب على جهاز الأمن وتحولت التعبئة الشعبية إلى حركة ثورية أسقطت النظام.

نقطة تحول تاريخية

من الواضح أن حرب أكتوبر ١٩٧٣ كانت نقطة تحول كبرى لجميع الأطراف فهي نقطة تحول كبرى في تاريخ مصر الوطني والعسكري لكنها أيضاً بالنسبة للولايات المتحدة نقطة تحول كبرى بالنسبة للإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط والعالم العربي، وكما يقول الإسرائيليون إن مثل هذه الحرب لا يجب أن تتكرر يرى الأمريكيون أيضاً أن مثل هذه الحرب لا يجب أن تحدث مرة أخرى.

فقد فوجئت الولايات المتحدة بالهجوم المصري السوري المشترك في يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ضد القوات الإسرائيلية التي تحتل سيناء والجولان، وبعد أن حققت القوات المسلحة المصرية والسورية نجاحات مذهلة في الضربة الافتتاحية للحرب، اضطرت الولايات المتحدة إلى إعادة تسليح إسرائيل بالكامل أثناء المعارك، خاصة بعد أن أدرك هنري كيسنجر أن طموحات السادات الإستراتيجية محدودة.

وحين تسربت الأنباء حول العالم عن الجسر الجوي الأمريكي الهائل لتزويد إسرائيل بالطائرات والدبابات والصواريخ قامت المملكة السعودية ودول الخليج المنتجة للبترول بخفض صادراتها النفطية تدريجياً حتى

وصلت إلى فرض حظر شامل على تزويد أمريكا وهولندا بالبترول ولم ينته الحظر إلا بعد وقف إطلاق النار.

رؤية أمريكية جديدة

فرضت أزمة الحرب في أكتوبر ١٩٧٣ على صانع القرار الأمريكي في واشـــنطن ضرورات استراتيجية جديدة، أولا ضرورة منع حدوث أية حرب كبرى بين العرب وإســرائيل، ثانيــا، الحفاظ على علاقات يعتمد عليها مع دول الخليج المنتجة للبترول.

وهذه الرؤية الأمريكية الجديدة للأمن الإقليمي تفســر إلى حد كبير لماذا فشــلت رياح الديمقراطية في الوصول إلى الشــرق الأوسط، فقد أعطت الولايـــات المتحدة الأولوية المطلقة لاعتبــارات الأمن القومي الأمريكـــي والمصالح الأمريكية في الشــرق الأوســط قبل أي اعتبار آخر.

لم يخف المســئولون الأمريكيون مطلقاً أن الأولوية بالنسبة لهم هي الحفاظ على الاستقرار والأمن في مصر ومنطقة الخليج في إطار نظام إقليمي تقوده الولايات المتحدة وترعاه، وفي إطار يضمن أمن إســرائيل من ناحية وامتداد النفوذ الأمريكي حتى منطقة الخليج العربي من ناحية أخرى.

وبالطبــع كان الرأي العام في مصر دائماً لا يفضل إقامة مثل هذا

النظام الإقليمي الأمريكي، خاصة وأن إسرائيل تبدو دائماً حجر الزاوية في هذا النظام.

وتزايـد أهمية مصر في الاسـتراتيجية الأمريكية بعد قيام الثورة في إيران وسقوط دولة الشاه محمد رضا بهلوي، فحين انسحبت بريطانيا من منطقة الخليج بعد ١٩٧١ أصبحت إيران هي المركز الرئيسـي للنفوذ الأمريكي في الخليج.

سقوط الشاه

ووصل الأمر إلى درجة أن الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون ووزير خارجيته هنري كيسـنجر بحثا مع شـاه إيران إمكانية تدخل إيران في المملكة السعودية إذا تعرض النظام السعودي للخطر، وكانت هذه هي خطة الطوارئ، الأمريكية للوضع في السعودية.

بالفعل طلبت أمريكا من شاه إيران أن يقوم بدور الشرطي الأمريكي في منطقة الخليج العربي، مقابل الحصول على أكبر صفقة من السلاح الأمريكي في ذلك الوقت، شـملت الصفقة الحصول على العشرات من طائرات إف.١٤ توم كات المتطـورة وأحدث الدبابات والصواريخ فيما قيمتـه ٢٠ مليار دولار ووصف الكونجرس الأمريكي صفقة السـلاح الإيرانية بأنها أكبر صفقة للسلاح في العالم.

كان من المفترض أن تتـم الصفقة لدعم الأمن في منطقة الخليج،

وفي أواخر ١٩٧٧ وصل الرئيس الأمريكي كارتر إلى طهران لحضور احتفالات صاخبة في ذكرى قيام عرش الشاهنشاه في إيران، وقام كارتر بمراقصة الشاهبانو فرح ديبا وهمس في أذنيها بأن إيران واحة من الأمن والاستقرار في منطقة شديدة الاضطراب، وبعد شهور معدودة حدثت أكبر مفاجأة صاخبة في تاريخ الخليج العربي، فقد تفجرت الثورة بعنف ضد حكم الشاه في إيران وفشلت الطائرات الحديثة في حمايته، واتضح أن الغواصات الأمريكية المتقدمة التي حصل عليها الشاه يمكنها القيام بدوريات في المحيط الهندي لكنها عجزت عن حماية عرش الشاه في طهران.

في هذا الوقت كان كارتر يحاول ترجمة اتفاقيات كامب ديفيد إلى معاهدة سلام دائمة بين مصر وإسرائيل لمنع نشوب أي حرب أخرى في الشرق الأوسط.

وكان هذا نجاحاً دبلوماسياً كبيراً لكارتر لكنه تزامن مع كارثة سياسية كبرى، كارثة الثورة في إيران، وسقوط حكم الشاه، هكذا انهارت الاستراتيجية الأمريكية في الخليج.

البحث عن حلفاء

وخلال الشهر التالي للثورة قام وزير الدفاع الأمريكي في ذلك الوقت هارولد براون بجولة واسعة في دول الشرق الأوسط بحثاً عن حلفاء

يشترون السلاح الأمريكي الذي كان مقرراً أن تحصل عليه إيران وساهم السلام بين مصر وإسرائيل في خدمة الهدفين،وبالفعل عرضت الولايات المتحدة على مصر وإسرائيل الحصول على مساعدات عسكرية أمريكية واسعة لم يسبق لها مثيل.

وكانت هذه المساعدات رمزاً لمدى أهمية السلام المصري الإسرائيلي بالنسبة لاستراتيجية الولايات المتحدة للأمن الإقليمي في الشرق الأوسط في هـذا الإطار لم تحاول الولايات المتحـدة الضغط بعنف في ملف الحريـات والديمقراطية الليبرالية لأنها كانت تخشـى دائما من احتمال حدوث انفتاح ديمقراطي مفاجئ يفتح الأبواب واسـعة أمام المشـاركة السياسية الشعبية ينتهي بوصول شخصيات مجهولة إلى مواقع السلطة، مما قد يعرض التعاون الاستراتيجي المصري الأمريكي للخطر.

الخوف من الديمقراطية

لم يظهر رئيـس أمريكي منذ عهد كارتر وحتى اليوم لديه القدرة أو الرغبة في ممارسـة ضغط يؤدي إلى انزلاق مصر السـريع في طريق الديمقراطية بما يحولها إلى إيران أخرى، سواء بالانتخابات أو بالثورة.

العجيب أن الولايات المتحدة تشـعر بالخوف مـن جميع التيارات السياسـية في مصر، تشعر بالخوف من القوى الليبرالية الوطنية سواء من اليمين أو اليسـار كما تشعر بالخوف من تيارات الإسلام السياسي

فيما عدا جماعة الإخوان المسلمين، ولم تتردد واشنطن أبداً في الترحيب بإجراء انتخابات وإصلاحات سياســية في مصر طالما أن ذلك يحول دون وصول الحركات الشــعبية الوطنية أو المتطرفين الإسلاميين إلى السلطة، فأمريكا لا يهمها من يأتي بعد مبارك ولا يهمها أن يكون هناك ديمقراطيــة أم ديكتاتورية، المهم ألا تندفع سياســات مصر بعيداً عن التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة.

هكذا حرص المســئولون الأمريكيون على الوقوف في وجه النشاط السياســي للجماعات الإسلامية، وذلك من خلال نشر الثقافة الليبرالية والديمقراطية لتكون منطقة الوسط بين الحزب الوطني السابق وجماعة الإخوان المسلمين، وفي النهاية كان صانع القرار الأمريكي يفضل تقديم الدعم المطلق للرئيس مبارك.

وفي هذه الأجواء كان الكاتب الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل يصــرخ أحياناً بحــدة ويقول إن الولايات المتحدة تتدخل في السياســة المصرية أكثر مما ينبغي ويؤكد أن تأثير أمريكا على صانع القرار في القاهرة يتعدى العلاقات الثنائية الطبيعية بين أي بلدين.

عبد الناصر يقول لا

والحقيقــة أن الولايــات المتحدة كان لديها الاســتعداد لتقديم الدعم والمســاعدات لمصر منذ ثورة ١٩٥٢ على اعتبار أن ذلك من شــأنه

أن يساهم في إبعاد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عن الاتحاد السوفيتي السابق، ولكن حين كشف عبد الناصر عن هويته القومية وعن رغبته في تعزيز السياسة الوطنية لمصر المستقلة، وحين ظهرت قيادته الإقليمية في المنطقة قامت الولايات المتحدة بإلغاء كل ما لديها من خطط لتقديم المساعدات العسكرية لمصر ومع ذلك استمرت الولايات المتحدة في تقديم القمح والمساعدات الغذائية لمصر، على أمل أن يؤثر ذلك في سياسة جمال عبد الناصر الخارجية، وتكون أقل عداء للولايات المتحدة، وبالفعل أصبحت مصر أكبر مستهلك لفائض القمح والمواد الغذائية الأمريكية حتى ١٩٦٣ وفي خطاب تاريخي في ديسمبر ١٩٦٤ أعلن عبدا لناصر أنه يرفض تقديم تنازلات سياسية لأمريكا مقابل مساعدات القمح والغذاء، وقال إن مصر ترفض الاستسلام لأي ضغوط خارجية، وفي المقابل عرضت موسكو على عبد الناصر تقديم السلاح والمساعدات الغذائية والقمح بدون شروط تؤثر على استقلال وسيادة مصر.

وحين قام عبد الناصر بإرسال عشرات الآلاف من خيرة جنوده إلى اليمن أطلقت الولايات المتحدة يد إسرائيل ضد مصر، فقامت بعدوان ١٩٦٧ لضرب عبد الناصر وتجربة الاستقلال الوطني في مصر، ومازالت الولايات المتحدة ترى في مصر جائزة أهم وأغلى من أن تفرط فيها، وإن كانت الديمقراطية في مصر لا تعني أمريكا في شيء.

اغتيال السادات.. أكبر لغز في تاريخ مصر الحديث

يتصور البعض منا أحياناً أن التاريخ كتاب مفتوح أمام كل من يريد أن يعرف أو يتعلم لكن دورة الزمن وقصة التاريخ ليست بهذه السهولة وكم من أحداث ورجال وقف التاريخ أمامهم عاجزاً عن الفهم والإدراك والتفسير، وحين تبقى ذكرى الرجال ساخنة، وحين تبقى الأحداث قائمة، بما ترتب عليها من نتائج تستعصي على التغيير، لابد أن يبقى التاريخ عاجزاً عن كشف الأسرار، وحل الألغاز الكبرى في دنيا السياسة العالمية.

وربما كان الرئيس الراحل أنور السادات أكبر لغز سياسي في تاريخ مصر الحديث كله، ومن المؤكد أن حياة السادات وقصة اغتياله مازالت من الألغاز الكبرى في الملفات السرية للسياسة الدولية. ومازال صعباً على المراقبين والمحللين إلى اليوم معرفة القوة المحركة الحقيقية لعقل أنور السادات، وهناك من يؤكد أن الرئيس السادات رحل عن دنيانا ومعه من الأسرار أكثر مما ترك في حياتنا من حقائق تستعصي على التغيير، اليوم أو غدا، حتى بعد أكثر من ثلاثين عاماً من حادث اغتياله.

وكل الذين عاش معهم السادات ومات وأريقت دماؤه بين أيديهم

يؤكدون أنهم لم يعرفوا منه أو عنه إلا ما أرادنا أن نعرف عن السادات الإنسان، ورجل الدولة والحكم.

مازالت في حياة الرئيس السادات أسرار كبرى وألغاز خفية لم يتمكن أحد من فك شفراتها حتى اليوم، ومازال تاريخ السادات ساخناً لدرجة أنه قد يحرق أصابع من يحاول الإمساك به بالفحص والدرس والتفسير.

ورغم أن الكثير من المصريين يتهمون المخابرات الأمريكية بأن لها يداً خفية في العملية الإرهابية التي استهدفت اغتيال الرئيس أنور السادات وهو بين رجاله وجنوده في يوم السادس من أكتوبر ١٩٨١، إلا أن العديد من قيادات المخابرات الأمريكية في واشنطن يؤكدون أنهم تعرضوا لصدمة قاسية يوم اغتيال الرئيس السادات المفاجئ، وكانت الصدمة مفاجئة وبالغة القسوة على كل من لا يعرف في واشنطن، رغم أن مهمتهم الأساسية هي أن يعرفوا أسرار كل ما يجري حول العالم، خاصة في العواصم ذات الأهمية الكبرى مثل القاهرة.

وكان من أسباب الصدمة أن فريق الحراسة الأمنية الخاص بالرئيس السادات، كان قد عاد لتوه من دورة تدريبية في الولايات المتحدة على أيدي رجال المخابرات المركزية الأمريكية، وكانت المفاجأة أن الرئيس السادات تعرض للاغتيال في الأيام الأولى لوصول فريق الحراسة الجديد للقاهرة وقد فشل هذا الفريق تماماً في حماية الرئيس السادات.

أسئلة للتاريخ

اتضح أن فريق الحراسة الجديد ركز كل جهوده على مراقبة أعضاء الحكومة، وعلى القوى الأجنبية المعادية لمصر، وتم تجاهل المعارضة الداخلية للرئيس السادات تماماً، خاصة خلايا الجماعات الإسلامية التي لجأت للعنف المسلح والإرهاب!

وفي يوم اغتيال السادات، اضطر ويليام كيزي رئيس المخابرات المركزية الأمريكية إلى الصراخ في وجه كبار مساعديه وهو في حالة من الهياج والغضب، وقال لهم ابعثوا بعملاء المخابرات الأمريكية في شوارع المدن المصرية لنعرف ما إذا كان هناك من يريدون اغتيال حسني مبارك أيضاً أم لا!!

ولا أحد يدري إلى اليوم، هل كان غضب ويليام كيزي زائفاً أم لا؟! وهل كان تجاهل أنشطة الجماعات الإسلامية المسلحة متعمداً أم لا؟! أسرار متروكة للزمن، وأسئلة قد لا يجيب عنها التاريخ اليوم أو حتى غداً.

وفي هذا الكتاب «منع الديمقراطية» يؤكد البروفيسور الأمريكي «جيسون براونلي» أن اغتيال الرئيس السادات المفاجئ أحدث صدمة كبرى في العاصمة الأمريكية واشنطن، شعر الرئيس الأمريكي رونالد ريجان بالخوف البالغ، لأنه كان يخشى أن تؤدي وفاة السادات إلى إخلال مصر بالتزاماتها الدولية، خاصة فيما يتعلق بمعاهدة السلام مع إسرائيل، وقال ألفريد أثرتون السفير الأمريكي الأسبق في القاهرة

إن الرئيس ريجان ووزير خارجيته الكسـندر هيج كانا يشعران بالخوف من احتمـالات أن تعود مصر في تعهداتها بعد أن تسـتعيد أراضيها في سـيناء، وتواصل حالة العداء لإسرائيل لكن الرئيس حسني مبارك الذي تولى سـلطة الرئاسة في مصر في ظروف عاصفة حرص دائماً على طمأنة الولايات المتحدة وأكد باسـتمرار التزام مصر الثابت ببنود معاهدة السلام مع إسرائيل لم يكن هناك إحساس بالارتياح في واشنطن، وقال أثرتون إن وفاء مبارك بتعهداته يعتمد أساسـاً على تهدئة المناخ السياسي داخل مصر.

من الاغتيال.. للثورة

وربما كان يوم الاغتيال أصعب الأيام في تاريخ مصر الحديث، ولا يمكن مقارنة هذا اليوم إلا بأيام الضياع التي تعيشـها مصر حالياً بعد ثـورة ٢٥ يناير، ويبدو أن الأول يـوم وانتهى، لكن هذه أيام يبدو أنها ترفض أن تنتهي!!

فقد أعلنـت الحكومة المصرية حالة الطـوارئ لأول مرة منذ انتهاء الحرب والمعارك بين مصر وإسـرائيل وخلال أسبوع واحد جرى استفتاء شـعبي وافق فيه المصريون بأغلبية مطلقة على انتخاب محمد حسني مبارك رئيساً للجمهورية خلفاً للرئيس السادات، ولم تعش مصر يوماً واحداً في حالة عدم يقين كما حدث بعد ثورة ٢٥ يناير، وبعد تنحي مبارك.

وتمكن مبارك من قمع عملية التمرد الإرهابية التي حدثت في أسيوط، وكانت جزءاً من مؤامرة كبرى لقلب نظام الحكم.

وجرت عملية اعتقالات واسعة للعناصر الإرهابية المتطرفة، وكان من بين المعتقلين أيمن الظواهري الزعيم الحالي لتنظيم القاعدة والزعيم السابق لتنظيم الجهاد الذي كان يخطط للاستيلاء على السلطة.

لا فرصة ولا وقت

في ظروف اغتيال الرئيس السادات العصيبة وما بعدها، لم تتوفر لدى مبارك الفرصة أو حتى الوقت لإعادة النظر في أولويات مصر الوطنية، أو مراجعة حسابات السياسة المصرية، لأن السلام مع إسرائيل أصبح حقيقة لا يمكن التراجع عنها، كما أن التحالف والشراكة الاستراتيجية مع الولايات المتحدة أصبحت مثل الفخ السياسي الذي لا يمكن لمصر الفرار منه أو التخلص منه.

كان مبارك طوال فترة خدمته كنائب لرئيس الجمهورية هو حلقة الوصل العسكري بين الرئيس السادات والولايات المتحدة، ومع ذلك لم ينجح مبارك في دفع واشنطن للموافقة على تزويد مصر بالطائرات المقاتلة الحديثة لكن الأوضاع تغيرت بعد اغتيال السادات، وبدأ الرئيس مبارك يجد من يصغي لطلباته في واشنطن.

وفي ١٥ أكتوبر ١٩٨١، أرسلت الولايات المتحدة إلى مصر إثنين

من طائرات الإنذار المبكر الأمريكية «الأواكس»، خشـــية أن تتعرض مصر لهجوم ليبي مفاجئ!

استدعاء الخبراء السوفييت!

وفي أواخر أكتوبر ١٩٨١، أي بعد أســابيع من اغتيال الســادات بدأت مناورات النجم الســاطع المصرية - الأمريكية، بهدف تحســين وتطوير القدرات العملياتية المشــتركة للقوات المصرية والأمريكية، كما استهدفت المناورات أيضاً إظهار أن أمريكا ومصر يشكلان معاً جبهة واحدة ضد مغامرات العقيد الليبي معمر القذافي.

وأظهــر مبارك درجة عالية من الذكاء حين قام باســتدعاء الخبراء العســكريين الســوفييت من جديد لإصلاح وصيانة الأسلحة والمعدات الروســية القديمة، في نفس الوقت الذي كان يمارس فيه ضغوطاً كبيرة على الولايات المتحدة للحصول على الأســلحة الأمريكية بكميات أكبر وأســرع وكانت مصر تحصل على قروض أمريكية بقيمة ٩٠٠ مليون دولار لشــراء الأسلحة الأمريكية، لكن مبارك نجح في تحويل القروض الأمريكية إلى منح لا ترد، بعد أن ارتفعت قيمتها إلى ١,٣ مليار دولار، وكانت إســرائيل تحصل على منح عســكرية أمريكة قيمتها ١,٨ مليار دولار، أي أن إسرائيل كانت تحصل على أكثر مما تحصل عليه مصر مرة ونصف، وبمرور الزمن أصبحت إســرائيل تحصل على ضعف ما

تحصـــل عليه مصر مرتين ونصف أي ٣,٤ مليار دولار مســـاعدات عسكرية أمريكية.

أنياب الإمبراطورية

وهكذا حصلت مصر علـــى طائرات إف -١٦ وعلى صواريخ جو - جو بدون الإخلال بتوازن القوى الإقليمي، الذي يكفل تفوق إســـرائيل النوعي على كل جيرانها العرب.

هكذا حافظت مصر على التزامها بمعاهدة الســـلام مع إســـرائيل، وبقيت شـــريكاً وحليفاً اســـتراتيجيا للولايات المتحدة، بل وحصلت على أفضلية الحصول على الأسلحة ذات التكنولوجيا العالية مثل دول حلف الناتو.

وبذلـــك حصلت مصر علـــى الكثير من المزايـــا، لكنها تخلت في المقابـــل عن الكثير من ثوابت وأولويات الأمن القومي والعربي، وكثيراً ما كان يشـــعر الرئيس مبارك أنه لا يســـتطيع الخروج من بين أنياب الإمبراطورية الأمريكية.

وخلال زيارته الأولى لواشنطن بعد اغتيال السادات، اتفق الرئيسان ريجان ومبارك على أهمية الالتزام بتحقيق الســـلام الشامل في الشرق الأوســـط طبقاً لاتفاقيات كامب ديفيد وحرص مبارك دائماً على احترام مصـــر لالتزاماتها في معاهدة الســـلام، وقال إننا في الســـلام، نبادل

إسرائيل التزامًا بالتزام، إلا أنه لم يبالغ في التقرب إلى إسرائيل، أو حتى الفلسطينيين، وحرص على الفصل التام بين ضرورة انسحاب إسرائيل من بقية الأراضي المصرية المحتلة في سيناء، وعملية الانسحاب الإسرائيلي من الضفة وغزة.

وحين أعلن مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلي ضم مرتفعات الجولان السورية لإسرائيل، قام مبارك بإدانة القرار الإسرائيلي لكنه لم يتخذ إجراءات عقابية ضد إسرائيل.

وذات مرة، وجه بيجين الدعوة لمبارك لزيارة إسرائيل، لكن مبارك رفض بشدة زيارة القدس المحتلة، وحين صمم بيجين على ضرورة أن تشمل الزيارة ذهاب مبارك للقدس، فشلت الزيارة ولم تتم ولم تكن لدى مبارك أية رغبة في زيارة إسرائيل، لأنه كان يرفض أن يفعل ما يثير غضب الرأي العام في مصر.

حرص مبارك بشدة على أن تستكمل إسرائيل انسحابها من سيناء في الموعد المحدد يوم ٢٥ أبريل ١٩٨٢، وتم له ما أراد رغم المشكلة الشهيرة التي ثارت حول طابا.

وتعرض مبارك لاختبارات أعصاب رهيبة، ربما لم تترك له الوقت والفرصة للنظر للاعتبارات الوطنية المصرية، وهكذا ظلت مصر تبحث عن إستراتيجية اقتصادية وطنية جديدة لتحقيق التنمية والتقدم بدون جدوى، وفي النهاية تخلت دولة مبارك عن سياسة تعيين الخريجين،

وتوحشت واتسعت جيوش العاطلين في مصر بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل، خاصة مع تزايد أعداد خريجي الجامعات والمعاهد المتوسطة الباحثيـــن عن أية فرصة للعمـــل، وتفاقمت أزمة البطالة في مصر في مرحلة الخصخصة التي خرج فيها الآلاف من عمال مصانع وشركات القطـــاع العام إلى دنيا الضياع والبطالة، وعجزت اســـتثمارات القطاع الخاص في اســـتيعاب القوى البشرية الهائلة الباحثة عن فرص العمل والحياة، ولم تجد أولويات المصالـــح الوطنية بنوداً في الموازنة العامة للدولة للإنفاق عليها، مشروعات أو خدمات.

غزو بيروت

وبعد ستة أســـابيع فقط من انسحاب إســـرائيل النهائي من سيناء، قامت القوات الإســـرائيلية بغـــزو لبنان وتقدمت حتـــى دخول بيروت وتعرضت مصـــر لاختبار رهيب، كان متعمداً بـــكل تأكيد من جانب أمريكا وإسرائيل.

وتضاعفت مشاعر الكراهية في مصر تجاه إسرائيل، ولم تعد هناك أية ثقة بين الجانبين، وقال ألفريد أثرتون الســـفير الأمريكي في القاهرة، إن الغزو الإسرائيلي للبنان أحبط العلاقات المصرية – الإسرائيلية، رغم أن بداياتها كانت مشجعة.

أكد اثرتون أنه كان يعرف بعض الشـــخصيات السياسية والصحفية

في مصر الذين كانوا يتطلعون للعلاقات مع إسرائيل بالكثير من الأمل والتفاؤل، ومنهم الكاتب الصحفي الكبير أنيس منصور الذي كان على علاقـــات عميقة بالكثير مـــن الصحفيين والكتاب في إســـرائيل وذات مرة قال أنيس منصور، لقد تصالحنا مع إســـرائيل وتطلعنا إلى السلام الشامل، لكن اتضح أننا على خطأ ويبدو من الآن أن التصالح الحقيقي مع إسرائيل سوف يستغرق ٣٤ عاماً أخرى.

ومرة أخرى وجه الرئيس مبارك انتقادات حادة لإسرائيل لكنه لم يتخذ أي إجراء دبلوماسي مضاد لإسرائيل.

وحين وقعت مذابح صابرا وشـــاتيلا، اكتفى مبارك باستدعاء السفير المصري في تل أبيب، لكنه لم يصدر قراراً بوقف الرحلات الجوية بين تل أبيب والقاهرة ورفض إغلاق السفارة المصرية في إسرائيل.

ريجان يستعرض قوته!

وفـــي أجواء هذه الأزمة المتصاعدة، حاول الرئيس الأمريكي ريجان أن يستعرض قوة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وقال إن القوات الأمريكيـــة تجاوزت عقدة حرب فيتنام، وقام بإرســـال المئات من قوات مشاة البحرية الأمريكية إلى بيروت للإشراف على عملية ترحيل الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات والميليشيات الفلسطينية من لبنان.

وحدثت سلســـلة من المفاجآت، فقد تعرضت الســـفارة الأمريكية في

بيروت لهجوم انتحاري بسيارة ملغومة مما أدى لمصرع ٦٠ شخصاً من بينهم ١٧ أمريكيا.

وكانت المفاجأة الأكبر، هي الهجوم الذي تعرض له معسكر قوات المارينز الأمريكية في بيروت، مما أدى إلى مصرع ٢٤١ جندياً أمريكياً في لحظة واحدة.

وفي النهاية اضطر الرئيس ريجان إلى سحب بقايا قوات المارينز الأمريكية وهي منكسة الرءوس في حالة انكسار حقيقية، وتضاعفت عقدة فيتنام لدى الأمريكيين وفشل ريجان في إقامة حكومة موالية لأمريكا في لبنان.

ويقول جيسون براونلي أنه كان واضحاً أن ريجان ينظر إلى منطقة الشرق الأوسط من خلال عدسات الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي.

في المقابل كان مبارك في أول سنوات حكمه، ينظر إلى الصراع في المنطقة من خلال حقائق الوضع الإقليمي، وكان حريصاً ألا تتعرض مصر للعزلة عن العالم العربي مرة أخرى.

ولذلك، انحاز مبارك على جانب العراق في حربها ضد إيران وفي أواخر ١٩٨٨ تمكن مبارك من استعادة العلاقات بين مصر وجميع الدول العربية تقريباً، وعادت الجامعة العربية إلى مقرها القديم في ميدان التحرير بقلب القاهرة في ١٩٩٠، وأصبح الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد وزير خارجية مصر هو الأمين العام الجديد للجامعة العربية.

مع أمريكا ضد السوفييت

ورغم أن مبارك كان يسعى دائماً لعودة مصر إلى الصف العربي، إلا أنه يقف دائماً أيضاً مع الولايات المتحدة في سياساتها المعادية للسوفييت، بما حافظ على وجود مصر جزءًا من الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط، ومن جديد بقيت الثوابت الوطنية المصرية على الهامش، وتبدد الدور القيادي لمصر سواء في العالم العربي أو في أفريقيا.

وفي هذا الإطار قدمت مصر الدعم الواسع للحملة الأمريكية السرية ضد الوجود السوفييتي في أفغانستان. ويقول نيكولاس فاليوتيس السفير الأمريكي بالقاهرة في ذلك الوقت، إن الولايات المتحدة حددت أولويات سياستها في المنطقة في اتجاهين، الأول، الحفاظ على معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، والثاني بقاء علاقات التحالف الاستراتيجي بين مصر وأمريكا.

وبدءاً من عام ١٩٨٣ قامت السعودية والمخابرات المركزية الأمريكية بتمويل مشتريات السلاح السوفييتي من مصر، لإرسالها للمتطوعين العرب للحرب ضد السوفييت في أفغانستان، بما قيمته ٥٠ مليون دولار سنوياً.

خطة غزو ليبيا

والحقيقة أن العلاقات بين مصر وأمريكا تعرضت لموجات متعاقبة

من الصعود والهبوط، لأن مبارك لم يكن الحليف السلس، سهل الانقياد.

فقد حدث أن عقد الرئيس الأمريكي ريجان اجتماعاً لمجلس الأمن القومي الأمريكي بالبيت الأبيض، وجرى التخطيط في هذا الاجتماع لقيام القوات المسلحة المصرية بهجوم بري على ليبيا، بمساندة من سلاح الطيران الأمريكي، وذلك بهدف إجبار العقيد القذافي على إصلاح سلوكه، أوحتى ربما أمكن الإطاحة به من السلطة في ليبيا.

وعلق مسئول بالخارجية الأمريكية على ذلك بقوله أمام السفير الأمريكي بالقاهرة، إنك يا عزيزي.لا تعلم ماذا فعل هؤلاء المجانين داخل البيت الأبيض.

وأصر ريجان على إيفاد الجنرال جون بويند يكتسر للقاهرة لعرض الخطة على مبارك، لكن مبارك لم يعط الفرصة للمبعوث الأمريكي حتى لطرح فكرته، وقال له أشكرك أيها الجنرال، وأعتقد أنني أعرف إلى أين أنتم ذاهبون بهذه الخطة، ودعني أخبرك أن مصر قد تقرر ذات يوم غزو ليبيا، لكننا إذا فعلنا ذلك فسيكون بأسباب مصرية وليس بناء على أسباب وخطط أمريكية ورفض مبارك خطة الغزو المصري الأمريكي لليبيا بشكل تام ومطلق.

في هذه الأجواء، كانت أوضاع مصر الاقتصادية قد ساءت وتدهورت بصورة خطيرة للغاية، وتضاعفت أعباء الديون الخارجية

على مصر، واضطر مبارك إلى تخصيص أكثر من ٦٠٪ من موازنة الدولة لسداد فوائد الديون، وتمويل الدعم اللازم للسلع الشعبية ودفع مرتبات العاملين في الحكومة والقطاع العام.

وبلغ حجم العجز التجاري بين مصر والعالم الخارجي حدوداً غير مقبولة، خاصة بعد أن بلغ حجم الديون الخارجية المستحقة على مصر أكثر من ٥٠ مليار دولار، يبدو واضحاً حتى اليوم أن الضغوط الاقتصادية الرهيبة التي تتعرض لها مصر جزءاً من مخططات أمريكية ودولية بعيدة المدى تستهدف وضع مصر في حالة استسلام دائم للهيمنة الأمريكية وفي النهاية أصبح مبارك تحت حصار الأزمة الاقتصادية، وأزمة من يأتي بعده في الحكم.

خطة أمريكا.. لاحتواء الثورة!

لم يحدث من قبل أن عاشت مصر في أجواء مشوبة بالغموض شبه التـــام، ولم يحدث من قبل في العصر الحديث على الأقل أن عاشـــت مصر وسط سحب داكنة من الضباب الكثيف، مما جعلنا شبه عاجزين عن رؤية وجه الحقيقة وكما يتســاءل المصريـــون حاليا إلى أين نحن ذاهبون، يتســاءل العالم من حولنا أيضا عن اتجاهات السياسة والحكم في مصر بعد ثورة ٢٥ يناير؟! ومن أجل هذا تنعقد المؤتمرات والندوات العاجلة في مراكز صنع القرار الأمريكية في واشـــنطن، ويشارك بعض المصريين من خبراء السياسة والاقتصاد في هذه الندوات.

ويعتـــرف الأمريكيـــون بأنهم نجحوا حتى الآن فـــي احتواء أحداث الثورة في مصر، وأثبتت دبلوماسية الترهيب الأمريكية فعالية كبيرة، بما جعل المصريين يدركون جيداً أن إســـقاط نظام حسني مبارك لا يعني الخروج من القفص الحديدي للتحالف والشراكة الإستراتيجية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية.

فقد شـــهدت مصر انتفاضة شـــعبية كبرى في ٢٥ يناير ٢٠١١، تصاعدت بصورة رهيبة دفعت القوات المســـلحة المصرية إلى التدخل وإجبار الرئيـــس مبارك على التنازل عن الســـلطة، ولذلك قالوا أن ما

حدث في مصر هو نصف ثورة ونصف انقلاب عسـكري، ولا يتصور أحد في القاهرة حتى الآن كم كان صعبا على الرئيس الأمريكي أوباما القبول برحيل مبارك، خاصة وأنه كان يرى أن في ذلك خطراً كبيراً يهدد المصالح الأمريكية في مصر والعالم العربي.

وفي النهاية أدرك صانع القـرار الأمريكي أن رحيل مبارك وتغيير القيادة في مصر من شـأنه إطفاء نيران الثورة والغضب لدى الجماهير المحتشدة في ميدان التحرير، وكما حدث بعد اغتيال الرئيس السادات، تغيرت القيادة على مستوى القمة، ولم تتغير السياسة ولم يتغير النظام، ولم يفقد النظام الدعم الأمريكي.

هكـذا نجحت الولايات المتحدة في احتواء عواصف ثورة ٢٥ يناير، وبقيت مصر داخل شـرنقة الهيمنـة الأمريكية، خاصة بعد أن ظهرت أعراض الضعف الاقتصادي وتزايدت أعراض الترهل على مؤسسـات الدولـة التي لم يبق منها قوياً سـوى القوات المسـلحة وجهاز الأمن الأعلى.. المخابرات.

صداقة وتحالف قديم

وعلى مدى أكثر من ٣٥ عاماً، حققت الولايات المتحدة كل أهدافها من التحالف مع مصر وفي مقدمة هذه الأهداف، ضمان أمن إسرائيل والحفـاظ على مصالح أمريكا في الخليج العربي، فقد قدمت مصر كل

ما يمكنها من تسـهيلات لدعم الحشد العسـكري الأمريكي الهائل في العراق وأفغانستـان وفي مياه الخليـج العربي، وفي المقابل لم تحصل مصر على ما أرادت خاصة تحقيق التنمية والتقدم.

ويقول الأمريكيون أن الرئيس السـادات تصـور بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ أن الشراكة والتحالف بين مصر وأمريكا من شأنه إيجاد الحلول لـكل ما تعاني منه مصر من مشـكلات، خاصة مـن خلال تصفية الصراع الإقليمي في الشرق الأوسط، مع الهبوط بالصراع مع إسرائيل إلى أدنى مسـتوى لكن شيئاً من ذلك لم يحدث، وبقيت مشكلات مصر الأساسـية في الاقتصاد والتنميـة بلا حل، ولم تتدفق الاسـتثمارات الأمريكيـة والأوروبية على مصـر، وإن ظلت مصر في حالة عطش وجوع لا ينتهي للمنح والمسـاعدات الأمريكية والأوروبية، وتبدد الحلم الأمريكي في مصر.

وفـي هذا الكتاب «منع الديمقراطية» يقول الباحث الأمريكي الكبير البروفيسور جيسون براونلي أن التحالف بين مصر وأمريكا كان السبب الرئيسي وراء وأد حلم الديمقراطية في مصر.

ديكتاتورية تنافسية

ويقـول أن مصر تعيـش الآن بعد ثورة ٢٥ ينايـر عصراً جديداً، أنه ليس عصر الديمقراطية، لكننا يمكن أن نطلق عليه اسـم «عصر

الديكتاتورية التنافسية» أنه تغيير من نوع جديد، ولن يكون هناك في هذا النظام الجديد حزب ضخم مثل الحزب الوطني السابق الذي كان ينفرد بالأغلبية المطلقة في أية انتخابات، وسوف تصعد حركات معارضة قوية وستكون هناك حرية أكثر في أية انتخابات لكنها لن تخلو من التزوير ولا من البلطجة وعمليات شراء الأصوات والذمم، وسوف تبقى السلطة دائماً في أيدي أجهزة الأمن التي لا ينتخبها أحد.

لقد أظهرت تجربة الثورة في مصر أن الشعب يمكن أن يتغلب على القمع والديكتاتورية ويبدو أن الثورة تأخرت كثيراً في مصر، ولم تحدث إلا بعد أن تغيرت الأولويات في مصر منذ زمن طويل سبق اغتيال الرئيس السادات، ويقول أعضاء مجلس الأمن القومي الأمريكي في أوراقهم، أنه حدث تحول هائل في السياسة بعد الشراكة الاستراتيجية بين السادات وكارتر ولم يعد هناك من يبحث عما هو مفيد لمصر، وتركز البحث دائماً عما هو مفيد لأمريكا ومصالح أمريكا.

(٣٥ ثانية)

وحين تصاعدت أحداث جمعة الرحيل في ١١ فبراير ٢٠١١، فشلت كل محاولات الإبقاء على نائب الرئيس عمر سليمان في السلطة واضطرت إدارة أوباما للقبول بفكرة قيام المجلس العسكري بالإطاحة بمبارك مع حل مجلس الشعب وتعليق العمل بالدستور حتى يتم إجراء انتخابات جديدة

وظهر عمر سليمان ربما لآخر مرة على شاشات التليفزيون ليعلن أن حسني مبارك قد تخلى عن منصب رئيس الجمهورية ولم يستغرق أخطر خطاب ألقاه عمر سليمان أكثر من ٣٥ ثانية فقط!

ويعترف جيسون براونلي بأن الرئيس السابق مبارك تعرض دائماً لضغوط غربية كاسحة تستهدف الإبقاء عليه بين أنياب التحالف الإمبراطوري الأمريكي – الأوروبي، خاصة بعد أن تفاقمت أزمة ديون مصر الخارجية ووجد مبارك صعوبة هائلة في تدبير مبلغ ٥٠٠ مليون دولار، قيمة القسط السنوي للديون العسكرية الأمريكية المستحقة على مصر التي بلغت ٤,٩ مليار دولار واضطرت مصر تحت إرهاب الضغوط الأمريكية إلى اللجوء إلى صندوق النقد الدولي للتفاوض حول سداد الديون المصرية.

ضغوط نادي باريس

وبالفعل توصلت مصر إلى اتفاق مع نادي باريس في ربيع ١٩٨٧ يقضي بإعادة جدولة الديون المصرية وخفض الأرباح مقابل اللجوء إلى إجراءات تقشف قاسية مع خفض هائل في نفقات الدولة، لكن مبارك تراجع في تعهداته مع نادي باريس في اللحظة الأخيرة ورفض اتخاذ إجراءات تقشف قد تؤدي إلى إثارة بركان الغضب في الشارع المصري كما حدث قبل عشر سنوات في انتفاضة ١٩٧٧ وهنا اتخذ

البيت الأبيض والكونجرس إجراءات قاسية ضد مصر ووضعا شروطاً صعبة للإفراج عن مبلغ ٢٣٠ مليون دولار من المساعدات الاقتصادية لمصـــر ، ما لم يتخـــذ مبارك إجراءات أساســـية على طريق الإصلاح الاقتصادي وخفض نفقات الحكومة.

وهنا شـــعر مبارك أن الأنياب الحديديـــة للإمبراطورية الأمريكية لا تعرف الرحمة، وبالفعل شـــعر مبارك بأنه تحـــت الحصار وأن ظهره للحائـــط، وظلت مصر تعاني من وطـــأة الديون الخارجية الثقيلة حتى نهاية الثمانينيات، حين ارتكب صدام حسين غلطة العمر وأمر القوات العراقية باحتلال الكويت، فقد تغير الموقف الإقليمي في الشرق الأوسط والخليـــج العربي فجأة بعد الغـــزو العراقي للكويت، وحدث ذلك بعد أن تولى الرئيس الأمريكي الجديد جورج بوش الأب الرئاســـة خلفا للرئيس الجمهوري المتشدد رونالد ريجان.

ورغـــم أن بوش الأب كان نائباً للرئيس ريجـــان إلا أنه أبدى تفهماً أكبر للرئيس مبارك، ولأولويات مصر الاقتصادية والسياســـية، وحدثت كيمياء شخصية بين مبارك وبوش الأب، لم تحدث منذ عصر السادات وكارتر.

إعادة تشكيل العالم

وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق، وانتهاء الحرب الباردة توفرت

للولايات المتحدة الفرصة التاريخية للانفراد بإعادة تشكيل شئون العالم، في هـذه الأجواء تزايـدت الاتصالات التليفونية بين الرئيسـين بوش ومبارك، وكتب بوش في مذكراته يمتدح صديقه «حسـني»، يؤكد إن صديقه حسني مبارك أثبت أنه رجل الدولة المصري الذي يمكن لأمريكا الاعتماد عليه.

وحين قام الرئيس العراقي صدام حسـين بحشـد فرقتين من قوات الحرس الجمهوري العراقية على حدود الكويت، طلب مبارك من الرئيس بوش إعطاء الفرصة لصدام لإنقاذ ماء وجهه والتراجع، وشـاركته في الرأي السيدة أبريل جلاسبي السفيرة الأمريكية في بغداد التي اختفت بعد ذلك ولم يسمع عنها أحد.

لكن الدبابات العراقية توغلت في قلب أراضي الكويت في الساعات الأولى من يوم ٢ أغسـطس ١٩٨٩ وبدأ الغزو العراقي بالكويت وبدأ بوش مشـاوراته مع مبارك، الذي عرض أن يتم البحث عن حل للأزمة أولا في إطار عربي، ومن خلال جامعة الدول العربية، وبسـرعة فكر بوش في نشر قوات أمريكية في السعودية لردع صدام ومنعه من دخول الأراضي السـعودية، لكن العاهل السعودي الملك فهد بن عبد العزيز أعلـن أنه لن يقبل بوجود قـوات أمريكية على أراضيه ما لم تقبل دول عربية مثل مصر والمغرب بالمشاركة بقواتها في هذه المهمة.

غزو الكويت

وأدرك بوش الأب بسرعة أنه سيكون مستحيلا على أمريكا التحرك عسكريا ضد العراق بدون وجود تحالف عربي يدعم الموقف الأمريكي، وتم نقل هذه الفكرة إلى الرئيس مبارك الذي وافق على السماح لحاملات الطائرات الأمريكية ولسفن الأسطول الأمريكي بعبور قناة السويس، كما سمح للمقاتلات والقاذفات الأمريكية بعبور الأجواء المصرية، وقدم التسهيلات الكاملة لدعم الحشد العسكري الأمريكي ضد القوات العراقية في الكويت.

وفي القمة الطارئة للجامعة العربية نجح مبارك في تقديم المظلة الدبلوماسية العربية لنشر القوات الأمريكية على الأراضي السعودية، وبدأت القوات المصرية والمغربية وحتى السورية في دخول السعودية وحشدت الولايات المتحدة أكثر من ثلاثة آلاف طائرة ضد العراق في حرب عاصفة الصحراء لتحرير الكويت، وتم السماح للقوات المصرية والسعودية بأن تكون أول من تدخل الكويت العاصمة حتى لا يبدو الأمر وكأنه احتلال أمريكي أوروبي للمدينة.

وفي المقابل حصلت مصر على فوائد اقتصادية هائلة، بعد أن أظهرت أهميتها الاستراتيجية للولايات المتحدة، وطلب الرئيس بوش من الكونجرس إسقاط الديون الأمريكية المستحقة على مصر، كما وافقت السعودية ودولة الإمارات والكويت على إسقاط ٧ مليارات دولار من

الديون المســتحقة على مصر، وبذلك اســتراح مبارك من عبء تدبير مليار دولار سنوياً لأقساط الديون وأرباح الديون.

وبعد تحرير الكويت وافق نادي باريس على إسقاط ٥٠٪ من الديون المســتحقة على مصر، وتم إعفاء مصر من عشــرة مليارات دولارات أخرى، ولم يسبق من قبل أن حققت مصر فوائد اقتصادية ومالية مقابل التعاون الأمني والاســتراتيجي مع أمريكا مثلما فعل مبارك بعد تحرير الكويت.

مبارك يرفض غزو العراق

لكن الرئيس مبارك تعرض لضغوط أمريكية رهيبة حين أعلن رفضه القاطع لخطط الرئيس الأمريكي جورج بوش الإبن الخاصة بقيام القوات الأمريكية بغــزو العراق فقد تغيرت أمريكا تمامــاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠١١ وجاء بوش الإبن بجدول أعمال واضح ادعى فيه أنه يريد نشر الديمقراطية وأطلق على هذه الإستراتيجية اسم «أجندة الحريــة»!! والحقيقة أنه لم يكن في إدارة بوش الصغير أحد يريد إبعاد مبارك أو الإطاحة به من السلطة، وقد حدث فعلا أن جرى جدال واسع ومطــول في أروقة البيت الأبيض خــلال اجتماعات العقول المعروفة باســم اجتماعات مجلس الأمن القومي الأمريكــي وتم خلالها القبول بالخطوط العريضة للإستراتيجية الأمريكية تجاه مصر، كما تم وضعها

قبل وصول بوش للسلطة وهذه الإستراتيجية تعطي أهمية بالغة للتحالف الاستراتيجي بين مصر والولايات المتحدة، من أجل ضمان أمن إسرائيل وحماية المصالح الأمريكية في الخليج العربي.

وبدأت الولايات المتحدة تشـعر بالقلق حيال ما قد يحدث في مصر بعد رحيل مبارك ولذلك حرص بوش الإبن على التعاون مع مبارك على الأقل مؤقتاً، خاصة وأنه ينوي غزو العراق في عملية عسـكرية أطلق عليها اسم «الحرية للعراق».

وكانت أمريكا تنظر بقلق بالغ تجاه نظام صدام حسين، وتضعه في مقدمة النظم الواجب تغييرها خصوصاً بعد هجمات ١١ سبتمبر، وقال ديك تشـيني نائب الرئيس الأمريكي أن صدام حسين لديه الآن أسلحة الدمار الشامل التي يهدد باستخدامها ضد أصدقائنا وحفائنا في الشرق الأوسط.

وتحدث العميل الأمريكي أحمد شـلبي صراحة في واشـنطن وقال أن غـزو العراق من شـأنه أن يوفر حليفاً جديداً فـي بغداد لأمريكا وإسرائيل!!

أرفض.. ولكن!!

ورغـم أن الرئيس مبارك اعترض بشـدة على غزو العراق، إلا أنه مرة أخرى سـمح لقطع الأسطول الأمريكي بعبور القناة في الطريق إلى

الخليج العربي لاســتكمال الحشد العسكري الأمريكي لغزو العراق، كما عبرت المقاتلات والقاذفات الأمريكية الأجواء المصرية.

وبعد دخول القوات الأمريكية العراق وسقوط بغداد، تفرغ بوش لتنفيذ أجندة الحرية، وألقى خطاباً في التاســع من نوفمبر ٢٠٠٣ أكد فيه أن مصــر دولة عظيمة فخورة بتاريخها، كمــا أظهرت للعالم الطريق إلى الســلام في الشــرق الأوســط، فإن عليها الآن أن تظهر الطريق إلى الديمقراطية في الشرق الأوســط، وقال أن أمريكا لن تشتري الاستقرار في المنطقة على حساب الحرية والديمقراطية.

وللوهلة الأولى بدا هناك تغيير واســع في اســتراتيجية أمريكا تجاه مصر ولو أن المســئولين الأمريكيين وضعــوا الديمقراطية في مصر شرطاً مســبقاً للأمن الأمريكي لاضطرت واشــنطن لتغيير سياساتها، مــن تقديم الدعم لحاكم ديكتاتور قبضته حديدية، إلى القبول بأن تكون السيادة في مصر للشعب، وليس للحاكم.

لكن استراتيجية بوش لم تؤد لمثل هذا التغيير الأساسي في السياسة الأمريكية تجــاه مصر ومبارك، ولم يكن في واشــنطن أحد من دعاة الديمقراطية من يريد المخاطرة بإســقاط مبارك، أو الســعي لإسقاطه، وكانت اســتطلاعات الرأي في مصر تؤكد دائماً رفض المصريين التام لأولويات السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وبخاصة الانحياز التام لإسرائيل بوجه سافر وبلا خجل!

وبدأت أمريكا تشـعر بالقلق تجاه من سـيأتي بعـد مبارك في قمة السـلطة في مصر، خاصـة بعد أن تعرض مبـارك لإغماءة قصيرة وهو يتحدث أمام مجلس الشـعب في القاهرة وبدأ المراقبون المصريون والأجانب يتحدثون ويتسـاءلون، إلى متى يمكـن أن يبقى مبارك في الحكم؟!

ترتيب الأوضاع

وفي هـذه الأجواء تعرض مبارك لضغـوط أمريكية جديدة تطالبه بإجراء إصلاحات سياسية وترتيب أوضاع مصر بما يضمن الاستقرار فيها، وبما يضمن استمرار التحالف المصري الأمريكي في مواجهة أي حوادث مفاجئة.

وهنـا توقف أنصار الديمقراطية في البيت الأبيض وقالوا أن مصر ليسـت شـيلي، ولا يمكننا الحديث هنا عن التخلص من مبارك باسم الديمقراطيـة، لأن ذلـك يمكـن أن يعرض مصالح أمريـكا للخطر، خاصة ما يتعلق بأمن إسـرائيل لكن العلاقات بين مبارك وبوش الإبن سـاءت إلى أبعد مدى بعد القمة الثلاثية الشهيرة في الاستراحة العائلية للرئيس الأمريكي في كراوفورد، بحضور رئيس الوزراء الإسرائيلي آريل شارون.

فقـد أكـد بوش أنه لا عـودة للاجئين الفلسـطينيين ولا مسـاس

بالمســتوطنات الإسرائيلية في الضفة وحول القدس، ولم ينس بوش أن يطالب مبارك بالانفتاح السياســي في مصر ودعم الديمقراطية كوسيلة من وسائل الحرب ضد الإرهاب!! وشعر مبارك أن الرئيس بوش الابن وجه إليه إهانة شخصية علناً وأمام كاميرات التليفزيون والصحافة.

وحين توقف مبارك في باريس، في رحلة العودة من واشنطن للقاهرة أدلى بتصريحات لصحيفة الفيجارو الفرنســية، أكد فيها أن مشــاعر الكراهية للأمريكيين تصاعدت في الشرق الأوسط كما لم يحدث من قبل بعد غزو العراق لأن الشعوب تشعر بالظلم، وما يثير المشاعر العربية أكثر أن أمريكا تترك شارون يتصرف ضد الفلسطينيين كيفما يشاء.

الامتناع عن زيارة واشنطن

وبعد هذه الزيارة امتنع مبارك عن القيام بزياراته الســنوية لواشنطن، وتردد أن حالة الخصام والجفاء بين بوش والابن ومبارك حدثت بسبب أجنــدة الحرية الأمريكية، لكن نبيل فهمي ســفير مصر في واشــنطن أكد أن الغزو الأمريكي لعراق كان أهم الأســباب ولم تتوقف الضغوط الأمريكية على مصر عند هذا الحد، وقد رفض المشير حسين طنطاوي وزير الدفاع محاولات البنتاجون تخصيص جزء من المعونة العســكرية الأمريكية لتزويد القوات المصرية بأسلحة خفيفة بدعوى مكافحة الشغب والإرهاب، وبذلك لا تحصل مصر على ما تحتاج إليه من أسلحة حديثة

ومعدات ثقيلة مثل طائرات إف-١٦ المتقدمة ودبابات «إم-١-إم١».

وذكرت السفارة الأمريكية في تقاريرها أن المشير طنطاوي يريد الحفاظ على سيادة مصر ضد أي تدخل خارجي، وحرص المشير طنطاوي على إيضاح أن القوات المسلحة المصرية تتحمل مسئوليات جسيمة، تشمل حماية مساحات واسعة من أراضي مصر وسواحل بحرية تمتد لآلاف الأميال على البحرين الأبيض والأحمر، بالإضافة لحماية الحدود وحماية قناة السويس.

وقال طنطاوي صراحة أن مصر لابد أن تحتفظ بنوع من التوازن الاستراتيجي مع إسرائيل، خاصة بعد أن أصبحت أمريكا تقدم لإسرائيل مساعدات عسكرية تزيد على ما تحصل عليه مصر مرتين ونصف، وتقضي اتفاقات كامب ديفيد بأن تحصل إسرائيل على مساعدات عسكرية أمريكية تزيد بنسبة ٥٠٪ فقط على ما تحصل عليه مصر.

صعود نجم جمال مبارك

في هذه الأجواء، ترددت أنباء حول وجود مشاعر بعدم الارتياح داخل القوات المسلحة تجاه احتمالات وصول جمال مبارك لمقعد الرئاسة خلفاً لأبيه، وذكر الكاتب الصحفي عبد الله السناوي أن المقربين من قيادات القوات المسلحة يؤكدون وجود نوع من الغضب الصامت حول صعود نجم جمال مبارك ورجال الأعمال المحيطين به.

وذات مرة تحدث عمر سـليمان، الرئيس الفذ لجهاز المخابرات مع المسئولين الأمريكيين وقال أنه يكره فكرة أن يصبح جمال مبارك رئيساً للجمهورية، ومع ذلك لم يتخذ المشـير طنطاوي أو اللواء عمر سليمان أية خطوات عملية لمنع صعود جمال مبارك، ولم يحدث انشقاق داخل القيادات العليا للدولة، ولم يكن هناك ما يوحي باحتمال حدوث أزمة لو قام الرئيس مبـارك بتنصيب ابنه جمال خلفاً له، لكن أحداث ثورة ٢٥ يناير سـبقت أفكار الجميع في واشنطن والقاهرة، وفاجأت الجميع في واشنطن والقاهرة وفي جميع أنحاء العالم.

ويبقى أن الولايات المتحدة أعظم.وأقوى إمبراطورية في تاريخ العالم، ولا أحد في العالم يسعى لصدام أو عداء مع مثل هذه القوة العظمى، لكن من الضروري الاجتهاد في الرؤى بالاستجابة لمتطلبات العصر الجديد في القرن الحادي والعشـرين بإقامة علاقات تعاون وصداقة صحية مع أمريـكا، تراعي مصالح مصر الوطنية في الحريـة والديمقراطية وفي التقدم والتنمية.

مصر وأمريكا.. تحالف ضد الديمقراطية

حدث تغيير شامل في إستراتيجية الأمن القومي لمصر بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣.. وبعد توقيع معاهدة السلام في مارس ١٩٧٩ وقيام الرئيس أنور السادات بتغيير تحالفاته الدولية، من الاتحاد السوفيتي السابق إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكان هذا انقلاباً رهيباً، يشبه الزلزال الرهيب في موازين القوى العالمية خلال الحرب الباردة.

كان الرئيس السادات شديد الوضوح مع نفسه، ومع كل من حوله وقام بتحديد أهدافه مبكراً في ضرورة تحرير الأرض المصرية المحتلة في سيناء مع توفير الاستثمارات اللازمة للتنمية والبناء في مصر ولابد من الاعتراف أن السادات نجح في تحقيق الهدف الأول وهو استعادة سيناء لكن وقائع وأحداث ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ تشهد وتؤكد أن الهدف الثاني لم يتحقق ومازالت مصر إلى اليوم تواجه مخاطر الفشل الاقتصادي.

فقد عادت سيناء للسيادة المصرية في إطار معاهدة السلام الدائم بين مصر وإسرائيل مع اتفاق استراتيجي بين الولايات المتحدة ومصر التي أصبحت جزءاً أساسياً من الخطة الإقليمية الأمريكية للأمن والاستقرار في الشرق الأوسط ومنطقة الخليج العربي ويعترف خبراء

معهد الدراســات الاســتراتيجية في لندن أن انقلاب مصر - السادات على الاتحاد الســوفيتي وانحيازها للولايــات المتحدة بعد ذلك كان من الأســباب الرئيسية لهزيمة الاتحاد السوفيتي في الحرب الباردة واختفائه التام من خريطة العالم بعد ذلك.

كانت دبلوماســية السادات شديدة الجرأة لم يراع فيها ظروف مصر الداخلية ولم يحاول إيجاد قاعدة للحوار الوطني الداخلي قبل الانطلاق بمصــر في الاتجاه المعاكس لما عاشــت عليه منذ ثــورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

ومع أن الســادات هو الذي أرسى أسس وقواعد التحول الديمقراطي في مصر منذ صياغة دســتور ١٩٧١ وحتى التحول إلى نظام سياسي متعدد الأحزاب إلا أنه أدرك ســريعاً أن دبلوماســيته الأمريكية الجديدة تتطلب ديكتاتورية مطلقة واستشــعر الأمريكيون بســهولة أن السادات يمســك بكل خيوط السياســة المصرية وأنه قادر على اتخاذ أي قرار سياسي يريده مهما كان الثمن ومهما كانت التضحيات.

وفي هذا الكتاب «منع الديمقراطية» أو سياسات التحالف بين مصر والولايات المتحدة يكشــف المؤلف جيسون براونلي أسرار العلاقات بين واشنطن والقاهرة في مرحلة فارقة من تاريخ مصر والشرق الأوسط بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ حتى انتهت الأحداث بالمشــهد التاريخي الرهيب للمظاهرات والثوار في ميدان التحرير في يناير ٢٠١١.

انقلاب السادات

وإذا كانت أحداث الثورة ضد نظام الرئيس حسني مبارك قد جعلت الدنيا بأسرها تقف على أطراف أصابعها، فإن الانقلاب الذي قاده الرئيس أنور السادات في مسرح السياسة الدولية بعد حرب أكتوبر قد أحدث هزة رهيبة في موازين القوى العالمية.

لاشك في أن الرئيس السادات نجح في استعادة سيناء وكان هذا هدفاً غالبياً للسادات ولمصر كلها لكن السلام الشامل بين العرب وإسرائيل لم يتحقق إلى اليوم ومازالت القدس والضفة الغربية ومرتفعات الجولان تحت الاحتلال الإسرائيلي.

لقد لجأ الرئيس السادات إلى مغامرة سياسية كبرى في التاريخ لتحقيق أهدافه واتبع دبلوماسية الصدمات وكان صانع القرار الأمريكي يلهث دائماً وراء خطوات السادات المتوالية وهناك في واشنطن وتل أبيب من كانوا يشعرون بالخوف أحياناً من السادات ويرون فيه رجل الدولة الذي لا يمكن التنبؤ بردود فعله، وربما لهذا السبب لم يعش السادات حتى يرى سيناء محررة.

لا وقت للحوار

لم يحرص السادات حتى على التوافق مع المقربين إليه في السلطة داخل مصر واختلف مع الكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل مبكراً جداً

منذ فبراير ١٩٧٤ وغضب منه إسماعيل فهمي وزير خارجيته في نوفمبر ١٩٧٧ واستقال محمد إبراهيم كامل وزير خارجيته الجديد أثناء مفاوضات كامب ديفيد ولم يحاول السادات التوصل إلى وفاق أو حتى حوار شعبي مع الرأي العام للحصول على الحد الأدنى اللازم لتأييد سياساته.

واتسع خيال السادات السياسي بما يكفي للقيام بسلسلة متواصلة من المبادرات الدبلوماسية تجاه الولايات المتحدة وإسرائيل لكن الغضب استبد بالسادات بعد توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل واضطر إلى اتخاذ إجراءات استثنائية قمعية ضد المعارضة وتوقف السادات طويلاً أمام حالة الانبهار التي عاشتها وسائل الإعلام والدعاية الدولية أمام زيارته التاريخية للقدس المحتلة لكنه لم يستوعب دواعي وأسباب الغضب الداخلي الذي يلاحق قراراته وسياساته.

لغز السادات

وفي النهاية تعرض الرئيس السادات للفشل بصورة مأساوية والحقيقة أنه فشل حتى في ممارسة القمع ضد معارضيه وفشلت المساعدات الأمريكية في إنقاذ اقتصاد مصر المتهاوي، ورغم ان السادات بالغ في الامتداد الدبلوماسي من أمريكا إلى أوروبا وكندا واستراليا إلا أن شعبيته في الداخل تدهورت كثيراً خاصة بعد اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ وانتهت تراجيديا صاحب قرار الحرب في أكتوبر ١٩٧٣ برصاصات الاغتيال

التي أنهت حياته فجأة في احتفالات عيد النصر والعبور ومازال اغتيال السادات لغزاً يبحث عن حل وربما تكشف الوثائق الأمريكية دور القوى الكبرى في قتل هذا الرجل اللغز لأن الســادات لغز سياسي كبير ايضاً ولا أحد يدري إلى اليوم سر القوة المحركة لعقل هذا الرجل.

وبعد اغتيال السادات تولى الرئيس حسني مبارك المسئولية من بعده حيث تعهد بمواصلة سياسات وتكتيكات السادات خاصة انحياز مصر الكامل للولايات المتحدة مع الاستمرار في قمع المعارضة الشعبية.

لقد اتبع الرئيســان السادات ومبارك سياسات خارجية ليس لها قبول شــعبي ولم تؤد إلى انتعــاش اقتصادي وتدهورت الأحوال المعيشــية لغالبية المصريين أبناء الطبقة الوســطى والفقيرة، ولولا تحرير ســيناء لكان حصاد هــذه الحقبة صفراً، لأن التحالف المصري الأمريكي كان دائماً لحســاب المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط وضد قيام نظام سياسي ديمقراطي في مصر.

شجاعة القرار

لكن هذا لا يعني تجاهل بعض انجازات السادات الرئيسية منذ تولي الرئاســة بعد جمال عبد الناصر في أواخر ١٩٧٠ فقد امتلك السادات شجاعة اتخاذ قرار الحرب في أكتوبر ١٩٧٣، ونجح في توقيع الاتفاق الأول للفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية في سيناء في ١٩٧٤.

والحقيقة أن السـادات نجـح بالحرب في الفـوز باهتمام الولايات المتحـدة ومنذ ١٩٧٤ وحتى توقيع معاهدة السـلام مع إسـرائيل في ١٩٧٩ غامر الرئيس السـادات برصيده السياسي كله من أجل الدخول فـي تحالف مركزي مع الولايات المتحدة الأمريكية مع ضمان التحرير الكامل للأراضي المصرية في سيناء.

قد يكون هناك من يتربص بالسـادات لحساب الأخطاء والخطايا، لكننا على أي حال لم نسـتطع الخروج على استراتيجية السادات طوال أكثر من ثلاثين عاماً هي عصر مبارك كله، وحتى بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.

إن الخروج على استراتيجية السادات ليس مطلوبا في حد ذاته، لكن كل الدول والشـعوب لجأت لوضع اسـتراتيجيات جديدة للأمن القومي في بدايات القرن الحادي والعشـرين وما فيه من مخاطر شديدة التعقيد وتحديات رهيبة.

بين الفن والعلم

ويقـول الأمريكيون إن وضع وصياغة اسـتراتيجية للأمن القومي تدخل في باب الفن ولا تدخل في بابا العلم لما فيها من استلهام لتاريخ الوطن البعيد والقريب ولما فيها من قراءة موضوعية للحاضر واستشراف للمستقبل ومخاطره وتحدياته.

من الطبيعي أن يشارك قادة الجيش وجنرالاته في صياغة استراتيجية الأمن القومي لكن الشخصيات المدنية البارزة وكبار الشخصيات الوطنية البارزة وكبار المسئولين في الدولة والحكومة لابد أن يكون لهم دورهم في الصياغة والمسئولية ولابد أن يتم كل ذلك في إطار الحجم الحقيقي لواقع الموازنة الوطنية في الحاضر والمستقبل مع الأخذ في الاعتبار احتمالات تعديل هذه الاستراتيجية حسب ما يستجد من مخاطر وأزمات.

إن استراتيجية السادات مازالت باقية مثل كتاب مفتوح كما أن كتاب ثورة ٢٥ يناير مازال مفتوحاً وربما لم تنته قصة الثورة بعد قد يكون منا من يكره السلام مع إسرائيل ولكن لا يوجد بيننا من يطالب بإلغاء المعاهدة لكن تحديات ومخاطر القرن الجديد تبدو أكبر من إسرائيل وربما كانت إسرائيل جزءاً مما يواجهنا من تحديات لكنها ليست كل ما يواجهنا من تحديات.

لقد اتجه الرئيس السادات نحو الليبرالية السياسية والاقتصادية وتعهد بفتح الأسواق المصرية أمام السلع والاستثمارات الأجنبية وتعهد بإنهاء عصر الحزب الواحد لكن هذه المرحلة انتهت بعد مظاهرة الخبز الشهيرة في ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ التي أحدثت هزة سياسية كبيرة لازمت الرئيس السادات حتى آخر لحظة من حياته.

وبعد أن نجح السادات في تحقيق معظم ما أراده حاول إقناع الشعب

المصري بأن حصاد السلام أصبح وشيكاً وبأن الرخاء على الأبواب لكن اتضح في النهاية أن السلام مع إسرائيل والتحالف مع أمريكا لم يؤد إلى الانتعاش الاقتصادي والرخاء وحدثت المواجهة الكبرى بين معارضي السادات وجهاز الأمن خاصة المتطرفين الإسلاميين الذين أخرجهم السادات من السجون وانتهت القصة بحادث الاغتيال الرهيب.

من عبد الناصر إلى السادات

ومن يسترجع البدايات الأولى للرئيس السادات حين تولى السلطة بعد الرئيس جمال عبد الناصر قد لا يتصور الآفاق البعيدة التي ذهب إليها فقد اشترك السادات مع تنظيم الضباط الأحرار بقيادة عبد الناصر في ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ التي أطاحت بالملك السابق فاروق وأقامت الجمهورية المصرية في ١٩٥٢.

في النظام الجديد كان السادات واحداً من الوجوه العديدة الموجودة في الصفوف الخلفية وراء زعيم الثورة جمال عبد الناصر، وقد اتسمت دبلوماسية عبد الناصر بالخشونة تجاه الولايات المتحدة والغرب لأنه كان يشعر بحساسية خاصة تجاه استقلال القرار الوطني لمصر وسيادتها الوطنية، ولذلك اشترك في حركة عدم الانحياز وكان واحداً من أقطابها ورفض بالفعل الانحياز للولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتي السابق وقام بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس في ١٩٥٦ ووقف بشجاعة

نادرة في وجه العدوان الثلاثي بقيادة بريطانيا وفرنسـا وإسرائيل وانتهت المعركة بفرض سيادة مصر على شريان قناة السويس الحيوي.

ربما كانت تجربة الوحدة مع سوريا في أكبر قصص الفشل السياسي فـي حياة عبد الناصر مع حـرب اليمن لكن عبـد الناصر لم يدخل في حالة قطيعة سياسـية مـع الولايات المتحدة مطلقـاً بل كان عبد الناصر وكبار مستشـاريه يحرصون على التشـاور الدائم مع الولايات المتحدة وربما ارتبط عبد الناصر بعلاقة خاصة من نوع ما مع الرئيس الأمريكي الشـاب كيندى وتبادل الزعيمان العديد من الرسائل المطولة التي غطـت الكثير من القضايا الإقليمية العربية والإسـرائيلية وحتى القضايا العالمية.

قصة المعونات

وحصلت مصر على مساعدات أمريكية وإن حدث ذلك بشكل متقطع لكن صانع القرار الأمريكي كان يسـعى من خلال تقديم المسـاعدات الغذائيـة لمصر إلى دفع جمال عبد الناصر إلى الاعتدال السياسـي وعدم الوقوف في وجه المصالح الأمريكية في الشـرق الأوسط والخليج العربي، بل إن الكونجرس والبيت الأبيض كانا مسـتعدين دائماً لتقديم الدعـم لعبد الناصر ما دام ذلك يؤدي لابتعاده عن الاتحاد السـوفيتي ودفعه إلى إجراء مباحثات مع إسرائيل.

كان عبد الناصر يرى أن المعونات الغذائية الأمريكية ومساعدات القمح توفر له المتنفس الاقتصادي الذي يساعده على توجيه موارد مصر لتنفيذ خطط التنمية والتقدم، بدون أن يعرض مصالح مصر أو استقلالها للخطر، وتوفى عبد الناصر بعد هزيمة ١٩٦٧ بثلاث سنوات متأثراً بأزمة قلبية لم تكن مفاجئة لكنها أدت إلى غيابه المبكر عن مسرح السياسة الوطنية والإقليمية والعالمية.

الصعود المفاجئ

وتولى أنور السادات الرئاسة من بعده من البداية نظر الجميع في الداخل والخارج إلى السادات باعتباره الرئيس المؤقت لمصر فلم تلتفت إليه إسرائيل ولم تعبأ به الولايات المتحدة وتجاهله هنري كيسنجر طويلا.

في المشهد الداخلي كانت الصورة تبعث على الدهشة الكاملة لأن قيادات الدولة وتنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي رأت في السادات واجهة سياسية، ورئيساً مؤقتاً صعدت به الظروف الاستثنائية للقمة بعد وفاة عبد الناصر المفاجئة كان هذا هو رأي علي صبري الأمين العام للاتحاد الاشتراكي وكل المقربين منه من رجال عبد الناصر حتى الفريق الأول محمد فوزي وزير الحربية.

قدم الناصريون الدعم للسادات في البداية باعتباره الرجل الضعيف الذي يمكنهم التلاعب به مثل عرائس الماريونيت.

لكن السادات فاجأ الجميع، الخصوم والأصدقاء، وأمسك بالفرصة التي أتيحت له وبدلاً من اللجوء إلى تصعيد المواجهة مع إسرائيل، اتجه السادات في الطريق المعاكس لسياسات عبد الناصر وتقدم بمبادرة غريبة للسلام، تضمنت الكثير من المبادئ التي طرحها موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلي قبل شهور، وبالطبع رفضت جولدا مائير مبادرة السادات وتجاهلت مقترحات ديان.

وقام السادات بإلغاء قوانين الإصلاح الزراعي وفي لحظة الحقيقة والصراع الحاد على السلطة في القاهرة تصور على صبري ورفاقه أنه يمكنهم الإطاحة بالسادات من خلال الاستقالة الجماعية في مايو ١٩٧١ لكن السادات أطاح بالجميع، واستعان برجال الصف الثاني في أجهزة الأمن والقوات المسلحة والشرطة واعتقل جميع معارضيه في ليلة واحدة.

دستور ٧١

وبعد أن اطمأن السادات إلى شرعية سلطته لم يتردد في السعي للفوز بثقة الرأي العام والشعب المصري كله وقام السادات بوضع دستور دائم جديد للبلاد في ١٩٧١ نص على حماية حريات الأفراد وضمان استقلال القضاء واحترام الملكيات الخاصة والعامة لكن السادات احتفظ لنفسه في هذا الدستور بسلطات واسعة وأجرى تعديلات جوهرية عليه

بعد توقيع معاهدة السـلام مع إسرائيل ضمنت له حق الترشح للرئاسة مرات لا محدودة.

وأضـاف مادة لأول مرة تنص على أن الشـريعة الإسـلامية هي المصدر الرئيسـي للتشريع ولم يمتد العمر بالرئيس السادات للاستفادة من هذه التعديلات التي اسـتفاد منه خليفتـه الذي انتقاه بيده، الرئيس حسـني مبارك لكن هذا الدسـتور الجديد نص علـى حق الرئيس في فرض قانون الطوارئ، لحماية الأمن القومي والوحدة الوطنية والسـلام الاجتماعي وكان قانون الطوارئ رقم ١٦٢ لعام ١٩٦٨ ينص على حق الرئيـس في إغلاق الصحف وفرض الرقابة عليها مع إجراء اعتقالات واسعة لفترات غير محدودة.

ورأى السـادات فـي مؤامرة من اسـماهم بمراكز القـوى إرتباطاً بالسوفيت، ولذلك سعى مبكراً للانتقال بمصر من التحالف مع السوفيت إلى التحالف مع أمريكا.

كان السـادات يتطلع إلى الخروج من الفلك السوفيتي سريعاً، ولذلك قام بإبلاغ الرئيس الأمريكي نيكسون في أوائل أبريل ١٩٧١ أنه حريص على التوصل إلى سـلام مع إسرائيل وبعد أن قام بالتوقيع على معاهدة للصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي قام بطرد أكثر من عشرة آلاف من الخبراء والمستشارين العسكريين السوفيت من مصر.

لا سلم ولا حرب

وساد في مصر إحساس شديد بالقلق خاصة بعد أن اكتشف المصريون أن أراضيهم في سيناء محتلة، وهم في حالة من اللاسلم واللاحرب مع إسرائيل ولم يجد صانع القرار في واشنطن ما يدفعه إلى تغيير الأمر الواقع.

واقتنع هنري كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون لشئون الأمن القومي أن الوضع القائم بين مصر وإسرائيل يبدو مثاليا للولايات المتحدة ومصالحها الإقليمية وقال إن الطريق المغلق في الشرق الأوسط من شأنه أن يدفع العرب إلى الاعتدال ويجعل السوفيت يستغرقون في هامش الحركة الدبلوماسية.

ورغم أن كيسنجر شعر بقيمة قرار السادات وطرد الخبراء السوفيت من مصر لكنه لم يقدم أي جائزة سياسية للسادات في المقابل وحين التقى كيسنجر مع اللواء حافظ إسماعيل مستشار السادات لشئون الأمن القومي في ١٩٧٢ عبر القنوات الدبلوماسية الخلفية بين القاهرة وواشنطن اتضح أن الخلاف السياسي بين السادات وكيسنجر أوسع مما يتصوره أحد.

عام الحسم

وكان السادات قد سبق وأعلن أن عام ١٩٧٢ هو عام الحسم سلماً

أو حرباً مع إســرائيل لكن العام انقضت أيامه دون أن تلوح في الأفق أي بادرة ســلام، وبدون أن يذهب الســادات للحرب وتقول السجلات الأمريكية أن إدارة نيكسون - كيسنجر استبعدت السادات باعتباره رئيس من الوزن الخفيف فقد ظلت قناة السويس مغلقة منذ عام ١٩٦٧ ولم تعد أمريكا تركز على مصر وأصبحــت تركز على إيران والمملكة العربية السعودية باعتبارهما من أعمدة الأمن الإقليمي في الخليج.

وفي القنوات الســرية كانت الولايات المتحدة تسعى لدفع السعودية للضغــط على الســادات وإقناعه بأن أزمة مصــر تكمن في ارتباطها بالاتحاد الســوفيتي وكانت أمريكا تريد فطم السادات عن ثدي السلاح السوفيتي وأن يمتنع عن الوقوف ضد إسرائيل.

وذكرت مذكرة لمجلس الأمن القومي الأمريكي في أوائل ١٩٧٢ أن أمريكا سوف تسعى لإيجاد الوسائل اللازمة لتطوير العلاقات مع مصر في إطار القيود التي يفرضها الصراع العربي الإسرائيلي.

وشعر السادات بالغضب وقال إن هذه القيود هي التي تعرقل التوصل إلى ســلام وفي النهاية لم يتردد السادات في تحدي كيسنجر ونبوءاته بفرض الاعتدال على مصر وانتقل الســادات بســرعة من الدبلوماسية إلى الحرب.

العبور العظيم

وتمكنت القوات المصرية من اختراق خط بارليف الإسرائيلي الحصين على الضفة الشرقية لقناة السويس وتوغلت داخل سيناء في تحد صارخ للاحتلال الإسـرائيلي وقامت القوات السورية بهجوم كاسح في الجولان وفوجئ الأمريكيون بالمخططات العسـكرية السرية التي نجح السادات وحافظ الأسد في إخفاءها على مدى شهور طويلة.

وبعد الحرب لم يتردد السادات في الاتجاه نحو الولايات المتحدة لبدء التفاوض من أجل السـلام وفي النهايـة حقق أهدافه بتوقيع أول اتفاق للسلام بين العرب وإسرائيل وارتبط بعلاقات تحالف وصداقة مع أمريكا، لم تخدم قضية التحول الديمقراطي في مصر ولم تسـاعد مصر على تحقيق قفزة تنموية مناسبة توفر فرص العمل اللازمة لجيوش العاطلين في مصر وذلك على مـدى أربعين عاماً هي قصة الارتباط المصري بالولايات المتحدة.

يعترف الأمريكيون بأهمية مصر في إطار استراتيجية الأمن الإقليمي في الشرق الأوسط والخليج العربي لأن ارتباط أمريكا بمصر بخدم أمن إسـرائيل ويخدم المصالح الأمريكية فـي منطقة الخليج، وإن جاء ذلك على حساب تحقيق الديمقراطية وصنع التنمية والتقدم في مصر ، خاصة أن القواعد والمبادئ التي أرساها السادات مع كيسنجر وكارتر استمرت طويلاً من بعده وطوال حكم الرئيس السـابق حسني مبارك وهذه قصة

أخرى مـــن قصص التحالف المصري الأمريكـــي المضاد للديمقراطية ولكن دبلوماسية الصدمات التي اتبعها السادات أذهلت كيسنجر وكارتر ولكنها لم تهز رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيجن.

أمريكا لم تشعر أبداً أن نظام مبارك يواجه أزمة!

دخلت كل الدول والشعوب تقريباً في عملية إعادة حسابات عميقة ودقيقة منذ بداية القرن الحادي والعشرين في أمريكا وأوروبا، يعيدون حساباتهم من خلال إعادة النظر في الموارد والموازنات، ومصادر القوة الكلية للدولة والشعب.

لكننا فوجئنا في مصر بأن الشعب نفسه هو الذي قرر منفرداً أن يعيد حساباته في الدولة ومؤسساتها، وتمثلت عملية إعادة النظر والحسابات في ثورة ٢٥ يناير وانفجاراتها وتجلياتها الرهيبة التي غيرت وجه الحياة في مصر لأجيال وأجيال قادمة.

إذن، هناك من يعيدون حساباتهم بالبحث والفحص والدرس، وهناك من يعيدون حساباتهم بالثورة، خاصة إذا تعطلت مؤسسات البحث والدرس والحساب، كما حدث في مصر على مدى أربعين عاماً سبقت ثورة يناير ٢٠١١، وتبدو أمواج الثورة المتوالية في مصر حتى الآن، عصية على الاستقرار، وتبدو رياح الثورة جامحة، ترفض أن تخضع لسيطرة أحد!!

والحقيقة أن تجربة الثورة أظهرت مدى الخلل الرهيب في البناء السياسي للدولة، وربما في نسيج الأمن القومي ذاته.

مازال الأداء الشامل لمؤسسات الدولة الاقتصادية والسياسية والأمنية عاجزاً عن الوفاء بالمتطلبات الأساسية للشعب والقوات المسلحة، ومازالت مؤسسات الدولة تعاني من قصور جوهري بما لا يعطي الفرصة لمصر كي تمارس دورها ونفوذها وقوتها بالكامل، داخلياً وإقليمياً وعالمياً.

ولذلك رأينا من يرون في الأحداث الأخيرة في مصر نوعاً من «حمي الربيع» العربي وليس ثورة الربيع العربي، وقالوا إن «حمى الربيع العربي» تكشف الجانب المظلم لثورات الربيع العربي، أو كشفت الوجه المخيف «للشيطان الذي لا نعرفه» في التقاليد السياسية للشعوب العربية لأن تيار الإسلام السياسي، السلفي والإخواني، يرفض الديمقراطية بالمقاييس الغربية، وتيارات شباب الثورة تبحث عن فرص الحياة المفقودة تماما في هذه المجتمعات، ويقول المراقبون في واشنطن صراحة أنها دورة الثورة والديكتاتورية في الشرق الأوسط منذ سقوط الإمبراطورية العثمانية في ١٩٢٣وحتى اليوم.

وفي الديكتاتورية وقمع الحريات، تشابهت كل النظم، الملكية والجمهورية والعسكرية والدينية، وكلهم يشكلون جبهة موحدة ضد الحريات!! باسم القانون يتم قتل الديمقراطية، وباسم الشريعة يتم تحريم الحريات وتموت كل قيم العدل والمساواة.

وبعد عامين من الثورة في مصر، مازال ميدان التحرير يفيض

بالغضب والانقسام، ومازالت جماهير الشباب والثورة تطالب بالديمقراطية المفقودة منذ فجر التاريخ في بلاد الفراعنة!!

وفي هذا الكتاب «منع الديمقراطية» يعود بنا البروفيسـور جيسون براونلـي إلى الوراء بعيداً، إلى أجـواء حرب أكتوبر ١٩٧٣ وما تلاها من أحداث تأخذ الأنفاس، فقد دخلت القوات المسـلحة في هذه الحرب وهـي مأخوذة بروح الفداء المقدس من أجل تحرير الأرض المحتلة في سيناء.

واتخـذ الرئيس السـادات من هذه الحرب وسـيلة لتحريك الموقف السياسـي، وتحرير الأراضي العربية المحتلة بالوسـائل الدبلوماسية، بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية ووزير خارجيتها النابه الدكتور هنري كيسنجر.

لكن مفاوضات السلام توقفت تماما بين مصر وإسرائيل بعد الاتفاق الثاني للفصل بين القوات في سـيناء، وذلك بعد غياب وزير الخارجية الأمريكية كيسـنجر عن ساحة العمل الدبلوماسي في واشنطن والشرق الأوسـط، بعد انتخابات الرئاسة الأمريكية التي فاز فيها الرئيس جيمي كارتـر عام١٩٧٦، وحدث تغيير في الوجوه داخل إسـرائيل أيضا في مايو ١٩٧٧، وذلك حين فاز مناحم بيجن زعيم تكتل الليكود الإسرائيلي بالأغلبية داخل الكنيسـت، وقام تشـكيل الحكومة الإسرائيلية الجديدة لأول مرة في تاريخ إسرائيل.

ولم يجد الســـادات ما يقوله حول هذه التغييرات الجديدة سوى أنه لا يوجد في إســـرائيل صقور وحمائم، بل يوجد في إسرائيل صقور وسوبر صقور، خاصة بعد أن تولى المتطرف الصهيوني بيجن رئاسة الحكومة الإسرائيلية الجديدة.

وتباينـــت الرؤى والمواقف كثيرا، ففي حيـــن كان الرئيس الأمريكي كارتر يرى أن الضفة الغربية تشكل جزءاً من الدولة الفلسطينية المستقلة التي يجب أن ترى النور في إطار الســـلام الشـــامل في المنطقة، كان رئيس وزراء إســـرائيل بيجـــن يرى أن الضفة الغربيـــة جزء من أرض إسرائيل.

وحين رفض الاتحاد السوفيتي الســـابق عقد مؤتمر جينيف للسلام من جديد قرر كارتر التعامل مع الرئيس السادات بشكل مباشر، ويؤكد البروفيسور جيســـون براونلي أن في قصة السلام بين مصر وإسرائيل تكمن الأســـباب الحقيقية لتقلبات وثورات الربيـــع العربي. قد لا يكون السلام من الأسباب المباشـــرة للثورة، لكن الشراكة المصرية الأمريكية هي التي ساهمت على المدى البعيد في توفير كل أسباب الثورة.

قد لا نكون في حاجة حاليا لإعادة النظر في الســـلام، لكننا بحاجة أكيدة لإعادة الحســـابات فيما ترتب على هذا الســـلام من آثار جانبية خطيـــرة، كانت مثل الســـموم القاتلة في جســـد المجتمـــع، وفي بنيان مؤسسات الدولة.

لقد كانت رسالة كارتر الشهير إلى الرئيس السادات هي التي غيرت وجه المعادلة الإقليمية في الشرق الأوسط. فقد قال كارتر للسادات: إن عملية السـلام قد وصلت إلى لحظة خطيرة، وأصبحنا بحاجة لمساعدة من الرئيس السـادات مـن أجل تحريك الموقف إلـى الأمام وضمان مشـاركة جميع الأطراف في مؤتمر جينيف الثاني للسـلام في الشرق الأوسـط ويقول براونلي أن هذه الرسالة حركت داخل الرئيس السادات غرامـه الدفين بالإجـراءات والخطوات الكبرى المفاجئـة، وبالفعل رد السـادات بأنه سـوف يدعو لعقد مؤتمر للسـلام في القدس العربية، لكن كارتر رفض الفكرة سـريعاً، لأنه كان يريد مشاركة سوريا والأردن وإسرائيل وروسيا في المؤتمر إلى جانب الولايات المتحدة، وفي التاسع من نوفمبر ١٩٧٧، أطلق السادات مبادرته التاريخية، وقال أمام مجلس الشعب في القاهرة أنه مستعد للذهاب إلى جينيف، بل ومستعد للذهاب إلـى آخر العالم حتـى لا يقتل أو يجرح جندي واحـد أو ضابط من جنودي في القوات المسـلحة، وأضاف سوف يدهش الإسرائيليون حين يسـمعونني الآن إنني مستعد للذهاب إلى عقر دارهم في الكنيست ذاته للحديث إليهم عن السلام والحاجة للسلام.

وكانت هذه خطوة اسـتفزازية كبري لم يجرؤ عليها زعيم عربي من قبل، فلم يسبق لزعيم عربي القيام بزيارة للقدس وهي تحت الاحتلال.

ولم يتردد مناحم بيجن رئيس الوزراء الإسـرائيلي في توجيه الدعوة

للسادات لزيارة القدس وإلقاء خطاب أمام الكنيست، وفي القاهرة قدم إسماعيل فهمي وزير الخارجية استقالته احتجاجا على انفراد السادات بهذا القرار المفاجئ الذي ليس له سبب منطقي أو دبلوماسي.

وتوجه هيرمان ايليتس السفير الأمريكي في القاهرة بسؤال مباشر للمشير محمد عبدالغني الجمسي وزير الحربية وقال له، هل يمكن أن تستقيل أنت أيضا مثل وزير الخارجية إسماعيل فهمي. فرد الجمسي بأنه يعتقد أن الرئيس السادات قد أخطأ تماما فيما يفعله، لكنني جندي، وسوف أقف إلى جانب السادات!

كانت التوقعات الأمريكية، تشير إلى احتمال انهيار حكومة السادات، لكن ذلك لم يحدث وانفرد إسماعيل فهمي بالاستقالة، وفي ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ توجه السادات بطائرته إلى القدس في رحلة استغرقت خمسين دقيقة، تغير بعدها وجه التاريخ في مصر والشرق الأوسط، ألقى السادات خطابه الشهير أمام الكنيست، حيث طالب بالانسحاب الإسرائيلي الشامل من الأراضي العربية المحتلة في سيناء والضفة الغربية والقدس والجولان، مع إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

وتوالت ردود الفعل الزاعقة في العالم العربي، حيث أجمع الزعماء العرب على إدانة زيارة السادات للقدس، واتفقوا جميعاً على قطع علاقاتهم مع مصر.

وبعد شهور طويلة من رحلة السادات للقدس لم يحدث أي تقدم

في عملية السـلام في الشرق الأوسـط، رغم أن السادات كان يتصور ببسـاطته المعهودة أن إسرائيل سوف ترد على زيارته بقبول السلام مع مصر والدول العربية وتعيد الأراضي التي احتلتها في عام١٩٦٧.

فلم تظهر على مناحم بيجن أي أعراض تؤكد انبهاره برحلة السادات للقدس، أو أن هذه الزيارة يمكن أن تدفعه لتقديم أية تنازلات حقيقية من أجل السلام.

وخلال قمة الإسـماعيلية مع الرئيس السـادات في أواخر ديسمبر ١٩٧٧، أعلن مناحم بيجن أن إسـرائيل تعتـرف بالحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب، لكنه أصر على الاحتفاظ بالمستوطنات الإسرائيلية في سيناء، مع الاحتفاظ بالاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية والقدس والجولان وغزة.

وهنا شـعر الرئيس السـادات أنه يواجه مأزقـاً خطيراً، لأن رفض إسرائيل للانسـحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة يعني أنه يسعى لإبرام اتفاق سـلام منفرد بين مصر وإسـرائيل وحيـن أفصح الرئيس السـادات عن مخاوفه وغضبه للرئيس الأمريكـي كارتر، نصحه بألا ينتقد مناحم بيجن علناً وتعهد بمحاولة تقليص فجوة الخلافات الجوهرية بين مصر وإسرائيل.

كان واضحاً أن مفاوضات السـلام المصرية الإسرائيلية قد أصيبت بالجمود، لكن العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر دخلت رحلة جديدة

من التعاون الثنائي، لدرجـــة أن الرئيس كارتر وافق على قيام مصانع الطائـــرات البريطانيـــة بتوفير الصيانة اللازمة لطائـــرات الميج- ٢١ المصرية، وتصنيع قطع الغيار اللازمة لها، بعد أن فرض الســـوفييت حظراً على تصدير الســـلاح لمصر ورفضوا تقديم قطع الغيار اللازمة للطائرات والأسلحة المصرية. ودفعت أمريكا تكاليف عملية الصيانة.

ووافق كارتر أيضا على تزويد مصر بـ١٤ طائرة نقل عسكرية طراز «ســـي- ١٣٠»، كما فتحت المعاهد العســـكرية الأمريكية أبوابها أمام الضباط المصريين للتدريب والتعليم بدءا من ١٩٧٨.

وطلب الســـادات الحصـــول على طائرات أمريكيـــة جديدة بدعوى مواجهة التوغل الســـوفيتي في القرن الإفريقي، لكن الفكرة بدت خيالية للمسئولين الأمريكية في البنتاجون.

وتراجعت شـــعبية الســـادات داخل مصر وتعرض لانتقادات حادة خاصة بعد قيام القوات الإســـرائيلية بغزو جنـــوب لبنان، مما اضطر الرئيس الســـادات إلى اتخاذ إجراءات قمعية ضـــد أحزاب المعارضة، وأغلـــق صحفها، بل وطرد ممثلي أحـــزاب المعارضة من البرلمان في واشنطن، انتقدت الخارجية الأمريكية الرئيس السادات واتهمته بالانقلاب على الديمقراطية، وبدأ الرئيس السادات يفقد أعصابه لأن مبادرة زيارته للقدس كادت تتبخر ولم تأت بالنتائج التي يتمناها..

في هذه اللحظة الفارقة قام الرئيس الأمريكي كارتر بمبادرته الشهيرة لعقد قمة ثلاثية في كامب ديفيد مع كل من الرئيس السادات ومناحم بيجن.

من البداية شعر كارتر أنه يقوم بمغامرة خطيرة قد تؤثر بالسلب على مستقبله السياسي وعلى فرصه في إعادة انتخابه لفترة رئاسة ثانية، كما أن الفشل في كامب ديفيد قد يكون كارثة على كل فرص السلام. ومن البداية انشغل المفاوضون المصريون والإسرائيليون في وضع إطار للسلام في الشرق الأوسط، بدلاً من التوصل إلى سلام شامل في الشرق الأوسط، وكان الفارق رهيباً.

وانصب جدول الأعمال في كامب ديفيد على صياغة اتفاق للسلام بين مصر وإسرائيل، وبدا واضحاً أن السادات مستعد للقبول بتسويات وحلول لا يقبل بها الرأي العام في مصر، بل ويرفضها أعضاء الوفد المرافق للسادات.

وأجاد كارتر اللعبة تماماً بعد أن اكتشف أن الرئيس السادات لديه استعداد خاص لاتخاذ قرارات منفردة في مواجهة الرأي العام، ورأى كارتر في ذلك فرصة للتوصل إلى اتفاق للسلام. ومن الغريب أن الرئيس السادات كان يتصور ببساطته الدبلوماسية أنه يتآمر مع كارتر ضد مناحم بيجن!!

فقد تعامل السادات مع كارتر باعتباره الصديق المقرب الذي يمكن

أن يبوح له بكل الأســرار والأوراق. ويذكر كارتر أن السادات كان يثق به لدرجة كبيرة جداً جداً، في حين أن ثقة بيجن فيه لم تكن كافية على الإطلاق، كان السادات يتمتع بحرية واسعة في الفعل واتخاذ القرار، لم يكن يعبأ بالمعارضة في الداخل أو حتى بالمعارضة بين أعضاء الوفد المرافق له، فقد كان السادات يعزل نفسه داخل الاستراحة المخصصة له في كامب ديفيد، ويترك العمل الميداني الدبلوماسي والتفاوض لأعضاء الوفد المرافق له، رغم أنه لا يعبأ باعتراضاتهم أو بردود أفعالهم!!

وفي النهاية اتضح أن الفجوة هائلة بين السادات وبيجن، مما اضطر كارتر للحديث بصراحة إلى الرئيس السادات وقال له إنني أعتمد عليك يا صديقي العزيز في اتخاذ قرارات غير شعبية قد لا ترضي الرأي العام لديك، لأن البديل الوحيد لفشــلنا هنا في كامب ديفيد، يهدد المســتقبل السياسي لصديقك كارتر، وينهي كل آمال السلام.

وقــال كارتر لوزير الخارجيــة المصري محمــد إبراهيم كامل قبل ســاعات من إعلان اســتقالته، أننا يمكن أن نتفــاوض فيما بعد حول القدس والضفة الغربية والجــولان، لكن مصر يجب أن تنتهز الفرصة لإنهاء صراعها مع إســرائيل، بما يســاعدنا في النهاية على التصدي للنفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط وأفريقيا!!

ورد إبراهيم كامل بحســم على كارتر وقال له سيدي الرئيس إننا هنا لنتوصل إلى ســلام شامل بين العرب وإســرائيل وليس للتصدي للنفوذ

السوفيتي، وأبدى وزير خارجية مصر مخاوفه العميقة من احتمالات أن تصبح الشراكة بين مصر وأمريكا أهم من استعادة الأراضي العربية التي تحتلها إسرائيل، وقال إن السادات يتجه بذلك إلى تبديد منجزات مصر العسكرية في حرب أكتوبر.

وللحظة ما أوشك السادات على الانصياع لنصائح وزير خارجيته محمد إبراهيم كامل، لولا أن كارتر حذره مرة أخرى من أن الفشل في كامب ديفيد يقضي على مستقبله السياسي وعلى مستقبل السلام، ويغلق كل فرص قيام شراكة تحالف استراتيجي بين مصر وأمريكا.

ويذكر زيجنيو برنجيسكي مستشار كارتر لشئون الأمن القومي، أن السادات وجد نفسه تحت ضغط رهيب، ولم يبق أمامه سوى الموافقة على أي شيء يمكن أن توافق عليه إسرائيل، وقال السادات لأعضاء الوفد المرافق له أنه مستعد للتوقيع على أي ورقة يقدمها له كارتر حتى بدون أن يقرأها!!

وتسارع إيقاع الأحداث بعد توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، وتصاعدت المعارضة الداخلية في مصر ضد الرئيس السادات، الذي تمكن من إسكات أصوات كل معارضيه، لكنه فشل في قمع المعارضة المسلحة لجماعة الإخوان وللجماعات الإسلامية، وانتهت القصة بمأساة اغتيال الرئيس السادات، وهي جريمة لا شك هزت قلب مصر في لحظة درامية خطيرة من تاريخها.

ولم تنس مصر إلى اليوم مشهد طلقات الرصاص التي استقرت في صدر صانع قرار الحرب في أكتوبر ١٩٧٣، فلقد تمكن السادات من تغيير مسار التاريخ بقراراته، لكن الرصاصات التي اغتالته كتبت قصة أخرى لتاريخ مصر.

فقد بدأ عصر مبارك بعد وفاة السادات مباشرة، وقد رحب المصريون فعلا بتغيير القيادة وانتقال السلطة للرئيس حسني مبارك، فقد رأى المصريون في وجه مبارك نوعا جديداً من القيادة، باعتباره الجنرال الفذ الذي نجح في توجيه ضربة موجعة لإسرائيل في افتتاحية الحرب والنصر في أكتوبر ١٩٧٣. وأدرك الأمريكيون بعد اغتيال السادات أن هناك حدوداً لما يمكن أن يتخذه أي رئيس في مصر من قرارات، خاصة بعد التغيير المفاجئ في القيادة، باغتيال السادات، ومن البداية اتبع مبارك سياسة خارجية شديدة الحذر، واتجه للتعاون مع الولايات المتحدة، واحتفظ باتصالاته مع إسرائيل ومد يده للتعاون مع الدول العربية، وحرص على ألا يتجاهل مشاعر الرأي العام في مصر.

لكن نظام مبارك دخل في أزمات اقتصادية وسياسية متوالية بسبب نقص الموارد من جهة، وبسبب الضغوط التي فرضتها عليها دواعي وأسباب التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة.. بدءاً من الحرب في أفغانستان وحتى حرب تحرير الكويت وغزو العراق وأفغانستان، كانت

الاستراتيجية الأمريكية في العالم العربي غليظة الدواعي والمتطلبات، وكانت احتياجات مصر للدعم والمساعدات الأمريكية شديدة الوطأة وصعبة الحسابات.

وتصاعدت الأزمات التي تواجه مصر بدءا من القرن الجديد، رغم أن رجال مبارك لم يكن لديهم إحساس حقيقي بالأزمة، كما أن تقارير السفارة الأمريكية كانت تستبعد دائما حدوث تغيير في القيادة في مصر، سواء باستخدام العنف، أو بالغضب الجماهيري.

وذات مرة أكدت تقارير السفارة الأمريكية أن مشاعر الغضب تتزايد لدى المصريين، لكن غالبية المصريين يفضلون الشكوى، على القيام بعمل حقيقي لمعارضة الرئيس مبارك، فلا توجد أدلة تؤكد أن أحداً لديه أية خطة لمعارضة مبارك وابنه جمال، حتى بعد الانتخابات التشريعية الباطلة في عام ٢٠١٠، وقالت التقارير الأمريكية، لا يوجد حماس ثوري في الشارع المصري، وقيادات المعارضة ليس لها مؤيدون لدى جماهير الشعب، بل لا يوجد من يطالب بتغيير سياسي أو من ينادي بالعنف من أجل التغيير وبالغت التقارير الأمريكية في الإحساس بالطمأنينة تجاه احتمالات التغيير في مصر وقالت إن سياسة الإصلاح الاقتصادي في مصر تبدو ناجحة، رغم أن ٤٠٪ من السكان من الفقراء.

واطمأن البيت الأبيض للتقارير الواردة من القاهرة وقالوا في واشنطن

أن مصر تبدو مستقرة بما يكفي، لدرجة أنها لم تعد بحاجة لمساعدات أمريكية إضافية، مع أن الحقائق القائمة على الأرض كانت تؤكد أن جورج دبليو بوش ضاعف من متاعب مصر الاقتصادية بعد أن اقتطع ٥٠٪ من المساعدات المدنية لمصر بما جعلها لا تزيد على ٢٠٠ مليون دولار، في حين أن مصر كانت تدفع لأمريكا مبلغ ٣٥٠ مليون دولار سنويا من أقساط ديونها للولايات المتحدة!!

وجاء انفجار كنيسة القديسين بالإسكندرية في الساعة الأولي من عام ٢٠١١، ليكون بمثابة الإنذار الرهيب الذي سبق عاصفة الثورة بعد ٢٥ يوما فقط، بعد أن ابتعدت مصر كثيراً كثيراً عن أولويات المصالح الوطنية.. اعتمدت تماماً على المساعدات الأمريكية، وكان الثمن باهظا، وهذه قصة أخرى.

الباب الخامس:

- **الفصل الأول:** خطة التصفية الهادئة لثورة ٢٥ يناير!
- **الفصل الثاني:** ٦٠ عاماً من الثورة والتمرد.. في مصر
- **الفصل الثالث:** ثورة يناير.. ليست الأخيرة في مصر!
- **الفصل الرابع:** الأمن القومي.. مأزق الوطنية المرصية الكبير!

خطة التصفية الهادئة لثورة ٢٥ يناير!

لم ينته الصراع في مصر بعد، أو لم ينته الصراع على مصر بعد، رغم مرور أكثر من عامين على ثورة ٢٥ يناير وقد بلغ الصراع على مصر ذروته في أيام الثورة الأولي، حتى تم إسقاط النظام السابق، الذي فشل في الدفاع عن نفسه ووجوده في مواجهة شباب وثوار فرضوا إرادتهم على الجميع، خاصة حين قدمت لهم القوات المسلحة الدعم والتأييد والحماية.

وتؤكد كل الشواهد والأدلة أن الصراع على مصر أكبر من أن ينتهي في جولة واحدة، حتى لو كانت ثورة كبري، فمازال الصراع مفتوحا على مصر، باعتبارها الجائزة الكبرى التي تسعى مختلف القوى الوطنية للفوز والانفراد بها، ويبدو واضحا أن القوة الأعظم في هذا العصر، أمريكا، ليست بعيدة عن الصراع على مصر، بل إنها تتواجد بقوة في هذا الصراع بشتى الوسائل الخفية والظاهرة.

ويعترف الأمريكيون بأن مصر هي الجائزة الكبرى للصراع العالمي للسيطرة والنفوذ في الشرق الأوسط.

لم يتم حسم مصير الثورة في مصر بعد، لم يستسلم صناع الثورة بعد لوجودهم خارج السلطة، ومازالت الأعراض التراجيدية للثورة قائمة

في مصر، مــازال الصراع مفتوحاً على الثورة وعلى مصر، ولا يمكننا التنبــؤ بنتيجة هذا الصراع القائم والقادم، مازالت للثورة قصة أخرى في وادي النيل. فمازالت أعراض الدولة الفاشــلة تطارد مصر والمصريين فقد تغيرت الوجوه في السلطة العليا للدولة، وذهبت وجوه قديمة، وجاءت وجــوه جديدة، وقيادات جديدة، ومازال النظــام كما هو لم يتغير. وفي كتاب «الجنود والجواسيس ورجال الدولة للبروفيسور حازم قنديل «والذي صدر مؤخراً في واشــنطن يستعرض قصة مصر الطويلة على طريق الثورة، منذ ليلة الثالث والعشــرين من يوليو ١٩٥٢ حتى ثورة ٢٥يناير أنها قصة ٦٠ عاماً من الثورة والتمرد على ضفاف النيل.

تعيش مصر حاليا فــي نظام الـ١٠٪ الذين يملكون كل الثروة وكل أســباب الحياة والرفاهية، الذين يذهــب أطفالهم إلى المدارس الخاصة ذات المصروفــات المبالغ فيها، والذين يتلقــون العلاج في الخارج أو المستشفيات الراقية، ويحصلون على احتياجاتهم اليومية من أكبر مراكز التسوق في الشرق الأوسط.

في المقابل تحولت الملايين والأغلبية الســاحقة من المصريين إلى جيــوش هائلة من الفقــراء الذين لم يعد لهم دور في الحياة ســوى دور المتفرجين الذين يرون حياة الرفاهية ولا يعرفونها هكذا تحولت مصر إلى دولة فاشلة في نظر الشعب وحتى القوانين مازالت تصدر لصالح الأغنياء، أو هي تصدر ليكسرها الأغنياء ويدوسونها بأقدامهم، وأموالهم.

فالضرائـــب، لا يدفعها إلا الفقراء ومحـــدودو الدخل، ويتهرب منها الأغنياء وأصحاب الملايين.

تصفية هادئة

وتوافد على القاهرة كبار رجال المخابرات المركزية الأمريكية وكبار جنـــرالات الجيش الأمريكي، حيث طالبوا دائمـــا بضرورة عودة الحياة إلى طبيعتها في مصر بأســـرع ما يمكن وعلى مدى شهور طويلة بعد الإطاحة بمبارك، تحول ميدان التحرير إلى ما يشبه السجن الكبير، لكن في الهواء الطلق، ســـجن كبير للثوار الذين ينتشرون في كل شبر من الميدان، بدون أن يهتم بهم أحد وكان المطلوب أن تعود الحياة لطبيعتها في مصر خارج الميدان، كان المطلوب أن يتلاشى ويتبدد بخار الثورة مـــن الميدان، وكان من المحتم أن يحدث ذلك، حتى يبقى النظام قائما بدون تغيير. ويتوقف البروفيسور حازم قنديل أمام تفاصيل قصة الثورة في مصر منـــذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحتى ٢٥ يناير ٢٠١١ ويقول إنها قصة واحدة لمصر على طريق الثـــورة الطويل والمرهق. وقد لا تكون هناك مفاجأة في أن نكتشـــف من أوراق ووثائـــق المخابرات المركزية الأمريكية أن مصر احتلت مكانا بارزا في استراتيجية الولايات المتحدة منذ أواخر الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم.

البحث عن أتاتورك

فقـد توجه كيرميـت روزفيلت رئيس عمليـات المخابرات المركزية الأمريكية في الشـرق الأوسط إلى القاهرة في فبراير ١٩٥٢ بعد شهر واحد من حريق القاهرة وقبل خمسة أشهر فقط من ثورة يوليو ١٩٥٢ في محاولـة أمريكية للبحث عن أتاتورك مصر، يقود ثورة التحديث والتقدم في مصر، ويبتعد بها عن شبح الشـيوعية، وتعددت زيارات روزفيلت لمصر منذ ١٩٤٤ وحتـى ١٩٥٠ حين قدم خبراته لوزارة الداخلية في مصر في مجالات مكافحة الشيوعية.

وخلال هـذه الزيارات تمكن كيرميت روزفيلـت من الاتصال بعدد مـن ضباط الجيش في مصر، وأقـام برنامجاً لتدريب صغار الضباط المصرييـن في أمريـكا تحت قيادة المخابـرات المركزية، ومن المثير للدهشـة أن سـتة من الضباط الأحرار الـ١٥ الذين قامـوا بثورة ٢٣ يوليو كانوا من الضباط الفائزين بمنح التدريب العسـكري في الولايات المتحدة.

وكان من بين هؤلاء ضابط الطيران على صبري، الذي كان ضابط الاتصال بين تنظيم الضباط الأحرار بقيادة جمال عبدالناصر والسفارة الأمريكية بالقاهرة.

وجرى الاتفاق خلال هذه الاجتماعات على ضرورة إقناع القوات البريطانية في مصر بعدم التدخل ومنع تكرار مأساة ١٨٨٢ مع ثورة عرابي.

التقـــى كيرميت روزفيلت بعــدد كبير من ضباط الجيش في مصر في المقابل تعهد الضباط المصريون بتحديث اقتصاد بلادهم والتصدي للحركة الشيوعية وقبل ثورة ٢٣ يوليو بثلاثة أيام فقط طلب عبدالناصر من علي صبري إبلاغ الملحق العسكري الأمريكي بالقاهرة ديفيد إيفانز بـــأن الانقلاب على الملك على وشـــك الحدوث وأنه لن يتم المســـاس بالمصالح الأمريكية.

الصفقة الأمريكية

وبالفعل قامت الولايات المتحدة بتنفيذ الجزء الخاص بها من الصفقة وطالبت الملك الســـابق فاروق بالاستســـلام لمطالب الضباط الأحرار ورحب الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفيلت بالانقلاب في القاهرة وحذر بريطانيا مـــن التدخل ضد قادة الانقلاب وبالغ الســـفير الأمريكي في القاهرة في الترحيب بالثوار الجدد في القاهرة وقال إنهم «أولادي»!!.

وحرص جمال عبدالناصر على التأمين الكامل للثورة ولذلك توســـع فـــي اتصالاته بالأمريكيين، وطلـــب من المخابـــرات الأمريكية تقديم المعاونـــة في تحديـــث وزارة الداخلية وتزامنت رســـالة عبدالناصر مع تقاريـــر وردت للمخابرات الأمريكية تحذر مـــن احتمالات قيام القوات الإنجليزية في منطقة قناة السويس بإعادة احتلال القاهرة والإسكندرية، وذكر التقرير أن مثل هذه العملية يمكن أن تؤدي إلى مواجهات عنيفة

قد تنتهي بسيطرة الشيوعيين على السلطة في مصر هكذا استجابت المخابرات المركزية بسرعة لطلب عبدالناصر وقام كيرميت روزفيلت بوضع الخطوط العريضة للتعاون بين أمريكا وقادة النظام الجديد في القاهرة.

الإصلاح الزراعي

وتوازى مع هذا الخيط الأمني اجتماعات أخرى انعقدت بين جمال عبدالناصر وكبار المسئولين الأمريكيين لمناقشة خطط الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي في مصر.

وذكر خالد محيي الدين صديق جمال عبدالناصر في تنظيم الضباط الأحرار، أن الأمريكيين كانوا يطالبون في هذه الاجتماعات بسرعة إصدار وتطبيق قانون الإصلاح الزراعي وتحديد الملكية الزراعية على اعتبار أن توزيع الأرض على الفلاحين المعدمين هو حائط الصد الوحيد المضاد للشيوعية وبالفعل صدر قانون الإصلاح الزراعي خلال الأسابيع الأولى للثورة، وتغيرت موازين القوى الاجتماعية والاقتصادية في مصر خلال الأيام الأولي لثورة يوليو ١٩٥٢.

وفي المقابل طلب جمال عبدالناصر من الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفيلت إقناع الإنجليز بجلاء قواتهم من مصر وإخلاء قاعدة قناة السويس.

وبعـــد إعلان الجمهورية فـــي مصر في يونيـــو ١٩٥٣ قام جون فوســـتر دالاس وزير الخارجية الأمريكي بزيـــارة مصر، وخلال الزيارة أدرك دالاس بسرعة مدى سيطرة عبدالناصر على النظام الجديد وكان الأمريكيون يثقون في عبدالناصر، رغم أنه لم يكن عميلا لهم، فقد اقتنع الأمريكيون بأن عبدالناصر يرفض الاحتلال البريطاني لبلاده، وأمريكا أيضا لا تؤيد بقاء الإنجليز في مصر، لأنها ببســـاطة كانت تحلم بأن تحل محل الإنجليز في مصر، ولكن بدون احتلال!! وهو ما لم يتحقق لأمريكا إلا بعد رحيل عبدالناصر!!

مع عبدالناصر ضد نجيب

كان واضحاً أمام الأمريكيين من البداية أن اللواء محمد نجيب ليس إلا رجلاً في واجهة الثـــورة، ويبدو أنه كانت لدى المخابرات الأمريكية أسباب أخرى لدعم وتأييد جمال عبدالناصر ففي بدايات الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد الســـوفيتي الســـابق اقتنعت الولايات المتحدة بأن الاعتماد على العســـكريين أفضل من الاعتمـــاد على المدنيين وكانت واشنطن تشعر بالقلق البالغ من تعهد محمد نجيب بإقامة نظام ديمقراطي في مصر، خاصة بعد أن تحالف سراً مع تنظيم الإخوان المسلمين.

ذكـــرت الوثائق الأمريكية أن الولايات المتحدة كانت ترى أن إعطاء السلطة للمدنيين من شـــأنه أن يؤدي لارتفاع الأسعار وزيادة التضخم

وهروب رءوس الأموال وانتشار الفوضى الاجتماعية وكل ذلك يمكن أن يستغله الشيوعيون ولذلك كان من الضروري في مصر أن يتم الحفاظ على الأمن والنظام وإبعاد شبح الفوضى لأن هذه هي القضية الأساسية وهنا لا يهم ما إذا كانت الحكومة القائمة في مصر ديكتاتورية أم نيابية أو حتى دستورية؟! فالحكومات المدنية في العالم الثالث تكون عادة غير مستقرة وضعيفة في حين أن حكومة العسكريين تكون مستقرة وقادرة على توفير الأمن اللازم لتحقيق التنمية الاقتصادية من هنا جاء تأييد الولايات المتحدة لجمال عبدالناصر ورفاقه في تنظيم الضباط الأحرار.

نظام عبدالناصر

في النهاية تمكن عبدالناصر من إقامة نظام سياسي جديد يؤيده الشعب ويحرسه الجيش، إنه النظام الشعبي الجديد الذي أتاح لعبدالناصر الفرصة للحكم باسم الشعب ومصالح الشعب.

ويفرض السؤال نفسه، كيف تحولت سياسة الولايات المتحدة من تأييد عبدالناصر إلى عداء عبدالناصر، والسعي للإطاحة به والتخلص منه بشتي الوسائل؟!

لقد بدأت قصة العداء الأمريكي لعبد الناصر بالحكاية المعروفة لرغبة عبدالناصر في الحصول على أسلحة أمريكية حديثة لإعادة بناء

القوات المســلحة المصرية بعد الثورة، وبالفعل تقول وثائق المخابرات الأمريكيــة إن جمال عبدالناصر وعبدالحكيــم عامر حضرا لقاء مهما مــع رجل المخابرات الأمريكي الشــهير مايلز كوبلاند واثنين من كبار جنرالات الجيش الأمريكي في شقة حسن التهامي أحد الضباط الأحرار وفــي هذا اللقاء جري الاتفاق على تزويد مصر بصفقة من الأســلحة الأمريكيــة قيمتها ٢٠ مليون دولار بتســهيلات أمريكيــة، لكن أمريكا أعلنت في الشهر التالي عن صفقة مساعدات اقتصادية لمصر قيمتها ٤٠ مليون دولار، كمــا حصل عبدالناصر على مبلغ ٣ ملايين دولار من تحت المنضدة، كانت هي الرشوة الشهيرة التي أقام بها عبدالناصر برج الجزيرة وســط القاهرة ليكون شاهداً على حماقة السياسة الأمريكية تجــاه مصر، ولم يتردد عبدالناصر في تحذيــر كيرميت روزفيلت في منتصــف ســبتمبر ١٩٥٥ بأنه إذا لم تتم صفقة الأســلحة الأمريكية لمصر فإن مصر يمكن أن تحصل على ما تريد من سلاح من روسيا السوفيتية، ولم يصدق الأمريكيون ذلك.

الحلف مقابل السلاح

وقــال كيرميت روزفيلت إن الاتحاد الســوفيتي يرفض تزويد النظم الوطنية في العالم الثالث بالســلاح لأن النظام الســتاليني في موسكو ينظر لقادة العالم الثالث بالكثير من الشك الذي يصل إلى حد الاحتقار

ولذلك استبعدت أمريكا أن توافق روسيا على تزويد مصر- عبدالناصر بالسلاح ومارست الولايات المتحدة ضغوطا هائلة على عبدالناصر لإقناعه بالدخول بمصر عضواً في حلف بغداد مقابل الحصول على السلاح الأمريكي وكانت اتفاقية الحلف تقضي بضرورة السماح للقوات الأمريكية والبريطانية باستخدام أراضي وقواعد الدول العربية أعضاء الحلف لمواجهة خطر التغلغل الشيوعي في الشرق الأوسط! وحين رفض عبدالناصر الانضمام لحلف بغداد ردت أمريكا على ذلك بتشجيع إسرائيل على توجيه ضربات عسكرية مفاجئة للقوات المصرية في غزة التي تعرضت لخسائر جسيمة في الأرواح.

وهنا لم يتردد عبدالناصر في التوقيع على صفقة الأسلحة التشيكية الشهيرة التي بمقتضاها وافق الاتحاد السوفيتي السابق على تزويد مصر بـ ٢٠٠ طائرة مقاتلة وقاذفة قنابل و ٢٣٠ دبابة و ٥٠٠ قطعة مدفعية و ٧٥٠ عربة مدرعة وقوة بحرية كبرى تتكون من ثلاث غواصات وحفنة من المدمرات وكاسحات الألغام وقال عبدالناصر إن على الغرب ألا يلوم إلا نفسه لأننا طلبنا السلاح من الإنجليز والفرنسيين والأمريكيين ورفضوا جميعا تزويد مصر بالسلاح بدون شروط تهدم استقلال مصر وكبرياءها الوطني بعد الثورة وبالطبع كانت الصدمة رهيبة في واشنطن ولندن وإسرائيل.

التحدي والعداء

وردت واشنطن على ذلك بإلغاء خطة تزويد مصر بالسلاح وسحبت عرضها الشهير بتمويل بناء السد العالي الذي كان يعتمد عليه عبدالناصر كثيراً في تحقيق قفزة تنموية كبرى في مصر. هكذا، تصاعدت لعبة التحدي الكبرى بين عبدالناصر والولايات المتحدة وفي يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ألقى عبدالناصر خطابه الشهير في ميدان المنشية بالإسكندرية حيث أعلن تأميم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية شركة مساهمة مصرية.

وأحدث قرار التأميم صدمة كبرى في لندن وباريس، ومن قبل شعرت إسرائيل بقلق بالغ بسبب صفقة الأسلحة التشيكية التي هددت توازن القوى بين مصر وإسرائيل.

وبسرعة جرى التخطيط للعدوان الثلاثي على مصر باتفاق بريطانيا وفرنسا وإسرائيل.

الهجوم على مصر بألف طائرة

ورغم أن إسرائيل هي التي بدأت الحرب وتوغلت بقواتها في سيناء إلا أن بريطانيا وفرنسا قامتا بحشد قوات هائلة ضد مصر التي تعرضت لهجوم وحشي من ألف طائرة بريطانية وفرنسية و ١٣٠ سفينة حربية

من الأسطولين الفرنسي والبريطاني وكانت عملية الإنزال البحري لقوات العدوان في بورسعيد رهيبة وليس لها مثيل إلا عملية نورماندي على الشواطئ الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية.

اهتزت القيادة المصرية بعنف وارتفعت أصوات من الضباط الأحرار رفاق عبدالناصر تطالبه بالاستسلام وتسليم نفسه للإنجليز لكن عبدالناصر انفرد برفض الاستسلام وذهب إلى الأزهر حيث ألقى خطابه الشهير وقال سنقاتل ولن نستسلم ولن يوجد من يفرض علينا الاستسلام ونجح عبدالناصر في تنظيم المقاومة الشعبية في بورسعيد، وفي النهاية توقفت قوات العدوان وفشل الهجوم البريطاني الفرنسي في ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ بدون أن يحقق أهدافه في السيطرة على القناة ومدن القناة واحتلال القاهرة وإسقاط عبدالناصر.

ونجحت خطة عبدالناصر في الصمود في إثارة تعاطف الرأي العام العالمي في أمريكا وروسيا ضد العدوان الثلاثي فمن جانبها رفضت الولايات المتحدة عودة بريطانيا وفرنسا للشرق الأوسط من جديد، ومن جانبه اعتبر الاتحاد السوفيتي العدوان على مصر إهانة لا تغتفر خاصة مع بدء التعاون العسكري مع مصر.

وانتهت المعركة بانتصار سياسي كبير لمصر التي استعادت القناة وفرضت سيادتها الكاملة عليها.

عبدالناصر يرفض رد الجميل

ولكن خابت توقعات الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور الذي تصور أن مصر تشعر بالجميل الذي صنعته أمريكا حين وقفت ضد العدوان البريطاني - الفرنسي على مصر وتصور أيزنهاور أن عبدالناصر سوف يرحب بخطة واشنطن لتقديم الدعم الأمريكي للدول المهددة بالشيوعية.

ولكن عبدالناصر رفض الخطة بعنف واعتبرها خديعة استعمارية تبرر التدخل العسكري الأمريكي في دول الشرق الأوسط المستقلة حديثاً.

واضطر أيزنهاور في النهاية إلى عقد اجتماع سري في ٢٢ مارس ١٩٥٧ مع آلن دالاس رئيس المخابرات المركزية الأمريكية في ذلك الوقت حضره كيرميت روزفيلت صديق عبدالناصر القديم وجرى خلال هذا الاجتماع التخطيط للتخلص من عبدالناصر والإطاحة به بأية وسيلة وهي الخطة التي تم تنفيذها بجدارة خلال العدوان الإسرائيلي على مصر في يونيو ١٩٦٧ حيث تعرضت مصر لهزيمة هزت نظام عبدالناصر إلى الأعماق، ومن ١٩٥٢ إلى ٢٠١١ مازالت قصة مصر مع الثورة طويلة، وإن كانت قصة أمريكا مع ثورات مصر خفية نرى أعراضها، ولا نعرف من حقائقها إلا القليل، والقليل جدا.

٦٠ عاماً من الثورة والتمرد.. في مصر

قد يسجل التاريخ ذات يوم أن كل ثورات مصر تعرضت للهزيمة، منذ ثورة عرابي في ١٨٨١، وحتى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.

والحقيقة أن الثورات بطبيعتها تحطم القلوب، سواء انتهت بالفشل أو حتى لو حققت النجاح، نعم الثورات تمزق القلوب، قلوب الذين قاموا بها، والذين آمنوا بها، وحتى الذين أيدوها وناصروها، بأرواحهم ودمائهم، فدائماً تنتهي الثورات بنتائج لا يرضى عنها الثوار ولا تقتنع بها الشعوب، لأن النتائج تكون أحياناً أقل من التوقعات، وربما ينتهي الأمر بسقوط البلاد في ظروف أسوأ مما كانت عليه قبل الثورة، كما يحدث في مصر وبلاد الربيع العربي حاليا.

ومازالت أسباب الثورة، أية ثورة، من الأسرار التي لا يعرفها أحد، ويسجل التاريخ دائماً حدث الثورة. لكن أحدا لا يعرف لماذا يلتزم الشعب بالصمت طويلا في مواجهة الظلم والطغيان والديكتاتورية، ثم تستيقظ جماهير الشعب فجأة بعد سبات عميق، لتنطلق فجأة إلى قمة مسرح الأحداث والتاريخ، وفي النهاية تحدث المواجهة القاسية مع الواقع، لتكتشف جماهير الشعب أن تطلعاتها وآمالها في الثورة، أما وجدت من يغتصبها، وأما وجدت من يقمعها!! وفي كل الأحوال والظروف،

يكون من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن تتحقق آمال الجماهير في الثورة، أو بالثورة، خصوصاً إذا كان وطن الثورة، أو أرض الثورة محل أطماع من قوى كبرى تسعى لبسط النفوذ وحماية مصالحها، على حساب مصالح الشعوب، كما يحدث حالياً لدول وشعوب العالم العربي.

ورغم أنهم يقولون أن الشعب الحر يصنع الوطن الحر، لكن الواقع الجغرافي يصنع كوارث التاريخ، ولم يكن مثيراً للدهشة أن يعترف مؤرخ أمريكي في العام الماضي بأن الشعب المصري عانى على مدى آلاف السنين من الظلم والاستعباد والاحتلال، ولم يعرف معنى العزة والكرامة إلا على مدى ١٧ عاماً قصيرة جداً بعد ثورة ١٩٥٢، تحت قيادة الرئيس جمال عبد الناصر، ولذلك كانت ثورة ٢٥ يناير مفاجأة كبرى، حاول الشعب استغلالها لتحقيق مصالحه، كما أن القوى العالمية في أمريكا وأوروبا ترى في ثورات الربيع العري فرصة سانحة لتحقيق مصالحها، وهكذا رأينا سوريا تنهار باسم الثورة وليبيا وتونس تحترقان في أتون الثورة، ومصر تترنح تحت الهزات المتوالية لزلزال الثورة.

ويسجل التاريخ أن جماهير الشعب في مصر والبلاد العربية التفت حول جمال عبد الناصر، وأجمعت عليه طوال حياته، حتى بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، لكن بعد وفاته اتفق عليه وتآمر ضده خلفاؤه من بعده ومعهم كل الأعداء، العرب وإسرائيل والولايات المتحدة وأوروبا، وفي

النهاية وصلنا إلى هنا، إلى قصة وصدمة الثورة في ٢٥ يناير ٢٠١١ وما بعدها من ضياع، ومخاطر كبرى لا يعلم مداها إلا الله.

لقد ظهرت كل أعراض الثورة في مصر على مدى سنوات طويلة قبل يناير ٢٠١١، ومع ذلك فإنها كانت تبدو مستبعدة، ولذلك وجدنا من يقولون في أكاديميات العلوم السياسية حول العالم أن المصريين رضوا بالظلم، ورضى عنهم الظلم!! وفي النهاية فوجئ العالم كله بالثورة.

ليلة ليست مثل أي ليلة

وفي هذا الكتاب «الجنود والجواسيس ورجال الدولة» الذي صدر مؤخراً في واشنطن يروي البروفيسور حازم قنديل قصة مصر الطويلة على طريق الثورة، منذ ليلة الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ وحتى ثورة ٢٥ يناير، إنها قصة ٦٠ عاماً من الثورة والتمرد على ضفاف النيل، حيث تلاعبت أقدار السياسة المحلية والإقليمية والعالمية بمصالح هذا الشعب العظيم في مصر، والبروفيسور حازم قنديل مصري الأصل يعيش في المملكة المتحدة، حيث يعمل أستاذاً متخصصاً في علم الاجتماع السياسي في كلية سانت كاترين بجامعة كمبردج البريطانية، كما قام بالتدريس في فترة من حياته في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وفي جامعة كاليفورنيا بمدينة لوس أنجلوس الأمريكية.

والثورة، أية ثورة، بطبيعتها تســتعصي على الفهم، ويكاد يكون من المســتحيل أن يتنبأ بها أد، ولم تكون ثورة مصر في ٢٠١١ اســتثناء مــن ذلــك، ويمكننا أن نقول أن القوات المســلحة في مصر قد تخلت عن الرئيس حســني مبــارك في لحظة الحقيقــة، وانحازت إلى جانب الشــعب، ووفرت الحماية للثورة، وكانت هذه من الظواهر التي أثارت حيــرة المراقبين حــول العالم، لأنهم كانوا يفترضــون دائماً، أن الزعيم والجنرالات، يصعدون معاً أو يسقطون معاً!!

وظن البعض كثيراً، أن الجنرالات كانوا يحكمون من وراء الستار في مصر طوال حكم حسني مبارك، ولم يكن ذلك صحيحاً على الإطلاق، فعلــى مدى ثلاثين عامــاً، احتدم الصراع في مصــر بين ثلاث قوى رئيســية، كان يتكون منها النظام، هــي الجيش وأجهزة الأمن والجهاز السياسي والتنفيذي، والحقيقة أن هذا كان هو مثلث السلطة الرهيب في مصر على مدى ستين عاماً منذ يوليو ١٩٥٢.

ورغم أن مشــاهد الثورة في مصر على مدى ١٨ يوماً تبقى خالدة فــي ذاكرة التاريــخ، إلا أن جذور الثورة تبدو مســتحيلة التعريف، إن كانت معروفة الأســباب، مازال من المبكر جداً أن نحدد لماذا خرجت الجماهير بالملايين في هذا اليوم بالتحديد، لتطالب بإسقاط النظام؟!

المراحل المغلقة

لا أحد يدري لماذا خرجت الجماهير في هذا اليوم ورفضت أن تعود إلى بيوتها بدون إسقاط نظام حسني مبارك. ربما كان هناك الفشل السياسي، والأزمة الاقتصادية، ربما كانت هناك التقلبات العقائدية، والأشكال الجديدة للتنظيمات السياسية والدينية، وقد تفاعلت كل هذه الأسباب في الأيام الأخيرة المصيرية، لتصنع حدث الثورة، وتسقط النظام القديم الذي كان يبدو ثابت القلب والقدم على مدى ثلاثين عاماً، واليوم بعد أكثر من عامين من الثورة، وحتى بعد صعود وسقوط الرئيس السابق محمد مرسي السلطة، إلا أنه ليس بمقدور أحد حتى الآن التنبؤ بنتائج الثورة ومصيرها، ومصير مصر ذاتها، لقد ظهر نظام سياسي جديد في مصر، لكنه يبدو داخل المراجل المغلقة التي تغلي بالداخل تحت نار موقدة من الثورة والرفض والتمرد، ولذلك لن تتبلور الهوية السياسية للنظام السياسي في مصر إلا بعد سنوات طويلة قادمة.

ودائماً تبدو الأسئلة سهلة وبسيطة، لكن الإجابات بالغة الصعوبة، نعم ما الذي جعل هذه الثورة ممكنة الحدوث؟ ومن الذي أشعل فتيل الثورة؟ وكيف أمكن للملايين من أبناء الشعب أن يقفوا ضد ديكتاتورية كان يبدو أنها لا تقهر؟! ويقولون أن الإجابة تكمن دائماً في موقف الجيش وأجهزة الأمن والشرطة، والحقيقة أنه لا يمكن لأي ثورة أن تنجح أو تنتصر ما دامت الأجهزة التي تتولى حماية وحراسة النظام السياسي

القائـــم قوية وفتية، وقادرة على قمع حركات الثـــورة والتمرد، وهذه من المبادئ الأساســـية في نظرية الثورة، بل إنها من المســـلمات الأساسية في قصة أية ثورة.

ويفرض السؤال نفسه، لماذا فشلت أجهزة الأمن في مصر في حماية النظام والسادة الحكام خلال ثورة يناير ٢٠١١؟!

إن النجـــاح الافتتاحي لثورة ٢٥ يناير في مصر يتناقض مع القواعد الأساسية لنظرية الثورة، التي تؤكد أن الجيش وجهاز الأمن هما القبضة الحديدية لأي نظام سياســـي، وهما اليد الغليظة التي يفترض أن تبطش بها السلطة.

قصة الصراع

والحقيقة أن الجيش وجهاز الأمن هما شريكا السلطة الحاكمة في أي بلد، وهما يعملان مع الســـلطة، وليس من أجل خدمة السلطة أو ليس لحساب السلطة، بصرف النظر عما ينص عليه الدستور، أي دستور، وتتلاقى المصالح بين الثلاثي، صانع الدولة، الجيش والأمن والســـلطة التنفيذية، بما يوحي بوجود كيان كبير موحد، رغم أن المصالح الخاصة بالمؤسسات الثلاث لا تتشابه ولا تتطابق.

ويقول البروفيسور حازم قنديل الأســـتاذ بجامعة كمبردج، أنه حين تولى حسني مبارك السلطة خلفاً للرئيس أنور السادات، كانت مصر قد

تحولت إلى دولة بوليسية، لكن في اليوم الذي أطيح فيه بمبارك عادت القوات المسلحة المصرية لتتسيد المشهد السياسي في مصر من جديد لأول مرة منذ يوليو ١٩٥٢، وهذه هي قصة الصراع السياسي على السلطة في مصر على مدى ستين عاماً، أو هذه هي المسألة المصرية منذ ثورة ١٩٥٢ وحتى اليوم.

لقد كانت ثورة ٢٥ يناير زلزالاً سياسياً هائلا، هز مصر إلى الأعماق ويبدو أن السبب الرئيسي لنجاح الثورة هو أن الطبقة الحاكمة كانت قد فقدت تماسكها، وفي اليوم الذي قرر فيه الشعب أن يطيح بالنظام القائم، كانت القوات المسلحة قد اكتشفت أنها لم تعد جزءاً من النظام القائم، الذي انحاز بالمزايا والاستحقاقات تجاه أجهزة الأمن، فهل كانت القوات المسلحة حقاً على الهامش، أم أنها انحازت بطبيعتها إلى الشعب والثورة كما هي تقاليد مصر العسكرية منذ يوليو ١٩٥٢ وحتى حرب أكتوبر ١٩٧٣.

من المال والسياسة

ربما كان للفشل الاقتصادي دوره الكبير في إثارة الثورة، بسبب سياسة الخصخصة العدوانية، وبسبب طبقة الرأسماليين الجدد وأطماعهم المالية والسياسية، ومنهم كثيرون لم يكن يكفيهم النهب المنظم والفساد المالي، وحاولوا الجمع المطلق بين المال والسلطة وحولوا الحزب الوطني الحاكم

إلى مستوطنة سياسية يقودها رجال المال والأعمال.

ومنذ حقبة التسـعينيات انهار النسيج الاجتماعي تقريبا وتجلى ذلك بوضوح في مؤسسة التعليم. حيث أصبحت المدارس والجامعات الجديدة في مصر هـي الرمز الأكبر للفوارق الحادة بين الطبقات، ومازال هذا الوضع قائماً، بل ويزداد سوءا.

تغيير وجه التاريخ

وفي كل المراحل الفارقة من تاريخ مصر طوال القرن العشرين وحتى الآن كانت هناك دائماً القوى العظمى، مثل بريطانيا والولايات المتحدة، تقـوم بأدوار ظاهرة أو خفية، تحسـم الصراعات وتقرر مصير الثورة، والعجيـب أن يحدث ذلك خلال ثورة يوليو ١٩٥٢ حين حاولت أمريكا احتواء جمال عبد الناصر ومجموعة الضباط الأحرار، وتكررت المأساة بصورة فاضحة طوال ثورة يناير ٢٠١١، ولا أحد يدري حتى اليوم كيف يؤدي اختلاط الثوار بالجواسـيس إلى تغييـر وجه الثورة وأحياناً تغيير وجه التاريخ، وتزييفه أيضاً!.

فمنذ اليوم الأول له في السلطة اعتمد الرئيس السابق حسني مبارك علـى الولايات المتحدة الأمريكية اعتماداً مطلقاً، بما جعل نظام مبارك يبدو براقاً على الورق وعلى شاشـات التليفزيـون، لكن الاعتماد على

أمريكا أصاب النظام في النهاية بنوع من العجز والشلل السياسي التام، وكان ذلـــك واضحاً في غياب دور مصـــر الإقليمي في العالم العربي وأفريقيا على مدى ثلاثين عاما.

الزواج الفاسد

وحين جمـــع رجال المال والأعمال والرأســـماليون الجدد بين المال والســـلطة وتكالبوا على المناصب السياسية، تعرض الشعب لإجراءات تقشـــف قاسية وفقر لا يحتمل، خاصة أن من كبار رجال الأعمال من قالوا أن زواج المال بالسلطة مشروع وجائز!

رغم أن ذلك لا يحدث في أم الرأسمالية بريطانيا وأمريكا!!

وكان هـــذا هو المصدر الرئيســـي للثورة التي رحبـــت بها القوات المســـلحة بدلا من أن تقوم بقمعها! وبمجرد خروج الشعب للشوارع كان من الطبيعي أن ينحاز ضباط الجيش للشعب الغاضب، لكن هل كانت الثورة فرصة لعودة الجيش إلى قمة الســـلطة؟! أن قيام المجلس الأعلى للقوات المســـلحة بقيادة المشير طنطاوي بتسليم السلطة للدكتور محمد مرســـي أول رئيس منتخب كان من المشاهد الديمقراطية التي يسجلها التاريـــخ، بصرف النظر عما حدث بعد ذلك، وبصرف النظر عمن قام بالثـــورة ومن ركب موجة الثورة، واقتنص الســـلطة وانحاز لجماعته أو حزبه.. مما أدى لقيام ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ بعد ذلك.

قوة.. لا تغيب!!

ويقول المؤرخون أن الولايات المتحدة، قوة كبرى، أكبر من أن تغيب بنفوذها وتأثيرها عن لحظات التغيير الكبرى في مصر، فقد حدث ذلك في يوليو ١٩٥٢، وحدث في يناير ٢٠١١، بل وكانت الولايات المتحدة موجودة سهلت للرئيس السابق مبارك الوصول إلى السلطة بعد اغتيال الرئيس أنور السادات.

وإذا مـا عدنا إلى الوراء قليلا، إلى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، سـوف نجد صاحب الجلالة المعظم الملك فاروق ملك مصر يحاول الاستعانة بالدعم الأمريكي في مواجهة حركــة الضباط الأحرار، فقد كان الملك يكره الإنجليز، ولذلك حاول أن يطلب المساعدة من السفارة الأمريكية، ولكن دون جدوى.

ودائمـاً كانت لدى أمريكا الخطة البديلة، وسـارعت واشـنطن إلى الترحيب بحدوث انقلاب عسكري ي مصر، يقود إلى التغيير والتقدم كما حـدث في تركيا من قبل تحت قيادة كمال أتاتورك، خاصة وأن الولايات المتحدة كانت تخشـى انزلاق مصر إلى الشيوعية، وتؤكد كل المؤشرات أن أعضاء تنظيم الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر حاولوا تأمين أنفسـهم وتأمين ثورتهم بالاتصال المبكر بالسفارة الأمريكية في القاهرة، وتعهدوا منذ البداية بحماية المصالح الأمريكية خاصة ومصالح الأجانب عامة، وبناء على ذلك طلبت أمريكا من بريطانيا عدم التدخل ضد حركة

الضبــاط الأحرار لصالح الملك، الذي لم يكن يتمتع بحب الإنجليز منذ حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وهكذا، تم إجبار الملك على التنازل عن العرش في ٢٦ يوليو ١٩٥٢ وغادر مصر لآخر مرة بلا رجعة.

فـــي هذه الليلة قام جمال عبــد الناصر القائد الحقيقي للثورة بتنظيم وتشــكيل مجلس قيادة الثورة من ١٤ عضــواً، وكان محمد نجيب هو البطــل الظاهري والوجه المعروف للثورة، وفي كتابه فلســفة الثورة قال عبد الناصر أن الضباط الأحرار اعتبروا أنفســهم أنهم طليعة الشعب، وأنهم فقط ســيقومون بالخطوة الأولى للثورة التي سوف يؤيدها ويشارك فيها الشعب بعد ذلك.

جواسيس أمريكا

وقدمت الولايات المتحدة كل دعم أمني ممكن للضباط الأحرار لتأمين النظام السياســي الجديد في مصر، وقدمت الدعم الفني من خلال كبار رجال المخابرات الأمريكية في الشــرق الأوسط أمثال كريميت روزفيلت ومايلز كوبلانــد، بالإضافة إلى المعدات الحديثة ومن يتذكر تلك الأيام الأولى من ثورة يوليو ١٩٥٢ من الطبيعي أن يتذكر رحلة رجل المخابرات الأمريكي الشــهير فرانك ويزنر، ولقاءه بالرئيس حسني مبارك قبل أيام معدودة من قرار التنحي والتنازل عن الرئاسة في فبراير ٢٠١١.

فقد كانت أمريكا مع مبارك حين تولى الســلطة بعد الســادات في

أكتوبـــر ١٩٨١، وانقلبت عليه وأصبحت ضده بعد اشـــتعال الثورة في يناير ٢٠١١.

قصة ثورتين

وكما قال تشـــارلز ديكنز في روايته الشـــهيرة «قصة مدينتين»، كان أفضل العصور، وهو أيضاً أســـوأ العصور، فقد كان عصر مبارك هو أفضل العصور لكل الذين استفادوا منه، الطبقة الحاكمة وطبقة الرأسماليين الجدد الذين لجأوا للنهب والسلب والفساد المنظم بلا عقوبة من قانون أو قضاء، وكان أسوأ العصور لأي شخص آخر، خصوصاً الشعب والقوات المسلحة!! بعد هزيمة يونيو أصبح مبارك مديراً للكلية الجوية، ثم أصدر عبد الناصر قراراً بتعيين مبارك رئيساً لأركان سلاح الطيران وبعد أن مات عبد الناصر فجأة، تولى السادات السلطة وأصدر قراراً بتعيين مبارك قائداً للقوات الجوية، كان السادات يفضل دائمًا الضباط الذين يفتقدون البريق، خاصة الذين ليســـت لهم انتماءات سياسية، وبعد الحرب كان طبيعياً أن يصدر قراراً بتعيين مبارك نائباً له في ١٩٧٥.

في أحضان أمريكا

وقـــد حرص مبارك على خدمة الســـادات بكل أمانة وإخلاص، ولم يتشـــكك مطلقاً في حكمة السادات حين عاد بمصر إلى الوراء وأعادها

إلـــى التحالف من جديد مـــع الولايات المتحـــدة الأمريكية وقام مبارك بزيارات عديدة لواشـــنطن، وهو نائب للســـادات لدرجة أن البعض ظن ســـوءًا أن مبارك يمتلك جناحاً خاصاً في فندق ماديســـون بالعاصمة الأمريكية واشنطن.

والحقيقة أن مبارك قام بزيارة واشنطن ٤ مرات في السنة الأخيرة من حكـــم الرئيس كارتر، كما التقى الرئيس الأمريكي الجديد رونالد ريجان قبل أيام معدودة من اغتيال السادات.

وبعد أن تولى الســـلطة أكد الرئيس مبارك أنه بدون الولايات المتحدة كان من الصعب وربما من المستحيل إنجاز ما حققه السادات، وقال إنني أشـــعر بالارتياح البالغ في التعامل مع الولايات المتحدة، وسوف أواصل التعاون معها من أجل تعزيز العلاقات الثنائية بين مصر وأمريكا.

هكذا، لم يخرج الرئيس مبارك عن الخط السياســـي للرئيس السادات علـــى مدى ثلاثين عاماً، وحرص دائماً على التجاوز عن كل الأخطاء والخطايـــا السياســـية والاقتصادية، حتى لو تحولت إلـــى جرائم، طلباً للاســـتقرار، حتى تآكل نظامه السياسي وتداعى من الداخل، وظهرت عليه كل أعراض الشـــيخوخة السياسية، قبل أن ينفجر زلزال الثورة في وجهه، وأمام التاريخ!!

ومازالت مصر على طريق الثورة، وهو طويل جداً وشـــاق كما يقول البروفيسور حازم قنديل في كتابه.

ثورة يناير.. ليست الأخيرة في مصر!

استنزفت ثورة يناير ٢٠١١ طاقات المصريين، ولذلك يبدو من الصعب تكرار حدث الثورة الرهيب خلال أقل من عامين، أو حتى أكثر.

فقد أحدثت الثورة تغييرات هائلة في قمة السلطة، لكن بقيت الأوضاع الاقتصادية والحقائق السياسية كما هي، تتحدى كل عوامل التغيير الحقيقي في العمق.

ويتردد السؤال أحياناً على ألسنة البعض، ترى ماذا سيقول التاريخ عن ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١؟! ويدرك المتساءلون جيداً أن الثورة لم تكن إلا انتفاضة شعبية عبرت عن حاجة الشعب الجامحة إلى فرض التغيير، تغيير السلطة، وتغيير السياسات، بل والعودة إلى أولويات المصالح الوطنية الأصيلة.

لكن سرعان ما تحولت الثورة إلى جرح مفتوح في جسد مصر المنهك، أتاح الفرصة لأعداء الثورة في الداخل والخارج إلى التلاعب بأقدار الثورة والثوار.

لقد كانت الثورة حدثاً ينتظره الكثير من المراقبين في مصر وخارجها، من واقع قراءاتهم لحقائق الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتهالكة،

الأوضاع السياسية الفاسدة، ولذلك وجدنا من يقول إنه إذا كانت الثورة متوقعة، فإن السقوط السريع للنظام السابق خلال ١٨ يوماً من الغضب بلا مقاومة تذكر، هو المفاجأة السياسية الحقيقية والمفارقة التاريخية التي يصعب تكرارها. من هنا جاء الحديث عن استنزاف طاقة الشعب خلال الثورة.

ومن يتأمل أحداث ثورة يناير بالفحص والدرس يجد نفسه مضطراً إلى إعادة النظر في أوراقنا القديمة، وإعادة النظر في الأحداث والمواقف، وإعادة النظر في صور الرجال، وحقائق القرارات والسياسات، وذلك من أجل تحقيق هدف واحد، هو إنقاذ المستقبل، وليس من أجل تسوية حسابات مع الماضي ورجاله فقط.

قصة واحدة

وفي هذا الكتاب «جنود.. وجواسيس.. ورجال دولة» يؤكد البروفيسور حازم قنديل الأستاذ بجامعة كمبردج أن تاريخ الثورة في مصر قصة واحدة، طويلة وممتدة منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحتى يناير ٢٠١١. وكتاب الثورة في مصر سيبقى سجلاً مفتوحاً للتحليل والفهم والتنظير، لأن تقاليد الغضب والتمرد عند المصريين ليس لها نظير في العالم، لأن المصريين شعب عجوز من أقدم شعوب الأرض.

وقد حقق المصريون بالثورة والتمرد الكثير من أحلامهم الكبرى،

وربما كان السد العالي وحرب أكتوبر ١٩٧٣ من أكبر منجزات ثورة يوليو ١٩٥٢، كما كان انعدام الإنجازات الكبرى في حياة المصريين من أكبر أسباب الثورة والغضب في يناير ٢٠١١.

ويقول المؤرخون أحياناً إن الرئيس جمال عبد الناصر لم يكن له خليفة ومن الصعب أن يكون له خليفة، لكن الرئيس مبارك كان الخليفة المنضبط للرئيس السادات ولسياساته لسنوات طويلة بعد وفاته، وبصورة لم يتوقعها السادات، نفسه حياً وميتاً.

وقد اعترف الرئيس السادات ذات يوم سراً لواحد من رجال الدين المقربين منه بأنه يريد أن يعود بمصر إلى ما كانت عليه الأوضاع فيها قبل ثورة يوليو ١٩٥٢.

وتوقف المؤرخون طويلاً حول الأسباب التي جعلت السادات يتردد طويلاً في اتخاذ قرار الحرب في أكتوبر ١٩٧٣، خاصة وأن كبار القادة وضباط القوات المسلحة كانوا يخططون لتحرير سيناء بقوة السلاح والحرب، في حين كان الرئيس السادات يفكر في وصفة سياسية تشبه معركة السويس ١٩٥٦، بمعنى أن تقوم مصر بعمل عسكري رمزي يمهد الطريق إلى تسوية سلمية، ومن هنا تولدت لدى الرئيس فكرة «الحرب المحدودة»، حرب التحريك وليس حرب التحرير.

كانت نظرية السادات تقوم على أساس قيام القوات المسلحة بعبور قناة السويس والاستيلاء على قطاع ضيق من الأرض على الضفة

الشـــرقية للقناة ليؤكد لإسرائيل أن مصر يمكنها تهديد أمنها، أو تحدي نظرية الأمن الإسرائيلي.

وقال الســـادات إننا اضطررنا لخـــوض حرب محدودة لأن مصر لم تحصل على ما يكفي من السلاح السوفيتي، خاصة وأن أمريكا لا تسمح بأن تتعرض إسرائيل للهزيمة، كما أبلغه كيسنجر بذلك قبل الحرب.

وقد تناقض التزام السادات بمفهوم الحرب المحدودة مع إصرار كبار جنرالات وقادة القوات المســـلحة على تحرير ســـيناء على مراحل من خلال حرب اســـتنزاف طويلة. وقد اعترض العسكريون ورفضوا نظرية السادات التي كانت تستهدف مهاجمة إسرائيل عسكرياً لتحقيق انتصار دبلوماسي يؤدي لتحرير الأرض.

وفي النهاية اقتنع العســـكريون بأنه بمجرد بدء الحرب، سوف يكون بإمكانهـــم الانطلاق في خطة الحرب كمـــا يريدونها، بالحد الأدنى من التدخل السياسي من العاصمة.

٢٤ ساعة حاسمة

لكن الرئيس السادات حدد نواياه بوضوح من البداية، ووضع الخطة العامة للحرب، وقال الســـادات لكبـــار جنرالاته في فبراير ١٩٧٣، إنه من المهم أن تكسب القوات المسلحة معارك الساعات الأربع والعشرين الأولى من الحرب.

كانت الخطــة المصرية الأصلية التي جرى وضعها في ســبتمبر ١٩٧٠ قبل وفاة عبدا لناصر وهي الخطة الشــهيرة باســم «الخطة-٢٠٠» تستهدف عبور القناة حتى السيطرة على المضايق في المرحلة الأولى.. ليتم تحرير ســيناء بالكامل بعد ذلك من خلال هجوم كاســح يستغرق ١٢ يوماً. وكان من المفترض أن تتدرب القوات المصرية على تنفيذ الخطة في مارس ١٩٧١، لكن وفاة عبدا لناصر المفاجئة، أجلت الترتيبات وأجلت الحرب.

وبعد أن تولى السادات السلطة طلب من الفريق سعد الشاذلي رئيس الأركان الشاب إعداد خطة جديدة لعبور القناة، وبالفعل تم وضع الخطة الجديدة، وإن كانت مشابهة تماماً للخطة القديمة.

ولأول مرة شــعرت القوات المسلحة المصرية أنها قادرة على المبادرة بالهجوم المفاجئ ضد القوات الإسرائيلية في معركة عادلة، وليس معارك الخداع والمؤامرات الدولية كما حدث في يونيو ١٩٦٧.

وحين أصدر الرئيس الســادات قــراره التاريخي ببدء الحرب، قامت الطائرات المصريــة - ٢٢٢ طائرة - بتوجيه ضربة جوية مدمرة ضد مواقع وحشود القوات الإسرائيلية في سيناء، كما قامت بتدمير المطارات والقواعد الجوية الإسرائيلية في سيناء، ومواقع صواريخ هوك الأمريكية المضادة للطائرات.

كانت الساعة الثانية وخمس دقائق من بعد ظهر السادس من أكتوبر

١٩٧٣، من الساعات التاريخية النادرة في سجل العسكرية المصرية فقد بدأت المدفعية المصرية إطلاق نيرانها الكثيفة ضد المواقع الإسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة، ووفرت بذلك الغطاء اللازم لعبور الآلاف من جنود المشاة المصريين في زوارق المطاط الصغيرة على طول القناة.

وفقدت القوات الإسرائيلية توازنها بسرعة أمام الحركة المفاجئة للقوات المصرية، وبحلول الليل في يوم السادس من أكتوبر كانت القوات المسلحة المصرية قد تمكنت من عبور مانع قناة السويس بقوة عسكرية هائلة، تزيد عن مائة ألف جندي وأكثر من ألف دبابة و١٣ ألف عربة مدرعة وبكل المقاييس العسكرية كانت عملية العبور المصرية عملية عسكرية هجومية لا نظير لها في التاريخ، فقد تضمنت الكثير من خطط الحرب المبتكرة، نجحت خلالها مصر في استخدام أسلحة دفاعية، مثل صواريخ سام المضادة للطائرات وصواريخ ساجر المضادة للدبابات في عملية هجومية مبهرة.

المفاجأة الكاملة

وفي اليوم التالي للقتال كانت القوات المصرية قد تمكنت من إسقاط ٤٩ طائرة إسرائيلية ودمرت أكثر من ٥٠٠ دبابة.

وكانت المعجزة الأكبر أن خسائر مصر البشرية لم تزد عن ١٤٨

شهيد وهكذا جرى تقييد سلاح الطيران الإسرائيلي، ذراع إسرائيل الطويلة، وتلاشت قوة سلاح المدرعات الإسرائيلي، فخر العسكرية الإسرائيلية.

وفرضت القوات المسلحة سيادتها الكاملة على مسرح القتال في الضفة الشرقية للقناة، واعترف المؤرخ الإسرائيلي آفي شالايم بأن التاريخ العسكري في العالم لا يقدم سوى نماذج قليلة جداً للمفاجأة الاستراتيجية الكاملة التي حققتها القوات المسلحة المصرية في حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وفي أول مؤتمر صحفي لموشي ديان وزير الدفاع الإسرائيلي يوم ٨ أكتوبر، قال: أشك أنه يوجد مكان آخر في العالم يتمتع بحماية مثل هذه المظلة الكثيفة من الصواريخ الحديثة المضادة للطائرات، وقال إن روسيا ذاتها لا يوجد لديها مثل هذه الشبكة من صواريخ الدفاع الجوي، الموجودة في الجبهة المصرية عند القناة.

واعترف قادة الجيش الإسرائيلي في ذلك الوقت بأن القوات المصرية تمتلك زمام المبادأة في الحرب، ولو استمر هذا الوضع طويلا فلن يكون أمام إسرائيل سوى التورط في حرب استنزاف طويلة في سيناء لأنه لا يمكن للقوات الإسرائيلية توجيه ضربة قاضية لمثل هذه القوات المصرية جيدة التدريب، كثيفة الانتشار على الضفة الشرقية للقناة.

الاعتراف بالهزيمة

وقال الصحفي الإسرائيلي «ماثي جولان» أن المزاج العام في إسرائيل خلال الـ٤٨ ساعة الأولى من الحرب كان مشحوناً بالخوف والتوتر، وسيطر التشاؤم والإعياء على الجميع، وكان ثلاثي القيادة السياسية والعسكرية في إسرائيل، جولدامائير رئيسة الوزراء وموشي ديان وزير الدفاع وديفيد اليعازر رئيس الأركان، على استعداد للاعتراف بهزيمة إسرائيل في الحرب.

لكن حدثت مفاجأة يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣، حين صدر أمر سياسي بوقف الهجوم، في «وقفة تعبوية»!! وانتظرت مصر طويلاً حتى الرابع عشر من أكتوبر، لتقوم القاهرة بتطوير الهجوم، لتخفيف الضغط عن سوريا.

واعترف المشير أحمد إسماعيل علي وزير الحربية بأن القرار الذي صدر بـ«الوقفة التعبوية» كان قراراً سياسياً وليس عسكرياً وهنا اتضحت أبعاد خطة السادات التي كانت تشمل تحقيق نصر عسكري محدود يؤدي إلى أزمة سياسية خطيرة في الشرق الأوسط، تدفع الولايات المتحدة للتدخل من أجل التوصل إلى تسوية سياسية، ولذلك لم يشعر السادات أنه بحاجة لقيام القوات المصرية بالتقدم داخل سيناء حتى منطقة المضايق.

بين السادات وكيسنجر

ومنذ اليوم التالي للحرب، بدأ الرئيس السادات بتبادل البرقيات السرية مع هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي، وعلى مدى ٣٨ برقية حاول السادات إقناع كيسنجر بأن يتدخل لدفع إسرائيل إلى الانسحاب من سيناء، خاصة بعد أن أبلغه بأن مصر لا تنوي تعميق المعارك والمواجهات في الحرب!!

ولكن بدلاً من أن يستجيب كيسنجر لطلب السادات، قام باستدعاء السفير الإسرائيلي في واشنطن وأبلغه بأن السادات لا ينوي تعميق المعارك في سيناء، وطالبه بأن تتصرف إسرائيل على هذا الأساس، وفي يوم ٨ أكتوبر وصل مسئول عسكري أمريكي كبير إلى تل أبيب ومعه ملف كبير يحتوي على أعداد كبيرة من صور الأقمار الصناعية الأمريكية لمواقع القوات المصرية عند القناة وفي سيناء ومواقع القوات السورية في الجولان.

وذات مرة تحدث اللواء الجمسي رئيس عمليات القوات المصرية بغضب، وقال: أعتقد أن الآداء السياسي للقيادة في القاهرة لم يكن مفيداً للعمليات العسكرية. وقال الأستاذ هيكل إن السياسة خذلت السلاح ومن هنا بدأت أمريكا الخطوة الكبرى لدعم المجهود الحربي الإسرائيلي بأكبر جسر جوي لتعويض خسائر إسرائيل في الطائرات والدبابات والصواريخ وحتى الطيارين، فقد تعرضت القوات الإسرائيلية لخسائر جسيمة في

الطائــرات والدبابات أفقدتها القدرة علــى القيام بأي هجوم حقيقي ضد القوات المصرية في سيناء!!

وخلال اجتمــاع مهم بالبيت الأبيض قال هنري كيســنجر للرئيس الأمريكي نيكسون، إن انتصار العرب في هذه الحرب يعني أنه سيكون من المســتحيل التفاوض معهم! وأضاف: لا يمكننا حرمان العرب من تحقيق النصر إلا بتعويض إسرائيل عن خسائرها في الحرب.

وطالب بســرعة تزويد إسرائيل بالسلاح من خلال جسر جوي يدوم طويلا، لأنه بدون استعواض الخسائر ستكون إسرائيل ميتة!!

وأقلعت طائرات النقل الأمريكية العملاقة في الوقت المناسب تماما، حيث قامت بتزويد إســرائيل بعشــرات من طائــرات الفانتوم وقاذفات ســكاي هوك، بالإضافة إلى صواريخ ودبابات حديثة لا يمكن لمصر مواجهتها.

تغيير دفة الحرب

وعلى مدى ٣٣ يوماً قامت طائرات الجسر الجوي الأمريكي بـ٥٦٩ رحلة جوية، حصلت إســرائيل خلالها على طائرات ودبابات وصواريخ تزيد قيمتها على ٨٨٨ مليون دولار، منها صواريخ تاو المضادة للدبابات وصواريخ شرايك المضادة للرادارات وصواريخ ماقريك الموجهة تليفزيونياً. كما حلصت إسرائيل على ٦٠٠ دبابة أمريكية حديثة من طراز إم ٤٨

وإم ٦٠ المتطورة، وساهمت هذه الأسلحة الأمريكية الحديثة في تغيير موازين الصراع، وتغيير دفة الحرب فلم تتمكن القوات الإسرائيلية من وقف تقدم القوات السورية في الجولان إلا بهذه الصواريخ الأمريكية الجديدة، ولم تتمكن من الوقوف في وجه القوات المصرية في سيناء إلا بعد حصولها على هذه الأسلحة الأمريكية الحديثة.

ولم يخف كيسنجر نواياه مطلقا، وقال إن التدخل من أجل التوصل إلى تسوية سلمية بالشروط الأمريكية، تطلب تقديم مساعدات عسكرية حاسمة لإسرائيل لتتمكن من تحقيق إنجاز عسكري واضح قبل وقف إطلاق النار، ورغم الثغرة ومشاهدها، إلا أن القوات المسلحة المصرية تمكنت بعد وقف إطلاق النار من إعادة بناء شبكة الدفاع الجوي من جديد، كما حاصرت القوات الإسرائيلية في الثغرة بأكثر من ٨٧ دبابة، مع الآلاف من الجنود والمدرعات وصواريخ ساجر المضادة للدبابات.

الطريق لكامب ديفيد

وحدث جمود دبلوماسي في الشرق الأوسط امتد لفترة طويلة نسبياً بعد الاتفاق الثاني للفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية، لكن تسارع إيقاع الأحداث بعد وصول الرئيس الأمريكي جيمي كارتر للسلطة في البيت الأبيض بواشنطن، وذات مرة بعث كارتر بخطاب للرئيس السادات يطالبه فيه بالقيام بعمل ما، سياسي أو دبلوماسي يكسر

حواجز الجليد التي تعوق الانطلاق بعملية السلام في الشرق الأوسط إلى الأمام.

وبعد رحلة تأمل جوية طويلة من إيران - الشاه إلى رومانيا، تولدت لدى الرئيس السادات قناعة حقيقية بأنه يمكن أن يدفع عملية السلام مع إسرائيل بعمل درامي خلاق، بالقيام بزيارة إسرائيل، وبالفعل قام الرئيس السادات بزيارته الشهيرة للقدس في ١٩ نوفمبر ١٩٧٧، بعد عشرة أشهر فقط من الانتفاضة الشعبية الشهيرة باسم مظاهرات الخبز.

وبعد زيارة السادات للقدس، وجه الرئيس الأمريكي كارتر الدعوة لكل من الرئيس السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيجن لعقد قمة ثلاثية من أجل السلام في استراحة كامب ديفيد، خارج واشنطن.

هدف أمريكا

ويقول زيجنيو بريجنيسكي مستشار كارتر لشئون الأمن القومي، والمهندس الدبلوماسي لمفاوضات كامب ديفيد، كان هدفنا في واشنطن هو ممارسة الضغط على الرئيس السادات والتضييق عليه لتكون دائرة الاختيار أمامه محدودة إن لم تكن مغلقة، حتى يعرف أنه عليه أن يختار ما بين الخروج بمصر من المعسكر الأمريكي، أو القبول بأي شيء تعرضه عليه إسرائيل.

وحين شعر السادات بالغضب وأراد مغادرة كامب ديفيد، توجه

إليـــه الرئيس كارتر في اجتماع رســـمي مغلق حيث أبلغه بأن فشـــل مفاوضات كامـــب ديفيد، يعني نهاية العلاقـــات بين مصر والولايات المتحدة، كما أنها تعرض المســـتقبل السياسي لصديقك كارتر للخطر، هكذا تعرض السادات لضغوط رهيبة حتى يقبل باتفاقات كامب ديفيد، وادعى بريجينسكي أن السادات كان يريد أن يكون رجل أمريكا المفضل في الشرق الأوســـط وخلال الرحلة الطويلة والمرهقة من حرب أكتوبر ١٩٧٣، وحتى اتفاقيات كامب ديفيد، كان واضحاً أن الرئيس السادات يـــرى ما لا يراه كل من حوله، ولذلك خســـر جهـــود الكثير من كبار الأصدقاء والرفاق، بدءاً من محمد حسنين هيكل وحتى حافظ إسماعيل مستشاره لشئون الأمن القومي وإسماعيل فهمي وزير الخارجية ومحمد ريـــاض الذي رفض منصب وزير الخارجية وفضل الاســـتقالة، وحتى صديقه محمد إبراهيم كامل وزير الخارجية الذي قدم استقالته في كامب ديفيد وهو يقول إن سياســـات السادات عرضت كل منجزاتنا العسكرية في حرب أكتوبر للخطر، وبعد توقيع اتفاقيات كامب ديفيد بأســـبوعين، تخلص الســـادات من وزير الحربية الشهير، المشير الجمسي وصديقه محمد علي فهمي قائد الدفاع الجوي في حرب أكتوبر.

وفي النهاية خسرت مصر أنور السادات شخصياً في حادث اغتيال مأســـاوي رهيب وقع خلال العرض العســـكري الســـنوي الأخير في ٦ أكتوبر ١٩٨١.

ومن المؤكد أن حادثة اغتيال السادات هي أسوأ مأساة في تاريخ مصر الحديث كله، لكنه فتح الباب واسعاً أمام حسني مبارك للصعود وتولي الرئاسة في مصر، وعلى مدى ٣٠ عاماً من الجمود السياسي، تراكمت كل أسباب ودواعي الثورة في مصر، حتى وقع بركان الثورة الرهيب يوم ٢٥ يناير ٢٠١١، وهذه قصة أخرى قادمة، تؤكد أن هذه الثورة، لم تكن الأخيرة في مصر، لأن السياسة والاقتصاد فشلا حتى الآن في علاج أعراض الثورة عند شباب مصر.

الأمن القومي، مأزق الوطنية المصرية الكبير!

تعددت أزمات مصر الاقتصادية والسياسية بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ لكن أزمة الأمن القومي في مصر تبدو خطيرة ولا تقبل التأجيل.

فقد يمكننا تجاوز أية أزمة سياسية أو اقتصادية مهما كانت، بالتأجيل والانتظار، لكن أزمات الأمن القومي تبدو دائما عاجلة، وتفرض نفسها بقوة وقسوة، لأنها ترتبط بكيان الدولة الوطنية ومصالح الشعب وكبرياء الوطن.

ومنذ ثورة يوليو ١٩٥٢ وحتى الثورة الشعبية الكبرى في يناير ٢٠١١ مازالــت قضايا الأمن القومي، هي أكبر مأزق يواجه الوطنية المصرية في القـــرن الجديد. ويمكننا الاعتراف بوجـــود مناطق فراغ وثقوب في بنيـــان الأمن القومي لمصر، ولكن من قال أنـــه توجد دولة في العالم تمكنـــت من تحقيق الأمن المطلق لحدودهـــا ووجودها، حتى الولايات المتحـــدة الأمريكية لا يمكنها إدعاء ذلك، رغم أنها أكبر قوة عســـكرية واقتصادية في التاريخ المكتوب للإنسانية؟!

وقد خاضت مصر حروبا طويلة ومرهقة منذ معركة السويس ١٩٥٦ وحتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ مـــن أجل تأمين الحدود والوجود، وتحقيق أعلى درجات الأمن للشعب ومصالحه ودولته المستقلة الحرة.

وقد تغير المشـــهد السياسي في مصر تماما بعد ثورة يناير ٢٠١١ وهي الثورة الشعبية الكبرى التي أيدها الجيش بقوة، ومن المؤكد أنه لولا تدخل الجيش ما كان حسني مبارك ليتنازل عن السلطة.

تغيرت الوجوه واختلفت كثيرا في المشـــهد السياســـي داخل مصر، وظهر لاعبون جدد، واحتفظ لاعبون قدامي بمواقعهم في فضاء سياسي مفتوح، لم يعد هناك من يمكنه الإنفراد بالقرار السياسي، ويبدو واضحا أن عملية التحول السياسي والديمقراطي في مصر لم تكتمل بعد، ومازال الجـــزء الأكبر من القرار السياســـي في مصر في قبضـــة الرأي العام الشـــعبي. ولذلك، مازالت القوي الإقليميـــة والعالمية تتابع بدقة يوميات ما يجري في مصر لحظة بلحظة، ومازالت الولايات المتحدة الأمريكية تبذل كل ما يمكنها من جهد للاحتفاظ بشـــراكتها وتحالفها الاستراتيجي بمصر بأي ثمن، لأن مصر، أهم جغرافيا وسياســـيا من أن تخســـرها أمريكا، وقد اعترف واحد من أكبر خبراء الإســـتراتيجية في كلية الحرب العليا الأمريكية مؤخرا بأن مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط والخليج العربي ســـتتعرض لمخاطر كبرى إذا حدث وخســـرت أمريكا مصر، وتحالفها الاستراتيجي مع مصر.

خطر القومية العربية

فقـــد كانت مصر هي جوهرة الصراع العالمـــي الرهيب بين أمريكا

والاتحاد السوفيتي السابق طوال الحرب الباردة، وفي هذا الكتاب، «جنود، وجواسيس، ورجال دولة» يقول البروفسور حازم قنديل الأستاذ بجامعة كمبردج، إن العلاقات بين «مصر عبدالناصر» والولايات المتحدة تدهورت كثيرا منذ.. ١٩٥٧ حين رفض عبدالناصر الدخول في أحلاف عسكرية مع أمريكا وحين رفض الموافقة على منح القوات الأمريكية قواعد عسكرية في سيناء بالإيجار، من البداية نظرت الولايات المتحدة إلى دعوة عبدالناصر للقومية العربية والوحدة العربية، باعتبارها خطر رهيب يهدد مصالحها الإقليمية ويهدد أمن ووجود إسرائيل، وظهر في واشنطن من يقولون إن دعوة عبدالناصر للقومية والوحدة العربية أخطر على مصالح أمريكا في الشرق الأوسط من التغلغل الشيوعي والنفوذ السوفيتي!!

وحاولت الولايات المتحدة دعم ومساندة المملكة السعودية لتقوم بقيادة العالم العربي بدلا من مصر بقيادة جمال عبدالناصر وسعت السياسة الأمريكية إلى تقويض ما أسمته بـ«هيمنة جمال عبدالناصر» على العالم العربي.

وتكشف الوثائق الأمريكية أن سفارة الولايات المتحدة بالقاهرة تلقت برقية مهمة من الخارجية الأمريكية في سبتمبر ١٩٥٧ تقول، إن مصر لديها تصميماً هائلاً على حرمان الدول العربية من حرية الاختيار، وتحاول دفع هذه الدول إلى الابتعاد عن فلك السياسة الأمريكية، واتباع

سياســة الحياد الإيجابي، رغم أن بعض هذه الدول تري أن مصالحها واستقلالها، لا يتأكد إلا بالانضمام لترتيبات الأمن الجماعي الأمريكية المضادة للشيوعية.

وقالت البرقية إن أمريكا ستقف بكل قوة ضد سياسة القومية العربية التي ينادي بها عبدالناصر، لأنها تعادي المصالح الأمريكية في العالم العربي.

بين كيندي وعبدالناصر

ومــع ذلك حرص عبدالناصــر على إصلاح الخلــل في علاقاته بواشنطن، وانتهز فرصة تلقيه لبرقية تهنئة عادية من الرئيس الأمريكي الشــاب جون كيندي، ورد عليه ببرقية صداقة حارة كانت بداية لحوار سياسي عميق بين الزعيمين، جمال عبدالناصر وجون كيندي امتد عامين وعلي مدي ٧٥ رسالة متبادلة بينهما، وكانت هذه الرسائل من العوامل التي ســاعدت على عدم تدهور العلاقات بين مصر وأمريكا خلال فترة حكم كيندي، خاصة وأن كيندي كان يشعر أن خطر عبدالناصر يمكن أن يتزايد ضد المصالح الأمريكية إذا شــعر أنه تحت الحصار، ولكن تغير كل ذلك حين اغتيل كيندي فجأة. وتولي الرئاســة من بعده نائبه، ليندون جونسون الذي كان يرتبط بعلاقات قوية قديمة مع إسرائيل ومع اللوبي الصهيوني في أمريكا وكان جونسون على اقتناع تام بأن الرئيس

الأمريكي الأسبق أيزنهاور قد أخطأ حين أجبر إسرائيل على الانسحاب من سيناء بعد حرب السويس ١٩٥٦ وكان يردد باستمرار أن جمال عبدالناصر لا يفهم إلا لغة القوة كما ارتبط جونسون أيضا بعلاقات واسعة بشركات البترول الأمريكية الكبرى باعتباره كان نائبا بالكونجرس عن ولاية تكساس، وكانت هذه الشركات الكبرى ترى في وجود جمال عبدالناصر في مصر خطراً كبيراً يهدد مصالحها البترولية الهائلة في الخليج العربي.

حرب كومر

وبناء على ذلك قام الرئيس الأمريكي جونسون بتكليف روبرت كومر، رجل المخابرات المركزية الأمريكية الرهيب بإعداد خطة إستراتيجية لإضعاف عبدالناصر وإسقاطه، من خلال توريط القوات المسلحة المصرية في مستنقع عسكري طويل، يستنزف قواها وينهك اقتصاد مصر. وكانت حرب اليمن هي نقطة البداية، وأجاد روبرت كومر هذه اللعبة تماما لدرجة أن زملاءه في المخابرات المركزية ومجلس الأمن القومي الأمريكي بعد ذلك أطلقوا على حرب اليمن اسم «حرب كومر»!!

وتضاعفت ضغوط جونسون ضد عبدالناصر، حين قرر وقف وتعليق شحنات القمح الأمريكي لمصر، بهدف إصابة الاقتصاد المصري بالإعياء.

وفـــي أواخـــر ١٩٦٦ جري الإعــداد لعملية أمريكيـــة أخري ضد عبدالناصر في الظلام، واكتشـــف جمال عبدالناصر الخطوط الأولية للمؤامرة حين استقبل في القاهرة، العدو القديم الذي تحول إلى صديق، وهـــو يوجن بلاك رئيس البنك الدولي الســـابق، الذي أبلغ عبدالناصر صراحة بأن كبار المسئولين في واشنطن يبحثون حاليا الخطط اللازمة لإطلاق يد إسرائيل للدخول في حرب ضد مصر.

الديك الرومي

وتلقي الكاتب الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل معلومات أبلغها لعبدالناصـــر كانت تقول: إن الولايات المتحدة شـــكلت لجنة تنســـيق اســـتراتيجي مع إســـرائيل، كانت تضم من الجانـــب الأمريكي كل من والت روســـتو وجيمس إنجلتون من المخابرات المركزية وروبرت كومر وريتشـــارد هيلمز من الأمن القومي الأمريكي، ومن الجانب الإسرائيلي اشـــترك في اللجنة كل من موشـــي ديان وزير الدفـــاع ومائير أميت رئيس جهاز المخابرات الإســـرائيلي الموســـاد، وقد تشكلت اللجنة منذ أوائل ١٩٦٧ بهدف التخطيط لحرب ضد مصر تستهدف إسقاط جمال عبدالناصـــر، وإقامة نظـــام بديل في مصر ينحـــاز للولايات المتحدة وللمصالح الأمريكية في العالم العربي والشـــرق الأوسط، وأطلقوا على هذه الخطة اسم «خطة اصطياد الديك الرومي»!!

وفي اليـــوم الأول لحرب يونيو ١٩٦٧ بعث والت روســـتو بمذكرة للرئيس الأمريكي جونســـون يقول فيهـــا «فيما يلي حصيلة اليوم الأول لضرب الديك الرومي جمال عبدالناصر!!».

في ذلـــك الوقت، اعتبـــر الأمريكيون أن توقيت الحـــرب والهجوم الإســـرائيلي على مصر مناســـب تماما للأهـــداف الأمريكية خاصة أن القيادة الســـوفيتية الجديدة في موســـكو ثلاثي بريجينف وبرجورني وكوسيجين يركزون جهدهم على الشـــئون الداخلية للاتحاد السوفيتي، خاصة وأن الدول الحليفة لهم في أوروبا الشـــرقية كانت تطالبهم بوقف المساعدات العســـكرية للدول غير الشيوعية مثل مصر، ورأت أمريكا في العدوان الإسرائيلي على مصر وسوريا أمراً جديداً من شأنه تشتيت أنظار العالم بعيدا عن التصعيد العسكري الأمريكي في حرب فيتنام!!

المشير عامر وقراراته

ومن المثير للدهشة أن المؤامرات والمخططات الأمريكية الإسرائيلية جاءت فـــي توقيت صعب كانت فيه القوات المســـلحة المصرية غير مستعدة للحرب، بسبب أعباء حرب اليمن، وكان المشير عبدالحكيم عامر يدرك هذه الحقيقة جيـــدا، كما كان على وعي تام بالنوايا والمخططات الأمريكية، بل وجري تحذيره مســـبقا من جانب جمال عبدالناصر، لكنه قام بمقامرة عســـكرية رهيبة وأصدر أوامره بحشـــد القوات المصرية في

سـيناء بصورة مفاجئة ردا على تهديدات إسـرائيلية فارغة ضد سوريا تصور عبدالحكيم عامر أنه يمكنه القيام بعملية استعراض عسكري في سيناء، ولم يتصور مطلقا أن تتصاعد الأحداث سريعا وتصل إلى درجة الحرب والصراع المسـلح وقد لجأ عبدالحكيم عامر للتصعيد العسكري في مواجهة إسـرائيل في سـيناء في إطار لعبة الصراع المكتوم على السـلطة مع عبدالناصر، لدرجة أن البعـض قال إن عبدالناصر كان عليه أن يواجه في ١٩٦٧ مؤامرات أمريكا وإسرائيل في الخارج ومؤامرة عبدالحكيم عامر وعصابة الضباط الملتفين حوله في الداخل!!

تصاعدت حدة المواجهة بعد قيام المشير عبدالحكيم عامر بإغلاق خليج العقبة في وجه السـفن الإسـرائيلية المتجهة إلـى ميناء إيلات الإسرائيلي في ١٤ مايو ١٩٦٧.

وفـي ٢٦ مايو انعقد في واشـنطن اجتماع مهـم للغاية في مقر البنتاجون وزارة الدفاع الأمريكية حضره أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل ووزيـر الدفاع الأمريكي روبـرت مكنمارا ورئيـس الأركان الأمريكية المشـتركة ورئيس المخابرات المركزية الأمريكية ال سي أي أيه وكان جـدول أعمال الاجتماع يتكون من بند واحد فقـط، الترتيبات النهائية لخطة الحرب الإسرائيلية ضد مصر، اتفق خبراء الإستراتيجية في هذا الاجتماع على أن أي نصر عسـكري إسرائيلي سريع يعتمد على قدرة إسرائيل على القيام بالضربة الأولى الكاسحة ضد القوات المصرية.

كانـــت المؤامـــرة الأمريكية كاملة الأركان، ســـواء على المســـتوي العسكري أو السياسي، ومارســـت الولايات المتحدة أسوأ أنواع الخداع السياسي والدبلوماســـي ضد عبدالناصر حيث تلقي جمال عبدالناصر فـــي اليوم التالي لهـــذا الاجتماع برقية من واشـــنطن تطالبه بألا يبدأ بالضربة الأولي ضد إســـرائيل، مقابل قيام الولايات المتحدة بالمساعدة الدبلوماسية للتوصل إلى تسوية سلمية بالتفاوض لأزمة إغلاق مضيق العقبة في وجه السفن الإسرائيلية.

وتكشـــف الوثائق الإسرائيلية مؤخراً أن إسرائيل اندفعت للحرب ضد مصر في يونيو ١٩٦٧ ليس بســـبب إغلاق مضيق العقبة فقط ولكن بسبب الخوف الرهيب من قيام سلاح الطيران المصري بضرب المفاعل النووي الإســـرائيلي في ديمونة بصحراء النقب على بعد ٤٥ كيلو متراً فقط من الحدود المصرية!!

وتلقت إســـرائيل الضوء الأمريكي الأخضر الأخيـــر للهجوم على مصـــر يوم ٣٠ مايو ١٩٦٧ خلال الزيارة الســـرية التي قام بها مائير أميت رئيس جهاز الموساد الإسرائيلي لواشنطن!!

ويروي الدبلوماســـي الأمريكي الشـــهير وليام كوانت القصة الرهيبة لكواليـــس المؤامرة الأمريكية ضد مصر في يونيـــو ١٩٦٧ ويقول إن الرئيس الأمريكي جونســـون حاول في البداية إقناع إســـرائيل بألا تبدأ الحرب، لكنه في نهاية مايو ١٩٦٧ أدرك أنه لا يمكنه إقناع إســـرائيل

بعدم بدء الحرب، بدون أن تقوم البحرية الأمريكية باقتحام خليج العقبة بالقوة والتدخل ضد القوات المصرية، ولم يكن جونسون ليستطيع إصدار أوامره بذلك بدون موافقة الكونجرس، ولذلك استسلم جونسون في النهاية لقرار إسرائيل بتوجيه ضربة وقائية ضد القوات المصرية سيئة الانتشار في سيناء.

تعهدات أمريكية زائفة

وتضمـــن الجزء الثاني من المؤامرة بنـــدا يؤكد ضرورة ألا تتعرض إسرائيل لضغوط أمريكية تفرض عليها الانسحاب من سيناء كما حدث في معركة الســويس١٩٥٦!! الحرب أدرك عبدالناصر مدي الخديعة الدبلوماســية والعســكرية التي تعرض لها من جانب الولايات المتحدة، حيث أنه تلقى تعهدات أمريكية بألا تبدأ إســرائيل الحرب مطلقا، مقابل ضمان ألا تبدأ مصر الحرب.

وفـــي النهاية اكتشــف عبدالناصر أن أمريكا شــاركت في الحرب بقيام طائــرات الاســتطلاع الأمريكية بالعمل لصالح إســرائيل وقيام سفن الأســطول السادس الأمريكي في البحر المتوسط بالتشويش على الرادارات المصرية وعلى شبكة الاتصالات المصرية.

بعد ساعتين من فجر الخامس من يونيو ١٩٦٧ قامت ١٩٥ طائرة وقاذفة إســرائيلية بهجوم جوي مفاجئ على ١٧ مطــاراً وقاعدة جوية

مصرية.. حيث جري تدمير ٨٥٪ من طائرات سلاح الطيران المصري وهي جاثمة على الأرض، هاجمت إسرائيل بـ١٩٥ طائرة أي بـ٩٥٪ مما لديها من طائرات، وفقدت مصر ٣٠٤ طائرة خلال غارتين جويتين من الساعة الثامنة صباحا وحتى الحادية عشرة والنصف ظهرا.

وعلى مدى ســتة أيام جرى احتلال سيناء، وخسرت مصر ١١ ألف شــهيد و ٧٠٠ دبابة و ٤٥٠ مدفع ميدان، وقال الزعيم الفرنسي ديجول أن حــرب يونيو ليســت إلا حربا أمريكية نفذتها إســرائيل وكما كانت الحرب مفاجئة والهزيمة قاســية، كانت هناك مفاجآت سياســية كبرى بعد الحرب، حيث فوجئ العالم كله بالملايين من المصريين في شوارع القاهرة يطالبون جمال عبدالناصر بالتراجع عن قرار التنحي والبقاء في قمة القيادة لتحرير الأرض المحتلة.

ومــن البداية أدرك عبدالناصر أن أمريكا انحازت لإســرائيل تماما ضده وضد مصر، وأنه إذا كان له أن يسترد الأرض المحتلة مرة أخرى فلابد أن يقاتل، ليستعيدها بالحرب كما خسرها بالحرب.

واتجه للسوفيت ليحصل على الســلاح من جديد ليعيد بناء القوات المســلحة بعد الهزيمة، بعد أن تخلص من المشــير عبدالحكيم عامر ورجالــه، وبالفعل حصلــت مصر على نوعيات جديدة من الأســلحة الروســية مثل طائرات الميج ٢١ المعدلة وقاذفات تي يو ١٦ ودبابات تي.. ٦٢ وشبكة متكاملة للدفاع الجوي لم يكن لها نظير في العالم كله،

ضمت بطاريات صواريخ سام ٢ و٣ الثابتة وبطاريات صواريخ سام ٦ المتحركة وهي مفاجأة حرب أكتوبر الكبرى.

بعد الهزيمة

وقاد جمال عبدالناصر حرب استنزاف طويلة ومرهقة ضد القوات الإسرائيلية في سيناء على مدى ثلاث سنوات، حتى وفاته المفاجئة في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ بسبب أزمة قلبية قاتلة!!

أحدثت وفاة عبدالناصر المبكرة صدمة هائلة في مصر وفي جميع أنحاء العالم العربي، وخرج أكثر من سبعة ملايين من المصريين خلف جثمانه في موكب جنائزي مهيب امتد لعشرة كيلو مترات كاملة، وقالوا إنها أكبر جنازة في التاريخ وكشفت الوفاة المفاجئة لعبدالناصر مدي ارتباط الشعب بالزعيم الأسطوري للأمة، واتضح من البداية أن الفراغ الذي تركه عبدالناصر اكبر من أن يملأه أحد في القمة خاصة وأنه غادر الحياة بدون أن يحدد اسم خليفته.

هكذا ارتفعت المقادير بالسيد أنور السادات عضو مجلس الثورة الوحيد الباقي بجوار عبدالناصر، إلى قمة السلطة في وقت صعب بالنسبة لمصر والأزمة الوطنية التي كانت تعيش فيها بعد هزيمة يونيو. في ذلك الوقت شعر كبار ضباط القوات المسلحة بالقلق، خاصة وأن التخطيط لحرب التحرير ضد القوات الإسرائيلية في سيناء كان قد

وصــل إلى نقطة اللاعودة تحت قيادة عبدالناصر، وكان العد التنازلي لبدء الحرب خلال أسابيع معدودة قد بدء فعلا، وتصور العسكريون أن السادات أضعف من أن يحارب، وقد يتخلي عن خيار الحرب واسترداد الكرامة وأنه قد يتجه للسلام مع إسرائيل عبر قنوات اتصال سرية.

كانت تقديرات المخابرات الأمريكية تؤكد أن السادات قد لا يبقي في السلطة أكثر من ستة أسابيع، وحاولت الولايات المتحدة أن تقدم له الدعم رغــم ذلك، في مواجهة «مراكز القوى» بقايــا نظام عبدالناصر وتقول وثائق المخابرات الأمريكية أن ضابط المخابرات الأمريكي توماس تويثين هو الذي ابلغ الرئيس السادات بتسجيلات الاتصالات التي كانت تجري بين مراكز القوي في ذلك الوقت، على صبري وشعراوي جمعة وسامي شرف، وكان الثلاثي يتآمرون للإطاحة بالسادات وتردد أن تويتين تلقي هذه المعلومات من عميل ســوفيتي يعمل لصالح الأمريكيين، كما أن السفارة الأمريكية بالقاهرة نجحت في اعتراض الاتصالات التليفونية بين المشــاركين في مؤامرة الانقلاب على السادات الذي نجح في الإطاحة بكل منافسيه على الســلطة بضربة واحدة في ١٥ مايو.. ١٩٧١ بعد ذلك حاول الســادات أن يتجنب اللجوء للحرب، وســعي عبر القنوات الســرية للاتصال بالولايات المتحدة، بل وحاول الاتصال بجولدا مائير رئيســة وزراء إسرائيل دون جدوى، وحاول الاتصال مع هنري كيسنجر مستشار الرئيس الأمريكي لشئون الأمن القومي، لكنه ابلغ السادات بأن

إسرائيل أقوى من أن تتعرض للهزيمة حتى لو دخلت في حرب مع كل جيرانها العرب.

كان كيســنجر يعلم بأن السادات يريد أن ينضم للمعسكر الأمريكي لكنه كان يردد أن السادات يدرك حقيقة قوة أمريكا، لكنه لابد أن يتذوق طعم الحرب مع إســرائيل، لأن قوة إسرائيل هي الحقيقة التي يجب أن يدركها.

مــن هنا أدرك الســادات أن كل الأبواب مغلقة أمامـــه لم يبق له ســوي اللجوء للحرب، تحت ضغط الداخل الوطني في مصر، والخارج العالمي.

وفـــي يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ تمكنت القوات المســلحة المصرية من عبور قناة الســويس في مشهد عســكري تاريخي ليس له نظير وخلال ســاعات عبرت القوات المصرية للضفة الشرقية للقناة بأكثر من ألف دبابة ومائة ألف جندي بعد ضربة جوية كاســحة شــاركت فيها ٢٢٢ طائــرة مقاتلة، وفـــي يوم ٨ أكتوبر.. ١٩٧٣ بكـــي ديان وزير الدفاع الإسرائيلي خلف الخطوط الإســرائيلية في سيناء، وهو يقول، لا توجد دبابة واحدة تدافع عن تل أبيب!!

الباب السادس:

- **الفصل الأول:** الثورات التي لم تكتمل في الشرق الأوسط الجديد!
- **الفصل الثاني:** ثورات ٢٠١١ أنهت عصر الجمهوريات الوراثية!

الثورات التي لم تكتمل في الشرق الأوسط الجديد!

ثــورة ٢٥ يناير ٢٠١١، حدث هائل هز مصر والعالم، لم يكن أحد يتصور ســقوط النظام الســابق، وانهيار دولة حسني مبارك، ورغم أنه يوجد من تنبأ بالثــورة، ومن تمنى قيام الثورة، لكننا لا ندري على وجه الدقة كيف حدثت الثورة؟!

إن شــرارة واحدة تكفي لإشعال حريق هائل، وخطأ واحد جسيم يسقط فيه أي نظام سياسي في العالم يكفي لإحداث الثورة، لكن في كل الأحوال يبقى معنى الثورة، هو السؤال الحائر في كل عقل وفي كل قلب!

وكثيــراً ما يتفق الثوار على تغيير نظــام الحكم، لكنهم قد يختلفون حول معنى الثورة، وما وراءها من أهداف وتحولات.

ربما كانت عملية إسقاط النظام السابق مسألة بالغة الصعوبة، لكن الأصعب دائماً هو ما بعد الســقوط، ببساطة لأن سقوط الديكتاتورية، يعني بداية الصراع الحقيقي على السلطة والحكم، والصورة واضحة في الشارع المصري الآن.

فقد استســلم النظام السابق أمام شجاعة الشــعب وإصرار الثوار، ويبدو أن الثورة صنعت تاريخاً جديداً لمصر، لكن حان الوقت لنتساءل، كما تساءل العالم كله من قبل.. وماذا بعد في مصر؟!

وأثبتت التجربة أن الثورة على النظام القديم ممكنة، لكن إحداث تغيير حقيقي وجوهري في البناء السياسي والاقتصادي لمصر لن يكون سهلاً على الإطلاق.

اليأس القديم

وتاريخ مصر نفسه يحذرنا من أن أسس الديكتاتورية قائمة وأن دعائم الاستبداد راسخة وعميقة، وفي الغرب من يتوقع سنوات عصيبة من الصراع السياسي بين المحافظين الجدد من تيار الإسلام السياسي، ودعاة الليبرالية والفكر الديمقراطي.

وقد كنا نتصور في الماضي أن العالم الخارجي لا يقرأ ما نكتب، ولكن انتشار كتابات نجيب محفوظ وجمال الغيطاني وعلاء الأسواني وأهداف سويف يؤكد اهتمام القراء حول العالم بمعرفة كل شيء عن مصر والمصريين.

وشعر الكثير من خبراء السياسة حول العالم بالكثير من الصدمة حين اطلعوا على كتابات وأفكار المفكر الإسلامي الكبير جمال الدين الأفغاني الذي تحدث بالكثير من اليأس والاستياء عن أسس الاستبداد والديكتاتورية التي لا تهتز، سواء في مصر أو البلاد الإسلامية.

كانت أفكار الأفغاني تبعث على اليأس في أواخر القرن التاسع عشر، ويبدو أننا لم نتخلص بعد من أعراض اليأس وانعدام اليقين

والأمل في المســتقبل، قد يلوح النصر قريباً في الأفق، لكننا على يقين من أن ثورة مصر سوف تتعرض لنكسات ولحظات انكسار مريرة بقدر ما ســوف يتحقق لنا فيها من انتصــار لأن معركة تقرير المصير في مصر، ما زالت طويلة.

ربما كانــت القوى الليبرالية والديمقراطية هــي صاحبة المبادرة في الثورة، لكنها فشــلت في تحريك الشارع السياســي بما يكفي للإمساك بالســلطة، وهذا هو الســر الحقيقي وراء صعود تيار الإسلام السياسي بقيادة جماعة الإخوان المسلمين.

وفــي هذا الكتاب الانتفاضة العربيــة أو الثورات التي لم تكتمل في الشرق الأوسط الجديد، يؤكد مارك لينش أستاذ العلوم السياسية بجامعة جورج واشــنطن الأمريكية أن سقوط الأنظمة العربية القديمة، هي أقل ما يمكن أن يحدث من تغييرات في الشــرق الأوسط، بعد ثورات الربيع العربي، خاصة بعد أن استعاد رجل الشارع في مصر والكثير من الدول العربية قدرته على الفعل والتمرد، وصنع الثورة، إنها ثورة رجل الشارع، التي لا يوجد لها بطل أو قائد واحد، لكنها حركة جماهيرية واسعة للتمرد والتحرر من الاستبداد والديكتاتورية.

كلنا ضد النظام القديم

فقد توحدت كل عناصر وفئات الشعب في مصر ضد النظام القديم،

لكن بعد سقوط النظام بدأ الصراع الحقيقي، ربما يرى تيار الليبرالية والديمقراطية أنه هو البطل الحقيقي للثورة، لكن تيار الإسلام السياسي يبدو أكثر تنظيماً وأكثر ثراء، وأكثر قدرة على التحرك السياسي ونجح في الصعود إلى قمة السلطة التنفيذية في مصر برئيس منتخب.

إن تجربة مصر الديمقراطية تبدو في بداياتها، ولذلك من الصعب على أي تيار سياسي الانفراد بالسلطة والانفراد بالقرار السياسي والتشريعي، من الصعب على التيار السياسي الإسلامي إقصاء الآخرين والانفراد المطلق بالسلطة، لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى تفاقم الانقسام في الشارع السياسي، وتبدو الثورة مثيرة للصدمة لأن المسألة في نظر الرأي العام المصري لم تعد قضية الانفراد بالقرار وبالتشريع، لأن الأغلبية في المجتمع ترى أنها أصبحت قضية اختطاف وطن!!

ويحكي الكاتب الأمريكي الشهير جون برادلي قصته مع إحدى قنوات التليفزيون الأمريكي للحديث عن الثورة وسقوط نظام حسني مبارك، ففي البداية رحبت المذيعة بالكاتب الصحفي الشهير وقالت إن برادلي هو الصحفي الكبير الذي انفرد بالتنبؤ بالثورة في مصر في كتابه الذي أصدره في ٢٠٠٨ بعنوان «مصر من الداخل».

حمى الربيع العربي

في البداية تحدث برادلي عن الثورة في مصر، باعتبارها كانت

حتمية سياســية واقتصادية، وبدون حدوثها يضيع منطق التاريخ، لكن براداي فوجئ بأن أضواء الاســتوديو الذي يتحــدث فيه تنطفئ فجأة، وبدون ســابق إنذار، حين قال إنه يتوقع أن يسيطر الإسلاميون على المشــهد السياســي في مصر قريباً، فقد توقفت الكاميرات والأضواء، وقالت له المذيعة شــكراً يا عزيزي، إننا هنــا نحتفل بالثورة في مصر ونحتفل بسقوط حسني مبارك، ولا نريد في لحظات الفرح بانتصار الثورة أن نستمع إلى نبؤات سوداوية حول صعود الإسلام السياسي المتطرف في مصر !!

ويقول برادلي إن ثورات الربيع العربي تحولت إلى حمى الربيع، ومن أعراض الحمى السياسية الهذيان بأوهام الديمقراطية الإسلامية!

وهنا يفرض السؤال نفسه، هل الربيع العربي وثوراته يعني الانتصار الحقيقي للديمقراطية والحرية، أم أن صعود التيار الإسلامي في مصر ســيكون أكثر وحشــية من تجربــة صعود رجب طيــب أردوجان في تركيا؟!

مهما يكن من أمر، فإن التاريخ سوف يتوقف طويلا أمام يوم الجمعة الحادي عشــر من فبراير ٢٠١١، حين أعلن اللواء عمر سليمان نائب رئيس الجمهورية على الشعب والعالم، تنحي الرئيس حسني مبارك عن منصبه وتخليه عن السلطة للمجلس الأعلى للقوات المسلحة.

وتتساءل الدنيا بأسرها حتى اليوم، هل لم يكن لدى الجيش المصري ما يكفي للقيام بانقلاب عسكري كامل، ليقبض بيد من حديد على كل أسباب السلطة؟!

والحقيقة أن الرصيد السياسي للقوات المسلحة لدى جميع طبقات الشعب كان يكفي لتأييد أي انقلاب عسكري، لكن احترام القوات المسلحة لواجبها العسكري، والتزامها بالانضباط الكامل هو الذي حال دون حدوث مثل هذا الاحتمال.

ثورة واحدة ومشاهد مختلفة

ومع ذلك فقد تعددت صور المشهد الدرامي المثير في هذه اللحظات الخالدة حسب المكان، فقد رقص المتظاهرون الغاضبون في ميدان التحرير فرحاً برحيل حسني مبارك، لكن المشهد كان مختلفاً تماماً في واشنطن، حيث جلس الرئيس الأمريكي باراك أوباما مع كبار مستشاريه يتابع أحداث الثورة في مصر داخل «حجرة تقدير الموقف» في بدروم البيت الأبيض. كانت الأحداث تتصاعد في القاهرة فيما يشبه الزلزال الرهيب، فبعد أسابيع طويلة من المظاهرات والاحتجاجات الجماهيرية المتصاعدة والصراعات الصاخبة في قمة السلطة في مصر، اضطر مبارك إلى الاستقالة.

كانت الصور القادمة من القاهرة على شاشات التليفزيون تثير في

قلب الرئيس الأمريكي أوباما وكبار مساعديه نوعاً من الحزن والأسى، لأنهم شـــاهدوا الرئيس مبـــارك وهو يتعرض لمهانة كبــرى، كما أنهم شـــاهدوا صديقاً قديماً للولايات المتحــدة يتخلى عن موقعه القيادي في السلطة تحت ضغط البركان الثوري الهادر.

الثورة قادمة

كان هناك في واشنطن دائماً من يرى الثورة قادمة في مصر، وكان هناك من يرى أن أسس النظام الإقليمي في العالم العربي تتحطم، كان كل شـــيء يبـــدو واضحاً مثل كتاب مفتوح أمـــام كل من لديه المعرفة والرغبة في الإدراك والاستعداد للفهم.

فقد حدثت تغييرات كثيرة على الســـطح فـــي مصر في أوائل القرن الجديـــد، وحدث نوع من الانفتاح السياســـي المحـــدود وظهرت قنوات التليفزيون المستقلة وبعض الصحف اليومية المستقلة، ثم حدث التراجع فجأة، لأن الانفتاح السياســـي لم يأت معه بالتغيير الاقتصادي، ولذلك تراجع النظام في مصر سريعاً، وكان ذلك واضحاً في انتخابات ٢٠١٠ وما جرى فيها من تلاعب وتزوير، فقد فشـــلت السياسات الاقتصادية في مصر في توفير فرص العمل الكافية للجيوش الجرارة من الشـــباب القادمين من الجامعات ومعاهد التعليم المتوســـط، كما كانت عمليات الخصخصة الواسعة لشـــركات ومؤسسات القطاع العام مليئة بالفساد،

واستحوذ فيها لصوص المال العام على الكثير من أصول الدولة، وانتهت المأساة بخروج عشرات الآلاف من العاملين في هذه المصانع إلى الشوارع حيث انضموا إلى جيوش العاطلين.

أعراض التمرد والرفض

وتزايدت الفجوة بين الأغنياء والفقراء، بل اتسعت بوابات الفقر كثيرا جداً، حتى ابتلعت أبناء الطبقة الوسطى الدنيا، وفيها أساتذة الجامعات والمهندسون والصحفيون والأطباء والمدرسون والعمال والفلاحون، وحتى صغار التجار، وتصاعد الاستياء البالغ من الطبقة الحاكمة التي لم تعد تشعر بما حولها من طبقات فقيرة توشك على الانفجار.

وبينما تتفاقم أعراض الفشل داخل النظام السياسي كانت جماعات التيار الإسلامي تواصل جهودها الجبارة من أجل تغيير ثقافة المجتمع، وتغيير الثقافة العامة للشعب، رغم القبضة القمعية للنظام الحاكم.

وأصبحت أسبا الفشل لدى النظام السياسي في مصر واضحة، وشعر الشباب بالحاجة الماسة للتغيير، ولأول مرة تظهر قوة الرأي العام ويرتفع صوت الجماهير بأن السلطة أصبحت في يد الشعب، لكن الشعب لم يشعر بالنصر حتى الآن!!

يقول مارك لينش أنه من الواضح أن الثورة نجحت في مصر، لكن النصر لم يكتمل، خاصة مع صعود تيار الإسلام السياسي المتطرف للسلطة.

في مصلحة من؟!

ويتساءل مارك لينش، ويقول: هل الديمقراطية في مصر تخدم إسرائيل أو حتى إيران؟ هل من مصلحة أمريكا قيام نظام ديمقراطي حقيقي في مصر، وهي قوة عظمى مصابة بسعار مزمن اسمه الخوف على المصالح الحيوية؟!

هل الديمقراطية في مصر تخدم المملكة السعودية وقطر، وهي دول تخشى أن يشملها طوفان التغيير؟!

ويقول إن حركات الانتفاضة العربية لم تتحول بعد إلى قصة تحول ديمقراطي، ولم تتحول بعد إلى ثورات أو حركات ثورية، إن الربيع العربي لا يعبر عن طبيعة ما حدث من تغيير، فقد تبدو الانتفاضة والغضب ضد نظام حسني مبارك في مصر وبن علي في تونس مثل الحركات السياسية العنيفة والسريعة، لكن هل هذا يؤدي لقيام الديمقراطية؟!

من المنتظر أن تؤدي ثورات أو حركات الانتفاضة في الربيع العربي إلى تغييرات سياسية، وقد يظهر بعض معالم الديمقراطية، لكن الديكتاتورية مازالت لها جذور عميقة ترفض الرحيل؟!

لكن أصعب ما يمكن أن تؤدي إليه حركات الانتفاضة في مصر والعالم العربي هو انهيار الدولة ومؤسساتها، وقد تتحول هذه الحركات إلى حروب أهلية كما يحدث في سوريا، وقد نرى نظماً ملكية إصلاحية

في المغرب أو الأردن، لكن في كل الأحوال سوف تتصاعد الصراعات الإقليمية وتزول تحالفات قديمة وتظهر تحالفات إقليمية جديدة.

ومن المؤكد أن قواعد اللعبة الإقليمية في الشـــرق الأوســـط والعالم العربي سوف تتغير تماماً.

الانتفاضة.. مقدمة ثورة

إن هذه الأحداث التي هزت العالم في تونس ومصر، وليبيا واليمن، وحتى سوريا، ليست إلا مؤشرات أولية تدل على ما هو قادم من تغيير عميق في هذا الجزء من العالم.

فحـــركات التمرد والانتفاضة ترمز إلى ما يحدث من تغييرات عميقة في لحظـــات الانتقال بين الأجيال، هكذا نجد الشـــباب يرفض الياس والإحباط ويرفض اقتصاد الفســـاد ويرفض النظم السياسية المغلقة، في حين نجد أن مؤسسات الدولة القائمة تبحث عن أسباب البقاء والحماية لدى أجهزة الأمن والشرطة.

ولذلك قد يحدث التغيير سلمياً، كما حدث في مصر بصورة نسبية، لكنه قد يحدث بالدم والنار حين تشـــعر النظم السياسية القائمة بالغيرة، وهي تدافع عن وجودها وبقائها في الســـلطة، كما يحدث في ســـوريا، ولذلك فإن مصير رؤســـاء وقيادات النظم الديكتاتورية تكون عادة هي آخر ما يثير الاهتمام في القصة الطويلة جداً للثورة، أية ثورة!!

والحقيقـــة أن حركات الانتفاضة والثورة في مصـــر والبلاد العربية الأخرى ليســت إلا البداية المبكرة جداً لما ســوف يحدث من تغييرات أساسية في السياسات الإقليمية في الشرق الأوسط.

وسوف تستمر المنافســـة بل والصراع بين القوى الإقليمية الرئيسية مثل مصر وتركيا وإيران والسعودية من جهة والولايات المتحدة وإسرائيل ودول الاتحاد الأوروبي من جهة أخرى.

وسوف تظهر قواعد جديدة حاكمة للتفاعلات والصراعات الإقليمية، لكن القاعـــدة المقبولة من الجميع هي أن أي حاكم يرتكب مذابح ضد شعبه، سيفقد شـــرعيته، لكن القضية الفلســطينية ستبقى هي القضية المركزية في الهوية العربية، حتى لو تراجع الأمل في قيام دولة فلسطينية بجوار دولة إسرائيل.

«السلطة في يد الشعب»

وفي كل الأحوال فإن الشــعوب العربية قد أمســكت بزمام أمورها وأصبحت السلطة الحقيقية بين يديها، ومن الآن فصاعداً، لابد أن تتكيف الولايات المتحدة والقوى العالمية الأخرى مع هذا التغيير الهائل.

ويعترف البروفيســور مارك لينش بأن العالم العربي يتميز بصفات فريدة تجمع بين شعوبه، حيث يوجد نوع من الاندماج والوحدة بين هذه الشعوب، بل وهناك نوع من الشراكة في الفضاء السياسي، تؤكد الهوية

الواحدة لكل هذه الشـــعوب، وتنعكس وحدة الهويـــة في وحدة القضايا والمشـــكلات وحتى الأزمات ووحدة الهموم، ويؤكد الواقع أن شـــعوب العالم العربي مترابطة أكثر من شـــعوب أيـــة منطقة أخرى في العالم، إنها ليســـت فقط وحدة اللغة والدين، بل أيضًا وحدة الإحساس العميق بالمصير المشترك.

ففي الخمســـينيات تحت قيادة الرئيس جمـــال عبد الناصر، كانت الجماهير تنطلق بالآلاف إلى الشـــوارع وهي تهتف وتطالب بســـقوط الاســـتعمار الفرنســـي والبريطاني، ويطالبون بالوحدة استجابة لنداءات الوحدة العربية التي تنطلق من راديو القاهرة. وقد تراجعت هذه المشاعر في الســـبعينيات والثمانينيات بعد غياب جمـــال عبد الناصر بالموت، لكن يبدو أن بداية الألفية الجديدة تفرض واقعاً جديداً في العالم العربي مع التقدم المذهل في وســـائل الاتصـــال الحديثة من فضائيات وأجهزة موبايل وإنترنت.

كان جمال عبد الناصر يدعـــو العرب إلى الوحدة من أجل الهدف المشـــترك والمصالح الواحدة، وبعد ذلك بعشـــرين عاماً وقف الرئيس أنور السادات يطالب المصريين بالاحتفال باستعادة سيناء مقابل اتفاق الســـلام مع إســـرائيل، في هذه اللحظة كتب الأمريكي اللبناني – فؤاد عجمي – يقول: لقد ماتت القومية العربية!!

الجيل الصاعد

لكـــن شـــباب الجيل العربـــي الجديد، لا يـــرى أي تناقض بين أن يناضل من أجل حريته داخل بلاده، وأن يناضل بكل قوة تأييداً للقضية الفلسطينية.

لكـــن ثورات الربيع العربي لا تحدث في فراغ إقليمي أو دولي، لأن الإمبراطوريـــة الأمريكية لها مصالحها في جميـــع أنحاء المنطقة، وقد ظهـــر رد الفعل الأمريكي واضحاً حين وافق مجلس الأمن الدولي على قيام حلف الأطلنطي بالتدخل في ليبيا، هكذا بدأت إمبراطورية التحالف الأمريكـــي - الأوروبي بالرد، ليس فقط علـــى حركة التمرد والثورة في ليبيا، ولكـــن في العالم العربي كله، وكانـــت الضربة في ليبيا محاولة واضحـــة للحفاظ علـــى الوضع القائم ومقاومة أيـــة محاولات للتغيير، تتنافى أو تتعارض مع مصالح الإمبراطورية الأمريكية - الأوروبية في الشرق الأوسط، وتحمل هذه الإمبراطورية اسم حلف الناتو.

مقاومة تيار الثورة والتمرد

وفـــي الخليج العربي، قدمت الســـعودية والإمارات والبحرين الوعود المالية الســـخية لمقاومة تيار التمرد والثورة، وقامت بتقديم مليار دولار لـــلأردن مع منحة مالية لمصر تزيـــد على ٤ مليارات دولار، ولم تنس دول الخليج تقديم الدعـــم والتمويل للقنوات التليفزيونية الدينية من أجل

الدفع بالقوى السلفية المحافظة للمشاركة بقوة في المشهد السياسي الجديد بعد الثورة.

ولاشك أن تدخل حلف الأطلنطي في ليبيا كان نوعاً من الثورة المضادة التي تلقى التأييد في دول مجلس التعاون الخليجي، وانتهت القصة في ليبيا باغتيال العقيد القذافي بصورة بشعة وباختفاء القذافي اختفى واحد من الوجوه التي كانت مثيرة للإزعاج لدى دول الخليج، والحقيقة أن الرئيس حسني مبارك استسلم بسهولة لكن القوى المحافظة في الخليج تقاوم تيارات التغيير بعنف.

وقديماً، كنا نتصور خطأ أن التاريخ له جانب واحد صحيح، لكن الأحداث أثبتت أنه حين تحركت تيارات الثورة في العالم العربي في الاتجاه الخاص بها، تحركت قوى وتيارات الديكتاتورية في الاتجاه المضاد للثورة.

قوى الثورة المضادة

وسرعان ما اتخذ مجلس التعاون الخليجي موقع الجامعة العربية وأصبح هو المحرك للسياسات العربية داخل الجامعة العربية، وتصدر القرارات من مجلس التعاون الخليجي بإسم الجامعة العربية!!

وقدمت دول الخليج مبالغ طائلة تزيد على عشرة مليارات دولار

لإنقاذ عُمان من الثورة وتعهدت الإمارات بتقديم ٣ مليارات لمصر.

هكذا توحدت قوى الثورة المضادة في أمريكا ودول أوروبا وإسـرائيل ودول الخليج العربي ضد محور الثورة والديمقراطية، وحدث تراجع كبير وارتفعت الأصوات المطالبة بتطبيق الدين والشريعة.

وتصاعدت الاضطرابـات الطائفية، حتى أصبحت جزءاً من خطة دولية تستهدف إحباط تيارات الثورة والديمقراطية في العالم العربي.

ويبقى السؤال، هل فشلت حركات التغيير والثورة في العالم العربي؟!

وتبدو الأوضاع القائمة فعلاً واضحة وهي توحي بأن حركات الثورة فشلت في تحقيق أهدافها، حتى في الدول التي تم فيها تغيير النظام، فقد تصاعدت الصراعـات الداخلية في كل دولة وأصبحت أصابع التدخل الأجنبي سراً يعرفه الجميع، ويبدو أن القوى المحافظة في العالم العربي قـد تمكنت من إخماد عاصفة الثـورة، والحقيقة أن الأمل في الثورة قد تراجع كثيراً خاصة في مصر وتونس، وهما قصتا النجاح الوحيدتان.

في ثورات الربيع العربي، وتراجعت قوى الثورة والديمقراطية وتفرغت لما بينها من صراعات، واتضح في النهاية أن القوى المحافظة هي التي تنفرد بقدراتها الهائلة على الحشد الجماهيري.

ويقول مارك لينش، إن مصر شهدت حركة ثورية كبيرة لا شك فيها، لكن الثورة لم تتسلم السلطة مطلقاً.

أوباما يواجه الثورة

لكن ماذا عن رد فعل أوباما تجاه حركات الثورة العربية؟!

فقد أدرك أوباما سريعاً أن انتشار النظم الديمقراطية في العالم العربي يمكن أن يؤثر سلباً في المصالح الأمريكية المتشعبة في المنطقة.

لم يتوقف أوباما كثيراً حول أسباب ودواعي التدخل العسكري في ليبيا، أو أمام أسباب ودواعي التدخل السياسي في مصر وراء الأبواب المغلقة.

في النهاية لابد أن نعترف بأن حركات الثورة في الربيع العربي حركتها مصالح الجماهير، التي رفضت الظلم والديكتاتورية، لكن الثورة، المضادة عرفت كيف يمكنها الحد من تقدم قوى الحرية والديمقراطية، ولهذا لم تكتمل أحلام ثورات الربيع العربي، وربما لن تكتمل ولا يفوتنا أيضاً أن التحول الديمقراطي قد يكون من مصلحة الشعوب، لكن هذا التحول ليس من مصلحة القوى الإقليمية والعالمية، ولذلك على حلم الديمقراطية أن ينتظر، وقد يطول الانتظار.

ويبقى أن يأس جمال الدين الأفغاني كان له ما يبرره في أواخر القرن الـ١٩.

ثورات ٢٠١١ أنهت عصر الجمهوريات الوراثية!

لم تكتمل ثورات الربيع العربي، وربما لن تكتمل!! مازال مصير هذه الثورات مفتوحاً في كف القـــدر فمازالت حركة التمرد والثورة في العالم العربي عاجـــزة عن الاقتراب من الحاضر بالتغييـــر، أو حتى بإعادة الترتيب، ومازالت بعيدة تماماً عن إعادة رسم وجه المستقبل.

فقد تفجرت أحداث الانتفاضة الشعبية من تونس إلى مصر، وتصاعدت إلى ما يشـــبه الثورة، أو هي نصف ثورة ونصف انقلاب عســكري، فلم تحدث الثورة الكاملة في أي بلد عربي، لكن حدثت حركة تغيير واسعة، وهي إن لم تكن ثورة كاملة، فإنها تبقى ثورة في حدود الممكن!

ويبـــدو أن قوة الثورة – أي ثورة ليســـت مطلقة، وتبقى قدرتها على التغيير محدودة دائماً بقدرة الشـــباب الثائر على التغيير، وهذا يعني أن هناك حدوداً، حتى لقوة الثورة وقدرتها على فرض التغيير.

لقد حدثت هزة سياسية كبرى في العالم العربي حين قامت الثورة في تونس، لكنها تحولت إلى زلزال سياسي هائل، حين انتقلت عدوى الثورة إلى مصر، وعلى مدى ١٨ يوماً، تصاعدت حركة الاحتجاج والغضب في ميدان التحرير، وفي النهاية تدخلت القوات المسلحة وأجبرت الرئيس السابق مبارك على التنحي والاستقالة.

وفشل المراقبون والدارسون في التنبؤ بأحداث الثورة في تونس ومصر فقد كانت كل الشــواهد والأدلة الظاهرة توحي بأن الاســتقرار السياسي ممتد ومتواصل في البلدين، ورغم الانفجار الدموي الرهيب في كنيســة القديسين بالإســكندرية، إلا أن الأوضاع في مصر كانت توحي بقدرة النظام السابق على الاستمرار في البقاء.

ولذلك سوف يتوقف التاريخ طويلاً أمام تلقائية حركات الثورة العربية فــي ٢٠١١، فقد حدثت فجأة وبصورة غير متوقعة، والحقيقة أن الثورة كانت مفاجئة، حتى للذين قاموا بها.

ومثــل كل الثورات فــي أي عصر، وأي مكان، كانــت الثورة تبدو مستحيلة، مثل حلم بعيد المنال، لكن بعد أن تفجرت الثورة في وجه الدنيا بأسرها، أدركنا أن الثورة كانت قدراً محتوماً في حياتنا وفي مجتمعنا.

ربمــا لم نتصــور أن رياح الثورة يمكن أن تقتلع رؤســاء طال بهم الجلوس فوق مقاعد الحكم والســلطة لعشرات الســنين، فالثورة كانت مســتبعدة، والشعوب تبدو مستأنســة، وحين انطلقت رياح الثورة فجأة شعرنا بالبداية الحقيقية للقرن الحادي والعشرين.

وفي هذا الكتاب «صعود وسقوط الرؤساء العرب» يؤكد البروفيسور روجــر أويــن أن ثورات الربيــع العربي أنهت إلى غيــر رجعة عصر الجمهوريات الوراثية في العالم العربي، انتهي عصر الرؤســاء الملوك، الذين يتمسكون بكراسي الرئاسة والسلطة حتى آخر لحظة من حياتهم.

وأحبطت الثورات العربية أحلام أبناء الرؤساء، في وراثة السلطة عن آبائهم.

القمة الموحشة

والحقيقة أن ثورات الربيع العربي شكلت تهديداً خطيرا، ليس فقط لرؤساء عرب طال بهم البقاء في القمة الموحشة، لكنها هددت أيضاً مصالح طبقة النخبة العليا في المجتمع، وقديما كان «الحكماء النبلاء» في أوروبا يقولون، إذا لم نقدم المساعدة ونحاول التغيير الآن، فسوف تقوم الحركة الوطنية بإقامة «الجمهورية» فوق رءوسنا، لكن إذا أردنا أن تبقى الأمور كما هي بلا تغيير حقيقي، فلابد أن نبدأ التغيير، أي تغيير من أي نوع!!

وفي الحساب الختامي للثورات العربية، حدث تغيير هائل على مستوى القمة وتم تغيير الرؤساء العرب، وهذا هو نصف الثورة المعلن، لكن بقي النسيج الاقتصادي والاجتماعي يستعصي على التغيير، وكما يحدث في أي ثورة فإن عملاء النظام القديم يميلون إلى التضحية برأس النظام، الرئيس أو الملك من أجل الحفاظ على مصالحهم ووجودهم، وكل الشواهد تؤكد أن النخبة العليا تحاول إعادة تشكيل نفسها، في إطار ما حدث من تغيير في القمة.

ولذلك مازال مصير الثورة غير مؤكد كما يقول إيان بلاك، والمستقبل

غير مضمون، والأهداف الحقيقية للثورة مازالت بعيدة المنال، قد يكون لهـا من يطالبون بها، لكن حتى الآن ليس لهذه الأهداف من يأتي بها أو يسعى لتحقيقها، ولذلك فإن رياح التغيير لم تنته بعد، ولن تتوقف بعد رحيل بن على وتنحي حسـني مبارك، ولابد من الاعتراف بأن اختفاء القذافي بالقتل والاغتيال، فيه من الجريمة الدولية المدبرة، أكثر مما فيه من الثورة.

ومن يتأمل أسـباب ودواعي الثورة في العالم العربي، سوف يكتشف أن تجربـة الرئيس جمال عبد الناصـر في التخطيط والتنمية تعرضت للاغتيال السياسي بعد رحيله المفاجئ، وكانت عملية الاغتيال متعمدة مع سبق الإصرار والترصد، وفي غياب التخطيط والتنمية الاقتصادية، لم يعد لدى الجمهوريات العربية الناشـئة مـن الموارد ما يكفي لتوفير فرص العمل لشباب الخريجين، القادمين من الجامعات ومعاهد التعليم المتوسط.

وسـاهمت برامج الخصخصة وبيع الشركات وأصول الدولة في تفاقم أزمة البطالة، حيث تمت تصفية المئات من المصانع والمؤسسات، وانضم الآلاف من العاملين فيها إلى جيوش البطالة المنتشرة في الشوارع.

وفـي غياب دولة الاقتصـاد، ظهرت دولة الأمـن، بهدف حماية الرؤساء وتوفير كل الأسـباب اللازمة لبقاء الرؤساء في السلطة مدى الحياة.

فقد تعرضت تجربة جمال عبد الناصر في التنمية والعدالة الاجتماعية لضربة قاسـية في يونيو ١٩٦٧، وتم القضاء على التجربة وتصفيتها بالكامل بعد رحيله وانتعشت الدعوة إلى الانفتاح والليبرالية الاقتصادية، مع لمحات عابرة من الليبرالية السياسـية. ولم يتردد الرؤساء – الملوك من بعد عبد الناصر في القيام بأي شـيء يسـتهدف تعزيز سلطاتهم وإطلاق أيديهم في الفعل واتخاذ القرار، مع التمسـح الدائم في الوطنية والتنمية، مع أن الوطنية دائمة الغياب، والتنمية مصابة بالشلل فقد كان أمن النظام هو القضية الرئيسية.

وتوفير المـوارد اللازمة لأجهزة الأمن، أهم بنـود الميزانية العامة للدولة.

أمن النظام، وبقاء النظام

وتغيرت المفاهيم في النظم الجمهورية العربية منذ أوائل السبعينيات، وأصبحت المهمة الأساسية لأي رئيس عربي «قوي» هي أن يقيم نظاماً سياسـياً لديه القدرة على البقاء، مع تركيز السـلطة المطلقة وصناعة القرار في يديه.

والحقيقة أن تركيز السـلطة في يد الرئيـس فقط، جعل في النهاية التخطيط لخلافة الرئيس أمراً بالغ الصعوبة، خاصة لعائلات الرئاسـة والدوائر السياسية والاقتصادية المقربة.

وتحول الجيل الجديد من الرؤساء العرب إلى ما يشبه الملوك، وأقام الرئيس التونسي السابق زين العابدين بن علي في مجمع سكني فاخر في مدينة قرطاج الساحرة على شاطئ البحر المتوسط، في حين كان الرئيسان السادات ومبارك من قبله يفضلان الانتقال من قصر جمهوري لآخر، في حين كان الرئيس اليمني علي عبدالله صالح يقيم فيما يشبه المعسكر الحربي، ليوفر لنفسه الحماية ضد محاولات واحتمالات الاغتيال أو الهجوم.

وكشفت وثائق ويكيليكس أن معمر القذافي كان يعيش حياة متواضعة، ليس فيها من مظاهر الرفاهية شيء، مقارنة بقصور العائلات المالكة في دول الخليج.

في المقابل، كان جمال عبدالناصر يحمل هموم بلاده فوق رأسه، ولذلك كان يقضي ساعات طويلة في مكتبه، يطلع خلاله على كافة التقارير التي ترد إليه من كافة مؤسسات الدولة، وهو بطبيعته شغوف بالقراءة والاطلاع، ويتابع كل ما تنشره الصحف المصرية واللبنانية والعالمية بالإضافة إلى ما يصدر في لندن وواشنطن من أحدث الكتب كما كان دائم اللقاء بالمستشارين القادمين من الجامعات المصرية أو كبار الصحفيين.

ومع ذلك لابد من الاعتراف بأن عبدالناصر لم يجد خلال تجربة الخطة الخمسية الأولى للتنمية من يساعده أو يقدم له المشورة الصحيحة

ولذلك انتهت الخطة بما يشبه الأزمة خلال الفترة من ١٩٦١إلى ١٩٦٥، مع أنها أكثر التجارب الاقتصادية نجاحاً في العالم العربي.

١٤ ساعة

وكان الرئيس السوري حافظ الأسد أيضاً يقضي أكثر من ١٤ ساعة يومياً في مكتبه، حيث يتم عرض كافة القضايا والملفات عليه، حتى لو كانت تافهة أحياناً، لأن المسئولين من حوله كانوا يخشون مخاطر تحمل مسئولية اتخاذ القرار.

واعتاد الرئيس حسني مبارك أيضاً أن يقضي ساعات طويلة في مكتبه في السنوات الأولى لرئاسته، لكن حين تقدم به العمر أصبح يلقي بالمسئولية على من حوله، ويقال إنه كان نادراً ما يقرأ الصحف، ويحتفظ لنفسه بسلطة اتخاذ القرارات بالغة الأهمية، وبلا اتفاق، حرص كل من مبارك وحافظ الأسد على أن يكون عدد المستشارين المحيطين بهما محدوداً للغاية، خاصة حين تقدم بهما العمر، ورأينا الدكتور أسامة الباز يختفي من المشهد السياسي في السنوات الأخيرة قبل الثورة.

الرؤساء، وعائلاتهم

واختلف دور عائلة الرئيس من دولة إلى دولة، فالرئيس اليمني عبدالله صالح يضع ٣٠ من أعضاء عائلته الواسعة على قمة المناصب

الرئيسية في الجيش وأجهزة الأمن. في حين لم يتردد الرؤساء أنور السادات وبورقيبة وبشار الأسد في الدفع بزوجاتهم إلى العمل العام لتقوم كل منهن بدور يشبه دور الملكة، أو السيدة الأولى الأمريكية وانهالت على زوجات الرؤساء الدرجات العلمية والأكاديمية العليا ودرجات الدكتوراة الفخرية أحياناً، وانشغلت كل منهن بالأنشطة التي تنطوي على نوع من الحياد السياسي، بما يعطي الانطباع بوجود مجتمع مدني خاصة في مجالات حقوق المرأة ورعاية الطفل.

ويقيت زوجات حافظ الأسد والقذافي وعمر البشير في الظل، بعيداً عن أضواء الحياة العامة. وفي حالة واحدة فقط، انفردت ليلي طرابلسي زوجة زين العابدين بن علي بأنها أكبر سيدة أعمال في تونس، بامتلاك وإدارة أكبر الشركات في تونس كلها.

وكان الرئيس الملك في العالم العربي يتيح الفرصة لأعضاء أسرته القيام بأدوار سياسية خاصة، ومنهم من استدعي ابنه من الخارج ليقوم بمساعدته في إدارة شئون البلاد والحكم ومن الأبناء من كان يتقدم الصفوف، ليبدو الخليفة المنتظر لأبيه فوق كرسي الحكم، ومن أبناء الرؤساء من كان يتولي قيادة الوحدة الرئيسية في الجيوش، باعتبارهم الأكثر ولاء للرئيس، كما كان الوضع في ليبيا واليمن.

البحث عن خليفة

ويتوقـف المؤلف طويـلاً أمام قضية خلافة «عروش» الرؤسـاء العـرب، خاصة في سـوريا ومصر وليبيا واليمن، ويؤكد أن المسـألة لم تكن سـهلة، لأن أبناء الرؤسـاء كانوا يمرون بفترات اختبار، مثل عـلاء، الإبن الأكبر للرئيس مبارك، الذي فضل ألا يكون خليفة لأبيه في الحكم، ومثل عدي صدام حسـين، الذي تركز اهتمامه الأكبر على تنمية مهاراته العسكرية.

ويقول المؤلف، إن جمال، الابـن الثاني للرئيس مبارك، كان يبدو دائماً الوريث المنتظر للرئاسـة، وقام بدور مهم في توفير المال للأسرة من خلال عقود الشراكة التي كان يفرضها قسراً على الشركات الأجنبية الراغبة في العمل في مصر.

هكذا أصبح أعضاء عائلة الرئاسة ومن معهم من الأقارب والأصدقاء، والمقربون من رجال المال والأعمال، يشـكلون فريقاً واحداً، يكرس كل الجهد لتعزيز المصالح المشـتركة لأبناء العائلة الرئاسية، ومن حولهم من أصحاب المصالح.

السادات.. بداية مختلفة

وحين تولي الرئيس أنور السـادات السـلطة في مصـر بعد وفاة عبدالناصر المفاجئة، فإنه واجه معارضة قوية من جانب مجموعة كبار

المسئولين الوزراء الذين عملوا طويلا تحت قيادة الرئيس عبدالناصر، ومنهم على صبري نائب الرئيس والفريق محمد فوزي وزير الحربية وشعراوي جمعة وزير الداخلية ومحمد فائق وزير الإرشاد القومي وسامي شرف وزير شئون الرئاسة وقد تحالف كل هؤلاء، ضد السادات، الذي حرص أولا على ضمان ولاء القوات المسلحة، ويقول الأستاذ محمد حسنين هيكل، أن الرئيس السادات استند إلى شرعية منصب الرئيس في ضمان ولاء القوات المسلحة.

وفي لحظة حسم واحدة أصدر السادات قراراته باعتقال على صبري ومجموعته في ١٥ مايو، ١٩٧١ وأدانهم أمام الشعب والرأي العام بأنهم تحولوا إلى مراكز قوى مناوئة للرئيس، قال إنه بإزاحة كل هؤلاء من السلطة، قد قام بثورة للتصحيح!!

وفي ذلك الوقت، كان قد مضي على حافظ الأسد ستة أشهر فقط في السلطة وقد سبق السادات إلى استخدام تعبير «ثورة التصحيح»، وهي الانقلاب العسكري الذي أطاح من خلاله برفاقه في حزب البعث، صلاح جديد ونور الدين الأتاس.

وتمكن الرئيس السادات من تعزيز سلطته مرة أخرى حين أصدر قراره الشهير في أغسطس ١٩٧٢ بطرد الخبراء والمستشارين العسكريين السوفيت، ثم استغل القوات المسلحة التي أعاد بناءها جمال عبدالناصر بعد هزيمة ١٩٦٧ على أساس من الاحتراف العسكري، وأصدر قرار

الحرب في أكتوبر ١٩٧٣، ونجح في توجيه ضربة قاسية لإسرائيل حين تمكنت القوات المسلحة المصرية من اجتياح مانع قناة السويس الصعب وإقامة رءوس جسور لها على الضفة الشرقية للقناة، ثم استولت على كافة مواقع وحصون خط بارليف الإسرائيلي وتحقق للعرب نصر عسكري لم يسبق له مثيل ضد إسرائيل.

الملكية الرئاسية

.. بعد هذا النجاح أصدر السادات «ورقة أكتوبر»، التي لخص فيها رؤيته السياسية الجديدة وتبني سياسات الانفتاح الاقتصادي ودعا إلى نوع جديد من الليبرالية السياسية بهذا أقام السادات نظاماً سياسياً جديداً، وأجريت الانتخابات البرلمانية، بصورة سابقة التجهيز ومضمونة النتائج، وألغى الاتحاد الاشتراكي العربي وأقام بدلا منه الحزب الوطني الديمقراطي مقتبسا الاسم من الحزب الوطني الديمقراطي الأمريكي، كما جري تأسيس عدد من الأحزاب الصغيرة التي وقفت في صفوف المعارضة الشكلية.

وبعد حرب أكتوبر حدثت تحولات كبري وأصبحت الرئاسة في عصر السادات «الثاني» ملكية رئاسية، كما قال أحد الكتاب الأمريكيين في عام ١٩٨٠ وأصبحت عائلة الرئيس مثل العائلة المالكة واتسع نفوذ الأقارب ومن حولهم من رجال المال والأعمال الذين سمحوا لأنفسهم بالإثراء

من خلال التلاعب بسياســات الانفتاح الاقتصــادي ومع ذلك لابد من الاعتراف بأن الرئيس الســادات كانت له رؤيته الشخصية في كل قرار، ولم يكن يطلع أحداً على ما يتخذه من قرارات مفاجئة أحيانا، ولذلك وصفه الأمريكيون بأنه رجل دولة لا يمكن التنبؤ بأفعاله أو ردود أفعاله، وتؤكد كل الشواهد والأدلة أن كل قرارات السادات كانت من وحي رأسه وتفكيره، سواء قرار الحرب في ..١٩٧٣ أو قراره المثير للجدل بزيارة القدس، فقد اتخذ هذا القرار من تلقاء نفسه وبدون مشورة من أحد.

السادات، مدى الحياة

وفي مايو ١٩٨٠ اتخذ الســادات قرارا بتعديل دســتور ١٩٧١ بما يســمح له بالبقاء في الســلطة مدى الحياة، وكان السادات في الثانية والســتين من العمر أصغــر من أن يفكر في تحديد اســم خليفته في الرئاســة وكان ابنه جمال شابا جامعيا صغيرا يعيش بعيدا عن السياسة وبعيــداً عن الأحداث وكان نائبه حســني مبارك يبدو خفيف الوزن في ذلك الوقت بمقاييس السياسة ولم يتصور أحد قبل يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ أن يكون مبارك هو الرئيس القادم لمصر بعد أن جري اغتيال السادات خلال العرض العســكري الشهير والأخير في جريمة غدر وخيانة ليس لها مثيل في تاريخ مصر الحديث وإن كان عبدالناصر قد نجا بأعجوبة من جريمة اغتيال بالإسكندرية في ١٩٥٤.

رئاسة مبارك

ويمكن تقسـيم رئاسـة مبارك إلى ثلاث مراحل الأولى من ١٩٨١ إلى ١٩٩٠، حين شـاركت القوات المصرية في التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة لتحرير الكويت من الغزو العراقي.

تميـزت هذه المرحلة بسـعي الرئيس مبارك الدائم لتعزيز سـلطته ووجوده بعد وفاة السادات الذي كان رئيسا ملء العين والبصر مهما قيل عنه وعن قراراته حرص مبارك على الاسـتمرار في سياسات السادات الاقتصادية والاجتماعية ولم يتردد في تنشـيط الحياة السياسية وبالفعل أجريت انتخابات برلمانية حرة في عامي ١٩٨٤ و١٩٨٧.

وحين تعاظم دور الجيش كمصدر للسـلطة العسـكرية الاقتصادية مع ظهور وزير الدفاع الجديد المشـير محمد عبدالحليم أبوغزالة شعر مبارك بأنه يواجه خصما ومنافسا سياسيا على درجة عالية من الكفاءة ونجـح مبارك في التخلص من أبوغزالة في ١٩٨٩ لأنه كان يضع في اعتباره العلاقة المفعمة بعدم الارتياح بين الرئيس عبدالناصر والمشير عبدالحكيم عامر لم يكن مبارك يريد تكرار هذه التجربة.

ثـم حدث تحول كبير حين تعرض مبـارك لنوبة إغماء خفيفة وهو يلقـي خطابا أمام مجلس الشـعب في ٢٠٠٣ فقـد كان هذا الحادث مؤشـرا خطيرا على أنه قد حان الوقت للتفكير فيمن سيأتي بعد مبارك وفي قضية التخطيط لتنصيب جمال مبارك رئيسا خلفا لأبيه فإنه توجد

شـــواهد وأدلة، وربما محاولات، ولكن لا توجد وثائق مؤكدة، خاصة أن مصر ليســـت مجرد جمهورية، لأنها منذ ١٩٥٢ دولة لا يتولي السلطة العليا فيها إلا واحد من الضباط السابقين بالجيش.

ومـــن المؤكد أنه كانت هنـــاك فترة اختبار لمعرفـــة مدي جاهزية جمال مبارك لمهام الرئيس، وجرت عملية واسعة لإقامة قاعدة سياسية واقتصادية لتوفير الدعم اللازم لصعود جمال مبارك لكرسي الرئاسة، كما جرت محاولة واضحة لتحييد القوي السياسية المعارضة لهذا الصعود.

ومع ذلك تبلورت اســـتراتيجية تصعيد جمال مبارك عاما بعد عام، وكان من المقربين لجمال من يرون أن يتم تأجيل التصعيد إلى الرئاسة إلى ما بعد وفاة والده.

بداية القرن، وبداية جمال

وفي السنوات الأولى من القرن الجديد، جرت عملية لإعداد المسرح السياســـي في مصر للقبول بجمال مبارك رئيساً، خاصة بعد ما جري تصعيده داخل الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم، وبالفعل جلس جمال مبارك وســـط كبار قادة القوات المسلحة في أكتوبر ٢٠٠٥ وكان والده يلقي خطابا في أعياد النصر.

لكن القرار الأهم كان السماح لجمال مبارك وفريق التكنوقراط التابع له في لجنة السياسات بتنظيم انتخابات الرئاسة في٢٠٠٥، وقد استغل

جمال مبارك هذه المجموعة في محاولة تعزيز مصالحه وتحقيق أهدافه، وأطلق وعوده الشهيرة بالمزيد من الانفتاح السياسي والاقتصادي.

ولم يتراجع النظام عن سياسة الانفتاح السياسي إلا بعد الصعود المفاجئ لمرشحي الإخوان المسلمين في انتخابات ٢٠٠٥. وجرت تعديلات دستورية في ٢٠٠٧ جعلت من الصعب على أي شخص الترشح للرئاسة في مواجهة أي رئيس موجود في السلطة فعلا. هكذا جري تغيير الاتجاه السياسي لمصر، بدعم من الأمن وأجهزته القوية. ولكن كان من الواضح أن كبار قادة القوات المسلحة يرفضون الصعود السياسي لجمال مبارك، ومن ورائه مجموعة رجال السلطة والمال والأعمال بقيادة أحمد عز، ومحمد إبراهيم كامل. وكان من المستحيل أن يطلب أحد من مبارك نفسه أن يواصل البقاء في السلطة لإنقاذ البلاد من الصعود السياسي للإخوان، وأصبحت مصر تحت الحصار من جهتين، إما صعود جمال مبارك من المجهول إلى قمة الرئاسة، أو القبول بالصعود السياسي للإخوان من العمل السري تحت الأرض إلى قمة السلطة والعمل السياسي.

كانت هذه الأجواء الخطيرة هي التي مهدت لثورة الشباب المفاجئة في ٢٥ يناير ٢٠١١. خاصة بعد فضائح التزوير والفساد في الانتخابات البرلمانية ٢٠١٠، التي حصلت فيها المعارضة على ٣٪ فقط من مقاعد مجلس الشعب.

وكانــت هذه هي القشــة التي قصمت ظهر البعيــر، وانتهي نظام مبارك كله وتهاوي خلال ١٨يوما فقط من الثورة الشعبية، واهتز الشرق الأوســط كله حين تنحي مبارك عن السلطة، واضطر إبنه جمال إلى التراجع عن مشروعه الشخصي لخلافة والده في الرئاسة!

وهنا لابد أن نتوقف أمام ظاهرة غريبة، هي ظاهرة السقوط المفاجئ للرؤســاء والملوك في العالم العربي. ففي ٣١ ديسمبر ٢٠١٠ كان في العالم العربي تســعة رؤساء للجمهورية، منهم سبعة كانت لديهم النوايا والخطط الجاهزة للبقاء في الســلطة مدي الحياة، ومن هؤلاء الســبعة يوجد ســتة رؤساء تجاوزوا الســتين من العمر، وكل منهم يجلس على عرش ملكي، ليس فيه من خصائص الجمهورية ســوى الإســم المعلن للاســتهلاك المحلي. ولم يتوقع أحد انفجار ثورات الربيع العربي، ولم يكن لدى أحد القدرة على قراءة المستقبل القريب خلال أيام وليس شهوراً أو سنوات.

قراءة في كف ٢٠١١

وفــي الصحافة المصرية على الأقل، انشــغل الكبار من أصحاب الأقلام والأعمدة اليومية بالحديث عن توقعاتهم لعام٢٠١١ ومن الغريب أنــه لم يتوقع أحد أن تحدث الثورة أو أن يبدأ العام الجديد بثورة عارمة لم يتحدث أحد عن احتمال تنازل حســني مبارك عن الرئاســة للقوات

المسلحة لكن كان هناك من توقعوا احتمال صعود جمال مبارك للرئاسة خلفا لأبيه.

ومع ذلك كان في اليمن من يتوقعون حدوث معارضة قوية لخطط الرئيس على عبدالله صالح للدفع بابنه لخلافته، لكن أحدا لم يتوقع أن تنفجر شرارة الثورة في العالم العربي في تونس، لأنها دولة بلا تاريخ ثوري، ولا أحد يعرف كيف تفجرت مشاعر الجماهير العربية بالثورة والغضب فجأة وعلى غير انتظار، لا يوجد ما يوحد بين هذه الجماهير الثائرة سوى الإحساس الفادح بالظلم كما قال الروائي الكبير علاء الأسواني، لمراسلي الصحف العالمية في ميدان التحرير ذات يوم من أيام الثورة.

ويقول خبراء الشئون السياسية أن حدوث الثورات السياسية فجأة له أسبابه، لأن الشعوب التي تعيش في ظلم نظم قمعية واستبدادية تميل إلى إخفاء مشاعرها الحقيقية، ولا يكشف الناس عن حقيقة ما في داخل نفوسهم إلا بعد تجاوزهم لكل حواجز الخوف والقمع، لكن إخفاء المشاعر في النهاية يأتي على حساب التوازن النفسي للفرد.

وبمجرد حدوث الحد الأدنى من الانفتاح السياسي، تزداد جرأة الكثيرين ويعلنون بوضوح عن مشاعر الضيق وعدم الرضا، حتى يحدث التحول النهائي في الرأي العام، فتحدث الثورة، ويبقى السؤال،

لماذا لم تكتمل، وربما لن تكتمل الثورات في العالم العربي؟! هذه قصة أخرى.

الفهرست

الباب الثالث:

الباب الرابع:

الباب الخامس:

الباب السادس: